الإسلام سؤال وجواب

IslamQA

QUESTION & ANSWER

جمع وترتيب وتنسيق:

أ\ أحمد عبد البديع

الموقع تحت اشراف:

الشيخ / محمد صالح المنجد

العقيدة

الإيمان بالله - الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان بالله

١_أصابتها الشكوك بسبب متابعتها الشبهات من غير منهجية

السؤال:

أنا فتاة عمري ١٥ أقارب ١٦ سنة، مسلمة بالفطرة، عشت، وتدينت، وعرفت ديني، وأحببت ربي، وأصابتني غيرة شديدة عليه، أي على ديني، ورحت أتجول باليوتيوب لأرى شبهات الكفار والإجابات لها، لم أتأثر في البداية، ولكن ـ دون سابق إنذار ـ أصبحت أسأل نفس الأسئلة الإلحادية، وأتمنى يا شيخنا أن تقرأ رسالتي بتمعن: مَن خلقنا؟ فأجيب عن أسئلتي: إما الله، أو صدفة، أو نحن، ثم بعد أن قرأت أنه محال أن نخلق صدفة، بدأت أبحث أكثر، فوجدت أن الكون نشأ من دخان مع حرارة ولمعان، انفجر بفعل طاقة، فقلت في نفسي: إذن الله لم يخلقنا من عدم، بل من مادة، فتحول ذهني إلى أزلية المادة، وقانون: المادة لا تفنى ولا تستحدث، ولكن بحثت إلى أن وجدت أن المادة شكل من أشكال الطاقة، فقلت في نفسي: لا بد للطاقة من مصدر. فأريد آية تدل على أن الله خلق أول مادة قبل نشأة الكون، أي خلق المادة التي انطلق وانفجر منها الكون. كما أنني أصلي، إلا أن قلبي غير مطمئن مائة بالمائة، وأنا دائما أحاربه وأرغمه على الإيمان بالله، إلى أن أصل إلى اليقين بإذن الله. وأقول دائما في نفسي: لماذا رغم أننا أجبنا على شبهات الملحدين لا يسلمون. هل لأن لديهم أدلة أقوى أم ماذا؟ أتمنى أن تجيبني على هذا الشكوك التي في بالي، وأتمنى أن أعلم هل هذا ابتلاء أم خطأ مني رغم أنني تدينت ثم فقدت نصف إيماني أو أكثر؟

الجواب:

الحمد لله

دعينا نبدأ من تساؤلك الأخير الذي نرجو أن يدلك على سبب الإشكال، وهو أن نحدثك بصراحة عن سبب ما وقع لك في جولتك القصيرة هذه في عالم الأسئلة

الكبرىٰ، أسئلة الوجود، والخلق، والكون، علىٰ حداثة سنك، وضعف خبرتك، فلك أن تتصوري سؤالا يردك من فتاة في مثل عمرك، تعبر عن قلقها واضطرابها في قضايا نحوية ابتدائية مثلا، كتعريف المبتدأ والخبر، والفرق بين العوامل، وهي لم تقطع شوطا في دراسة النحو من كتبه المعتمدة، ولم تنجز مراحل دراسة هذا العلم علىٰ معلم متقن، ولم تتعب في الحفظ والفهم المدرسي لهذا العلم، وإنما تلتقط معلومات من هنا وهناك، وتشطح شطحات كبيرة فتطالع في كتاب "سيبويه" في النحو، أو في حواشي شروح الألفية، أو في منازعات الكوفيين والبصريين، فأصابها الاضطراب في أساسيات هذا العلم، ولم تعد تضبط شيئا من مبانيه ومقاصده!

نسألك هنا سؤالا: من الملوم في حالة هذه الفتاة: هل هو علم النحو نفسه، فنستدل بذلك علىٰ أنه علم قاصر ومضطرب ومتناقض؟ أم أن النحاة الأوائل هم السبب؟ أم إن الفتاة هي المخطئة في منهجها في تلقي العلم، وطريقتها في القراءة والتفكر والتعلم، فلم تتدرج في مراقي العلوم بالطريقة المنهجية الصحيحة التي يسلكها كل متعلم؟

نعتقد أن جوابك سيكون هو الخيار الثالث؛ لأن كل من يبدأ مسيرته بطريقة خاطئة فلن يتمكن من إتمامها علىٰ الوجه الصحيح، فالعلم له مبانيه التركيبية المنتظمة، إذا تعاطاها المتعلم بطريقة عشوائية، يبدأ بالنهايات، ثم يرجع إلىٰ البدايات، ثم ينتقل أحيانا إلىٰ المتوسطة، هكذا بقراءات ذاتية من غير تأسيس ولا استعانة بأهل العلم أنفسهم، فلن يتم لهذا الطالب أو القارئ وصول إلىٰ نتيجة أبدا، إلا الحيرة والدهشة والعودة علىٰ الذات بالشكوك، والنقمة علىٰ العلم بالضعف والاضطراب.

وهكذا لو تصورتِ فتاة تسألك عن دقائق في علم الطب مثلا، وهي لم تدرس الطب في الجامعات المعتمدة، ولم تتعلمه علىٰ أيدي الأطباء الماهرين، وإنما تتوزع قراءتها بين المنتديات علىٰ شبكة الإنترنت، وتستمع إلىٰ تخليط المخلطين في كل مكان.

غرضنا من هذا المثال أن تقتنعي بخطأ منهجك في البحث وتعاطي العلم، فالأسئلة الوجودية الكبرىٰ التي تخوضين فيها هي تخصصات متكاملة تدرس في الجامعات والمعاهد الكبرىٰ، في تخصصات العقائد أو علوم الكلام أو الفلسفة أو علوم الفيزياء والكون ونحوها، يؤسَّس الطالب قبلها علىٰ دراسة مجموعة من العلوم الضرورية، وبعدها ينطلق في التفاصيل المعقدة ضمن خطة أكاديمية معروفة. ولكنك آثرت – للأسف – أن تذهبي مذهب العشوائية، واستماع كل من يتحدث بعلم أو بغير علم، وفهم كلامه بصواب أو بخطأ.

ونحن هنا لا نمنع علىٰ أحد أن يخوض في هذه القضايا الكلية الكبرىٰ، ولا أن يتعلمها ويقتحم فصولها. ولكننا ندعوه إلىٰ دخولها من أبوابها، والسير في المنهجية العلمية الأكاديمية الصحيحة في دراستها، تماما كما يتدرج الطبيب، والمهندس، وكل متخصص في تخصصه، حتىٰ إذا أتم فهم تخصصه بدأ يخوض في دقائقه عبر الدراسات العليا مثلا، ليشرع – إذا أنجزها – في النقد والتحليل والكتابة والمشاركة في إثراء هذا العلم بمعارفه وآرائه.

ونحن علىٰ يقين أنك ستدركين حقيقة ما نقول حين تعلمين خطأ ما وقعت فيه من نفي تراجع الملحدين عن إلحادهم، ونفي حصول الهداية لأي منهم، رغم اشتهار ذلك جدا بين المثقفين والمختصين، فمثلا محمد جلال كشك (ت١٩٩٣م) الذي تحول من الشيوعية المغرقة إلىٰ مفكر إسلامي من الطراز الرفيع، والمفكر الكبير الدكتور عبد الوهاب المسيري (ت٢٠٠٨م) الذي تحول من المادية المطلقة إلىٰ الإسلامية، والطبيب الدكتور مصطفىٰ محمود (ت٢٠٠٩م) الذي قضىٰ ثلاثين عاما في الشك إلىٰ أن تحول إلىٰ واحد من مشاهير الدعاة إلىٰ الإيمان والعلم.

ثم هذا الدكتور فاضل السامرائي، وهو أحد أبرز المشتغلين ببلاغة القرآن، وإعجازه البياني، يقص بنفسه قصة تحوله من الإلحاد إلى الإيمان، في لقاء متلفز يمكنك مشاهدته.

والفيلسوف البريطاني أنطوني فلو (ت٢٠١٠م) الذي قضى عمره ملحدا إلى أن كتب كتابه الشهير: (THERE IS A GOD)، أي "هناك إله".

وكثيرون غيرهم تراجعوا عن ماديتهم، أو إلحادهم، أو داروينتهم العشوائية، إلى التسليم بالربوبية أو الإلوهية، أو التصميم الذكي، أو الإسلام. يمكنك التوسع في القراءة عن حياة هؤلاء وغيرهم في شبكة الإنترنت، الأمر الذي سيعود عليك باليقين إن شاء الله بضرورة التأني في البحث، وسلوك طريق العلم الصحيح، والاستعانة بما كتبه هؤلاء الذين تراجعوا عن إلحادهم، ليصلوا إلى ما أنت عليه اليوم وجميع المسلمين من الإيمان بالخالق جل وعلا، الذي قال في محكم كتابه: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الزمر/ ٦٢، وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ غافر/ ٦٢، وقال سبحانه: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾الأنعام/ ١٠١، وكلها آيات جليلات واضحات على أن الله هو من خلق المادة الأولى للكون، لأنها "شيء"، والله خالق كل شيء، وموجد الوجود من العدم، وهو معنى اسمه تعالى "البارئ"، أو "الفاطر".

والواقع أن بإمكاننا هنا أن نرشدك إلى العديد من الكتابات والدراسات المنهجية في مناقشة الإلحاد وقضاياه، مثل مؤلفات الشيخ عبد الله بن صالح العجيري وفقه الله: ميليشيا الإلحاد، وشموع النهار، أو مؤلفات د. سامي عامري، أو الشيخ أحمد السيد، ومن الممكن أيضا الاستفادة، على وجه خاص بما ذكرت، من كتاب: "الفيزياء ووجود الخالق" للشيخ الدكتور جعفر شيخ إدريس.

لكننا إن أردت منا أن نخلص لك النصيحة، لا ندلك الآن، بعدما ذكرته لنا في سؤالك، وما بدأنا به جوابنا، لا ندلك إلا على القرآن الكريم:

أن تعودي إليه، لتقرئيه بتدبر وتفكر، وقلب خال من الشبهات، وسمع مصغ لآياته وبيناته وبراهينه، ومواعظه، وطوارقه.

وإن شئت أن نساعدك أكثر، فابدئي بسورة الرعد، فتدبريها، واقرئيها، واستمعي إليها، وأنصتي إليها.

ثم سورتي: الطور، والواقعة.

ثم سورتي الأنعام، والنمل.

ثم أعيدي الكرة في القرآن كله، قراءة، وتدبرا، وسماعا، وتنعما به، وتلذذا.

وأغلقي عنك أبواب المتابعات، والشبهات، والقيل والقال.

ونحن على يقين بأن ذلك كفيل بأن يشفي قلبك مما ألم به من وساوس الشياطين، وخطرات النفس.

نسأل الله أن يشرح صدرك، ويثبت الإيمان في قلبك، ويزيدك إيمانا، ويقينا، وهدى.

والله أعلم.

٢_ تفسير قوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾.

السؤال:

ما معنى الآية: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾؟ ما معنى "أحسن" هنا؟ هل تعني تمام الصورة والخلق والكمال؟ وكيف يكون ذلك مع وجود أشخاص غير كاملي الخلقة، فضلاً عن أنّ هذا المعنى يعني أنه لا يمكن أن يكون الخلق بأفضل صورة مما هو عليه، ولكننا نعلم أن الله قادر أن يخلق الناس بشكل أفضل إن أراد ذلك؟ وإن كان كل الخلق خير، فما قولكم في أفعال الشر التي يأتي بها الإنسان والتي خلقها الله أيضًا؟

الجواب:

الحمد لله

أولًا:

قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ السجدة/ ٦،٧.

ومعنى الإحسان هنا هو الإتقان، وليس المراد جمال الصورة.

فتكون هذه الآية كقوله تعالى:﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل/ ٨٨.

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالإحسان في الآية هنا هو جمال الصورة.

فتكون الآية حينئذ خاصة بالمخلوقات التي جَمَّلها الله تعالى.

قال القرطبي::

" (أَحْسَنَ) أَيْ: أَتْقَنَ وَأَحْكَمَ، فَهُوَ أَحْسَنَ مِنْ جِهَةِ مَا هُوَ لِمَقَاصِدِهِ الَّتِي أُرِيدَ لَهَا.

وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَىٰ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ: "لَيْسَتِ اسْتُ الْقِرْدِ بِحَسَنَةٍ، وَلَكِنَّهَا مُتْقَنَةٌ مُحْكَمَةٌ ". وَرَوَىٰ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: (أَحْسَنَ كُلَّ شي خَلَقَهُ) قَالَ: أَتْقَنَهُ.

وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وتعالىٰ: (الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) أَيْ لَمْ يَخْلُقِ الْإِنْسَانَ عَلَىٰ خَلْقِ الْبَهِيمَةِ، وَلَا خَلَقَ الْبَهِيمَةَ عَلَىٰ خَلْقِ الْإِنْسَانِ.

وَقِيلَ: هُوَ عُمُومٌ فِي اللَّفْظِ، خُصُوصٌ فِي الْمَعْنَىٰ، والمعنىٰ: حسّن خلق كل شي حَسَنٍ".

انتهىٰ من "تفسير القرطبي" (١٤/ ٩٠).

وهذه الآية الواردة في السؤال تشبه قوله تعالىٰ: (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ)، وفيها قولان للمفسرين.

قال النسفي في تفسيره (٣/ ٤٣٦):

" ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ أي جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه، بدليل أن الإنسان لا يتمنىٰ أن تكون صورته علىٰ خلاف ما يرىٰ من سائر الصور، ومن حسن صورته أنه خلق منتصباً غير منكب، ومن كان دميماً مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثمّ، ولكن الحسن علىٰ طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن، وقالت الحكماء: شيئان لا غاية لهما، الجمال والبيان" انتهىٰ.

وينظر "تفسير الرازي" (١٥/ ٣٦٥)، "تفسير النيسابوري" (٧/ ١٩٦).

وعلىٰ هذا؛ فمعنىٰ ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أي: أتقن، وهذا لا ينافي أن يكون من الخلق من هو قبيح الصورة أو مشوه.

ويحتمل أن يكون المراد بذلك حسن الصورة وجمالها.

ولا يعترض علىٰ ذلك بوجود بعض المخلوقات المشوهة أو القبيحة، لأنها لم تخرج عن الحسن، ولكن الحسن والجمال درجات، فهذه المخلوقات هي أحسن وأجمل مما

دونها وأقل منها جمالا، إلا أن جمالها لا يظهر لأننا نقارنها بما هو أجمل منها، ولو قورنت بما دونها في الجمال لظهر جمالها.

ثانيا:

أما كون الخلق يمكن أن يكون أفضل صورة مما هو عليه، فالله تعالى على كل شيء قدير، وقد خلق الملائكة في أحسن خلق وأكمله وأجمله، فلا يقال: لماذا لم يخلق الله الخلق كله على هيئة الملائكة؟ لأن هذا سوف يتنافى مع حكمة الله تعالى، فقد خلق الله تعالى كل شيء من المخلوقات لحكمة معينة ولتحقيق مصالح معينة أرادها الله تعالى، فخلق كل شيء من المخلوقات على الصورة التي تحقق تلك الحكمة والمصالح وأحكم خلقه وأحسنه، فلا مطمع أن يكون الخلق أحسن من هذا.

حتى الأمراض والكوارث والشر الذي يفعله الإنسان أو غيره من المخلوقات.. فكل ذلك خلقه الله وأتقنه وأحكمه.

فقد خلق الله المرض ليبتلي المريض هل يصبر ويرضى أم لا؟

وليبتلي السليم الصحيح: هل يشكر نعمة الله عليه أم لا؟

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ الفرقان/ ٢٠.

" فامتحن الأغنياء بالفقراء، والفقراء بالأغنياء، وامتحن الضعفاء بالأقوياء، والأقوياء بالضعفاء، والسادة بالأتباع، والأتباع بالسادة، وامتحن المالك بمملوكه، ومملوكه به، وامتحن الرجل بامرأته، وامرأته به، وامتحن الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، والمؤمنين بالكفار، والكفار بالمؤمنين " انتهى من "إغاثة اللهفان" (٢ / ١٦١).

وقال السعدي: في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه/ ٤٩، ٥٠.

" أي: ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعة من خلقه، من كبر الجسم وصغره وتوسطه، وجميع صفاته، ثُمَّ هَدَى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات فكل مخلوق، تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل، ما يتمكن به على ذلك.

وهذا كقوله تعالى:﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ فالذي خلق المخلوقات، وأعطاها خلقها الحسن، الذي لا تقترح العقول فوق حسنه، وهداها لمصالحها، هو الرب على الحقيقة، فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجودا، وهو مكابرة ومجاهرة بالكذب " انتهى من "تفسير السعدي" (ص ٥٠٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" فَالْمَخْلُوقُ بِاعْتِبَارِ الْحِكْمَةِ الَّتِي خُلِقَ لِأَجْلِهَا خَيْرٌ وَحِكْمَةٌ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ شَرٌّ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، فَذَلِكَ أَمْرٌ عَارِضٌ جُزْئِيٌّ، لَيْسَ شَرًّا مَحْضًا، بَلْ الشَّرُّ الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ الْخَيْرُ الْأَرْجَحُ هُوَ خَيْرٌ مِنْ الْفَاعِلِ الْحَكِيمِ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا لِمَنْ قَامَ بِهِ.

وَظَنُّ الظَّانِّ أَنَّ الْحِكْمَةَ الْمَطْلُوبَةَ التَّامَّةَ قَدْ تَحْصُلُ مَعَ عَدَمِهِ، إنَّمَا يَقُولُهُ لِعَدَمِ عِلْمِهِ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ، وَارْتِبَاطِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ، فَإِنَّ الْخَالِقَ إذَا خَلَقَ الشَّيْءَ، فَلَا بُدَّ مِنْ خَلْقِ لَوَازِمِهِ، فَإِنَّ وُجُودَ الْمَلْزُوم بِدُونِ وُجُودِ اللَّازِمِ مُمْتَنِعٌ " انتهى من "مجموع الفتاوى" (٨/ ٥١٢).

وقال أيضا:

" وَاللهُ تَعَالَىٰ، وَإِنْ كَانَ خَالِقًا لِكُلِّ شَيْءٍ، فَإِنَّهُ خَلَقَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الَّتِي بِاعْتِبَارِهَا كَانَ فِعْلُهُ حَسَنًا مُتْقَنًا، كَمَا قَالَ: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ) وَقَالَ: (صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)؛ فَلِهَذَا لَا يُضَافُ إِلَيْهِ الشَّرُّ مُفْرَدًا، بَلْ إِمَّا أَنْ يَدْخُلَ فِي الْعُمُومِ، وَإِمَّا أَنْ يُضَافَ إِلَى السَّبَبِ، وَإِمَّا أَنْ يُحْذَفَ فَاعِلُهُ ".

انتهى من "منهاج السنة النبوية" (٣/ ١٤٢).

والله تعالى أعلم.

٣_هل يوجد في القرآن ما ينص على أن الله كامل لا نقص فيه؟

السؤال:

هل يوجد في القرآن ما ينص على أن الله كامل لا نقص فيه؟ وإن لم يوجد هناك نص، فهل يؤمن المسلمون أن الله كامل لا نقص فيه؟

الجواب:

الحمد لله

أولا:

المسلمون مجمعون على الاعتقاد بأن الله تعالى متصف بأقصى ما يمكن من الكمال، وأنه منزه عن كل نقص مهما خف وقلّ، وأقوال علماء المسلمين متواترة على اتصاف الله تعالى بالكمال المطلق، ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية: تعالى:

" الكمال ثابت لله، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه؛ فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وأن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية، مع دلالة السمع – أي نصوص الوحي - على ذلك " انتهى من " مجموع الفتاوى " (٦ / ٧١).

ويقول: " فالإجماع منعقد على أنه تعالى لا يوصف بغير صفة الكمال" انتهى من "بيان تلبيس الجهمية" (٢/ ٣٣٠).

ويقول: " ومما يبين الأمر في ذلك: أن المسلمين متفقون على تنزيه الله تعالى عن العيوب والنقائص، وأنه متصف بصفات الكمال؛ لكن قد يتنازعون في بعض الأمور:

هل النقص في إثباتها، أو نفيها، وفي طريق العلم بذلك. " انتهى من " منهاج السنة النبوية" (٢/ ٥٦٣).

ويقول أيضا: " ومعلوم أن الإجماع على تنزيه الله تعالى عن صفات النقص، متناول لتنزيهه عن كل نقص من صفاته الفعلية وغير الفعلية " انتهى من "درء تعارض العقل والنقل" (٤/ ٨٩).

ثم إن هذا أيضا ما تقضي به العقول السليمة؛ فكيف يعبد الإنسان ربا، لا يعتقد فيه الكمال المطلق، أو يظن أن يتطرق النقص إلى ذاته، أو شيء من صفاته؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" النقص منفي عنه عقلًا، كما هو منفي عنه سمعًا، والعقل يوجب اتصافه سبحانه بصفات الكمال، والنقص هو ما ضادَّ صفات الكمال" انتهى من "شرح الأصبهانية" (٤١٢).

ثم هو أيضا مقتضى الفطر السليمة التي لم تفسد، ولم تغير عن أصل خلقتها؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم/ ٣٠

قال شيخ الإسلام::

" الإقرار بالخالق وكماله يكون فطريا ضروريا في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة.

وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس، عند تغير الفطرة، وأحوال تعرض لها." انتهى. "مجموع الفتاوى" (٦/ ٧٣).

ثانيا:

فكما سبق من كلام شيخ الإسلام، فإن نصوص الوحي ومنها آيات القرآن قد دلت على إثبات الكمال لله تعالى.

لكن مما يجب الانتباه إليه بداية؛ هو أن المعاني لأي كتاب لا تؤخذ فقط من ظواهر ألفاظه بل تراعى أيضا طرقا أخرى؛ ومن الطرق التي اتفق عليها العقلاء في كل ملة أن المعاني تؤخذ أيضا بالاستقراء وبالإشارة ومن سياق النص وروحه ومن الدلالات المعتبرة لألفاظ النص.

فإذا راعينا هذا؛ فإنه يمكن القول أن صفة الكمال وإن لم تأت بهذا اللفظ في القرآن إلا أن آيات القرآن قد دلت عليها من عدة أوجه؛ ومن أهمها وأوضحها:

الوجه الأول: بالاستقراء لنصوص القرآن الكريم نجد أن الله تعالى قد وصف نفسه بصفات الكمال.

وقد سمى الله تعالى نفسه بكثير من صفات الكمال هذه ثم وصف أسماءه هذه بالحسنى في عدد من آيات القران؛ ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ١٨٠.

فإذا كان الله تعالى متصفا بغاية الكمال في الحسن، لزم من هذا انتفاء ما يضادها من الأوصاف الناقصة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: تعالى:

" وبالجملة فالسمع قد أثبت له من الأسماء الحسنى وصفات الكمال ما قد ورد، فكل ما ضاد ذلك فالسمع ينفيه، كما ينفي عنه المثل والكفؤ، فإن إثبات الشيء نفي لضده، ولما يستلزم ضده، والعقل يعرف نفي ذلك، كما يعرف إثبات ضده، فإثبات أحد الضدين نفي للآخر ولما يستلزمه.

فطرق العلم بنفي ما ينزه الرب عنه متسعة " انتهى من " مجموع الفتاوى " (٣ / ٨٤).

ولهذا عقب الله تعالى على هذا الوصف – بأن له الأسماء الحسنى – في آية أخرى بأن أثبت أنه المستحق للتسبيح.

فقال تعالى:

﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الحشر: ٢٤.

والتسبيح: في اللغة: هو التنزيه.

قال ابن الأثير: تعالى:

" وأصل التسبيح: التنزيه والتقديس والتبرئة من النقائص، ثم استعمل في مواضع تقرب منه اتساعا " انتهى. " النهاية في غريب الحديث " (٢ / ٣٣١).

فإذا كانت صفات الله كلها بالغة في الحسن غاية الكمال، وهو سبحانه منزه مع ذلك عن كل ما يعيب. فهذا دليل من القرآن واضح على كمال الله ﷻ.

الوجه الثاني:

جاءت آيات قرآنية كثيرة بتسبيح الله تعالى والأمر بذلك، والتسبيح في اللغة كما سبق هو التنزيه، وتنزيه الله تعالى يتضمن نفي كل نقص، فإذا نفي كل نقص عن الله تعالى، لم يبق من صفاته إلا ما يدل على الكمال.

ولاقتضاء التنزيه لكمال الله تعالى، اقترن به في عدد من الآيات حمد الله لأنه يشعر بهذا الكمال بل يستلزمه.

كما في قوله تعالى:

﴿سُبۡحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ *وَسَلَامٌ عَلَىٰ ٱلۡمُرۡسَلِينَ *وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَالَمِينَ﴾ الصافات (١٨٠ – ١٨٢).

قال ابن كثير: تعالى في تفسير هذه الآية:

" ينزه تعالى نفسه الكريمة ويقدسها ويبرئها عما يقوله الظالمون المكذبون المعتدون...

﴿ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَالَمِينَ ﴾ أي: له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال.

ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص، بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة، ويستلزم التنزيه من النقص؛ قرن بينهما في هذا الموضع، وفي مواضع كثيرة من القرآن " انتهى من " تفسير ابن كثير " (٧ / ٤٦).

الوجه الثالث:

إذا علمنا كما سبق أن الله نزه نفسه عن كل نقص، وأن هذا يلزم منه أنه لا يتصف إلا بما يُحمد عليه، فإن الله تعالى أخبر أنه في هذه الصفات المحمودة عال على صفات خلقه، لا يدركه فيها أحد، وهذا غاية الكمال.

فقال الله تعالى في بيان علوه على خلقه بذاته وصفاته:

﴿فَٱدۡعُوا ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَافِرُونَ * رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ﴾ غافر (١٤ – ١٥).

وقال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَأُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ الروم (٢٧).

ونفى أن يشابهه أحد من خلقه فقال تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ الشورى (١١).

وهذا كله يشير إلى غاية الكمال في صفات الله تعالى.

الوجه الرابع:

أن الله سمى نفسه بأسماء، كل واحد منها يدل على عموم كماله تعالى وبراءته من النقائص؛ ومن ذلك:

١ - القدوس.

قال الله تعالى:

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ الجمعة (١).

قال ابن الأثير: تعالى:

" في أسماء الله تعالى " القدوس ": هو الطاهر المنزه عن العيوب. وفُعُّول: من أبنية المبالغة " انتهى. " النهاية " (٤ / ٢٣).

٢ - السّلام.

قال الله تعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾ الحشر (٢٣).

قال ابن القيم: تعالى:

" ولما كان " السلام " اسما من أسماء الرب تبارك وتعالى، وهو اسم مصدر في الأصل - كالكلام والعطاء – بمعنى السلامة، كان الرب تعالى أحق به من كل ما سواه؛ لأنه السالم من كل آفة وعيب ونقص وذم، فإن له الكمال المطلق من جميع

الوجوه، وكماله من لوازم ذاته، فلا يكون إلا كذلك، والسلام يتضمن سلامة أفعاله من العبث والظلم وخلاف الحكمة، وسلامة صفاته من مشابهة صفات المخلوقين، وسلامة ذاته من كل نقص وعيب، وسلامة أسمائه من كل ذم؛ فاسم " السلام " يتضمن إثبات جميع الكمالات له وسلب جميع النقائص عنه " انتهى من " أحكام أهل الذمة " (١ / ٤١٣ – ٤١٤).

٣- الصمد.

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾الإخلاص (١ – ٢).

روى الطبري في "تفسيره" (٢٤/ ٧٣٦)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: {الصَّمَدُ} [الإخلاص: ٢] يَقُولُ: «السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدَدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ عَظُمَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي غِنَاهُ، وَالْجَبَّارُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي جَبَرُوتِهِ، وَالْعَالِمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدَدِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ صِفَتُهُ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ».

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: تعالى:

" قال بعض العلماء: الصمد السيد، الذي يلجأ إليه عند الشدائد والحوائج.

وقال بعضهم: هو السيد الذي تكامل سُؤْدُدُه، وشرفه، وعظمته، وعلمه، وحكمته.

وقال بعضهم: " الصمد " هو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد؛ وعليه فما بعده تفسير له.

وقال بعضهم: هو الباقي بعد فناء خلقه.

وقال بعضهم: " الصمد " هو الذي لا جوف له، ولا يأكل الطعام...

من المعروف في كلام العرب إطلاق الصمد على السيد العظيم، وعلى الشيء المصمت الذي لا جوف له...

فإذا علمت ذلك، فالله تعالى هو السيد الذي هو وحده الملجأ عند الشدائد والحاجات، وهو الذي تنزه وتقدس وتعالى عن صفات المخلوقين، كأكل الطعام ونحوه، ﷻ عن ذلك علوا كبيرا " انتهى من " أضواء البيان " (٢ / ٢٢٠ - ٢٢١).

٤- الحميد:

قال الله تعالى:

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ فاطر / ١٥.

قال الخطابي: تعالى:

" الحميد: هو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله، وهو فَعِيْل بمعنى مَفْعولٍ، وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ؛ فهو محمود على كل حال " انتهى من " شأن الدعاء " (ص ٧٨).

والحاصل: أن كمال الله تعالى قد دل عليه القرآن من أوجه عديدة.

والله أعلم.

***

٤_ أيهما أسوء وأشد كفرا: فرعون، أم أبو لهب؟!

السؤال:

كنت أتناقش مع أحد الأصدقاء عمن هو أسوء البشر، فقلت: هو فرعون؛ لأنه ادعى الربوبية، ورفض تسع آيات بينات جاء بها موسى عليه السلام، وقد نجّى الله جسده ليكون آية للناس، ويُحشر يوم القيامة مع هامان، ويُدخل أشد العذاب، ولكن صاحبي خالفني الرأي فقال: إن أسوء إنسان هو أبو لهب؛ لأن سورة بأكملها في القرآن وردت في ذمه، ولأنه آذى النبي صلى الله عليه وسلم أشد الإيذاء، ولكني لا أعتقد أنه في نفس درجة فرعون من السوء، فما رأيكم؟

الجواب:

الحمد لله

أولا:

الانشغال بمثل ذلك والجدال فيه، يضيع على المسلم أوقاتا وجهدا كان يمكنه أن ينفقها فيما هو أنفع له وللمسلمين حوله.

فالمسلم يحتاج إلى معرفة أكمل الناس إيمانا وأحسنهم أخلاقا حتى يقتدي بهم، ويعمل مثل أعمالهم، أكثر من حاجته لمعرفة أشد الناس كفرا

ما دام قد تقرر عند المسلم: أن الشخصين المذكورين: هما كافران بالله، عدوان له، قد توعدهما الله في كتابه بأشد العذاب.

لكن إذا كان قصد المسلم بهذا معرفة هؤلاء ليكون أشدا حذرا من أفعالهم، ويحذر الناس منها فلا بأس بذلك.

ثانيا:

إذا نظرنا إلى هذين الرجلين وأقوالهما وأعمالهما، وما نزل فيهما من آيات في القرآن الكريم، فإننا لا نشك أن فرعون أشد كفرا وعتوا من أبي لهب؛ فإنه كان قد ادعى الربوبية والألوهية، ودعا الناس إلى تقديسه وتعظيمه، واستخف قومه فأطاعوه، وأضل جنده فنصروه، وعادى أولياء الله، وعذب الناس، وذبح أبناءهم، واستحيا نساءهم، ولم يُذكر جبار متكبر في القرآن كما ذكر هذا الطاغية، فذُكر بقبيح أقواله وأفعاله، وذكر بظلمه وعتوه وجبروته، وذكر بإضلاله الناس وإغوائهم، وذكر بمصيره السيء يوم القيامة، قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾غافر/ ٤٦.

أما أبو لهب: فقد كفر بالله وبرسوله، وعادى على ذلك، ووالى على ذلك، ومات على كفره وخسرانه، ولم يكن له نكاية في المؤمنين كما كان لفرعون، ولا كان في الكفر كما كان فرعون الذي ادعى الربوبية والألوهية وقال: (أنا ربكم الأعلى)، وقال: (ما علمت لكم من إله غيري).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" وَقَدْ عُلِمَ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ أَهْلِ الْمِلَلِ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: أَنَّ فِرْعَوْنَ مِنْ أَكْفَرِ الْخَلْقِ بِاَللَّهِ؛ بَلْ لَمْ يَقُصَّ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ قِصَّةَ كَافِرٍ بِاسْمِهِ الْخَاصِّ أَعْظَمَ مِنْ قِصَّةِ فِرْعَوْنَ، وَلَا ذَكَرَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الْكُفَّارِ مِنْ كُفْرِهِ وَطُغْيَانِهِ وَعُلُوِّهِ: أَعْظَمَ مِمَّا ذَكَرَ عَنْ فِرْعَوْنَ " انتهى من " مجموع الفتاوى " (٢/ ١٢٥). والله تعالى أعلم.

٥ _ كتب في بيان عظمة الخالق جل وعلا

السؤال:

أريد بعض أسماء الكتب التي تتكلم عن عظمة الخالق ﷻ، وأسماء كتب لزيادة اليقين.

الجواب:

الحمد لله

عظمة الخالق جل وعلا لا يبلغ العبادُ الفقراء العاجزون الحديث عنها، ولا الخوض في قدرها، وكيف يفعلون وهم أضعف وأعجز عن الاستقلال بشيء من أسبابهم وحقائقهم، فكيف بالحديث عن خالقهم ذي الجلال والجمال والكمال المطلق، الذي قال في كتابه الكريم: ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الحشر/ ٢١ – ٢٤.

وما يمكن أن يستوعبه العبد القاصر من عظمة الله تعالى: نزر يسير، بقدر ما تتيح له فهمه للنصوص الواردة، مع قدرته العاجزة، وعلومه القاصرة، وبقدر ما هو ممكن في حدود معارف الدنيا الفانية وأسبابها.

وما يمكن أن ننصحك بالاطلاع عليه، والعناية بقراءته والتأمل فيه، وتكرار التباحث بمضمونه والحوار حوله، الكتب الآتية:

١. العظمة، للشيخ الدكتور عائض القرني، طبعته مكتبة العبيكان، ١٤٢٣ه، ٢٠٠٣م، والكتاب يقع في نحو الثلاثمائة صفحة، ملأه مصنفه بالنماذج التي تقرب لنا بالمثال عظمة الله سبحانه وتعالى، في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وتدبيره، وخلقه، وألوهيته، وربوبيته، وجلاله، وجماله، فحشد في الكتاب من الآيات والأحاديث والآثار والأقوال ما يعين القارئ على تفهم قدر من هذه العظمة، بحسب ما أخبر الخالق عن نفسه في كتابه، وما يمكن للإنسان أن يقف عليه مما يراه حوله في حياته.

فهو كتاب جدير بالعناية والقراءة مرات عدة، يمتاز بسهولة عبارته، وكثرة أدلته وأمثلته، وأسلوبه المقنع الجذاب، ولغته العلمية السهلة.

وقد جاء في مقدمة محقق الكتاب (ص١٠-١١) قوله:

" العظمة تبسيط لمجمل العقيدة، وماهية التوحيد، وحقيقة الإيمان، وضوابط الانقياد، من خلال جولة قلبية في الحياة الكونية، التي تقرر الحقيقة الإلهية بالآيات الربانية.

مقصود العظمة وهدفها: زرع التوحيد الخالص لله في صور تطبيقية، وحفظ الأحكام الشرعية، لا التراكيب المتنية، وإقامة الحجة على العقول البشرية للاعتراف بالصفات الإلهية.

وكنت على يقين قبل قراءتي للعظمة أنني سوف أقرأ كتابا متنيا، ولكن فوجئت أن العظمة ملحمة أدبية شرعية، بروح العقيدة السلفية.

والعظمة يصلح أن يكون عمدة في إقناع غير المسلمين بالإسلام؛ لأنه يخاطب الفطرة الإنسانية بما يوافق المنطق العقلي، ليقنع الإنسان بتوحيد الرب جل وعلا.

فأقام الحجة على العقل بدلائل مرئية، وعبارات مركزة قوية، ولذلك أرى – والله أعلم – أن كتاب العظمة في هذا الشأن سوف يترك أثرا كبيرا في دعوة غير المسلمين.

وقلم العظمة وضع صورا مختلفات، وآيات كثيرات يقنع بها أهل الملة والدين، ليزدادوا معرفة بربهم، وهذه الآيات الإلهية والشواهد المرئية تجعل النفس أكثر انقيادا، وأشد حرصا على اتباع ما أمر به الله ﷻ، والكف عما نهى عنه، تعظيما وإجلالا لصاحب العزة والجبروت.

وهذه المقدمة كان لا بد منها لتوضيح الخطوط العريضة لمضمون كتاب العظمة، حتى نستفيد منها ونقرأ ونعي، ثم نجتهد ونعمل ونطبق، فالهدف هو العمل والتطبيق، وليس القراءة والإعجاب " انتهى.

٢. عظمة الله تعالى عزوجل، للدكتور محمد موسى الشريف، طبعته دار ابن كثير، يقع في نحو الثلاثمائة صفحة، وقد حشد فيه المصنف روائع مظاهر عظمة الله تعالى من الكتاب والسنة وأقوال الصالحين، وآفاق الكون وعالم الغيب والشهادة، يتنقل بقارئه بين المحطات بأسلوب سلس وعبارة رشيقة، ننصح السائل بقراءته والتأمل فيه.

٣. العظمة، لأبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، طبعته دار العاصمة في الرياض عام (١٤٠٨هـ)، بتحقيق رضاء الله المباركفوري. يقع الكتاب في مجلدات خمسة، سرد فيها مؤلفها سردا مسهبا ومطولا جدا في ذكر بديع مظاهر عظمة الله ﷻ، في خلقه الكون والإنسان والحيوان، ومعاني قيوميته عليهم، وتدبيره شؤونهم، كلها أمثلة من الآيات الكريمات، والأحاديث الشريفة المسندة، والأقوال المأثورة، ولكن مع التنبه إلى وقوع الأحاديث الضعيفة التي بينها المحقق في الحاشية.

٤. العظمة في كل مكان، للباحث هارون يحيى، وهو كتاب متعمق في العلوم الطبيعية، يكشف فيه دقيق صنع الله y وخلقه، في الخلية، والفلك، والإنسان، والحيوان، والنبات، يفصل في عجائب المخلوقات، وما هداها الله سبحانه إليه في شؤونها.

٥. المجلد الثاني من كتاب " مفتاح دار السعادة " للعلامة ابن قيم الجوزية، فهو في معظمه مخصص للحديث عن التفكر في خلق الله، وآيات عظمته وبديع خلقه y، وقد أفاض ابن القيم: في ضرب الأمثلة، وتنويع العبارة وفيض الأدلة، بأسلوب سهل ماتع، ننصح بقراءته والاطلاع عليه.

٦. كتاب "العقيدة في الله " للدكتور عمر سليمان الأشقر، فإنه لخص كلام ابن القيم وهذبه وزاد عليه بعض أشياء.

٧. ومن أهم ما يمكن الرجوع إليه أيضا الأفلام الوثائقية التي عرضتها قناة المجد الوثائقية، أو القنوات المحافظة الأخرى، والتي خصصت لعرض عجائب المخلوقات بالصوت والصورة والحركة والتقرير العلمي المختص، فما ورد فيها يبعث في نفس المشاهد الغاية في إدراك أسرار الخلق والاستدلال بها على عظمة الخالق، والانتقال من آيات الكون المنظور إلى عظمة الخالق الفاطر جل وعلا.

ولا شك أن الاطلاع على المصادر والمراجع السابقة، وكثرة قراءتها ومذاكرتها تورث يقينا وطمأنينة، وتثبت الإيمان القلبي المركوز في الفطرة السليمة، وذلك في وجه التشكيك المتوهم المنتشر في الآفاق اليوم.

والله أعلم.

***

٦ _ من كفر بالله فهو في نار جهنم خالدا فيها أبدا

السؤال:

كل شيء في الإسلام تام ومكتمل لأنه من الله تعالى، وعدالة الله لا خلاف حولها. ولكني سمعت كافرا ذات مرة يتحدث عن مسألة خلود الكفار في النار فأثار ذلك فضولا في نفسي للسؤال. لقد قال بأن خلودهم في النار لا ينم عن عدالة، إذ كيف يعاقبون عقابا أبديا بسبب جرم محدود غير أبدي وهو الكفر في الدنيا. والمسلمون يردون على مثل هذه الشبه بقولهم: هم من اختاروا الكفر لأنفسهم. فيرد أولئك: نحن لم نختر شيئاً على الإطلاق، بل وجدنا أنفسنا على هذه الحالة، ولا نعرف حتى وجود شيء اسمه النار. فكيف نرد على شبههم حول هذه المسألة؟ وهي في الحقيقة مسألة ترد على ذهني كثيرا وإن كنت أؤمن إيمانا جازما بأن الله لا يظلم الناس شيئا. فأرجو الشرح والتوضيح.

الجواب:

الحمد لله

أولاً:

قد سبق في الموقع الرد على هذه الشبهة، وأنها من سفسطة الدهريين، الذين لا يؤمنون بحساب ولا عذاب أصلا، ولا يؤمن ببعث ولا قيامة، كما قال الشيخ الشنقيطي::

"وأما سفسطة الدهريين التي ذكرها – أي: ابن القيم – استطراداً: فقد تولى الله تعالى الجواب عنها في محكم تنزيله، وهو الذي يعلم المعدوم لو وُجد كيف يكون، وقد علم في سابق علمه أن الخُبث قد تأصل في أرومة هؤلاء الخبثاء بحيث إنهم لو عُذبوا القدّر من الزمن الذي عصوا الله فيه ثم عادوا إلى الدنيا لعادوا لما يستوجبون به

العذاب، لا يستطيعون غير ذلك، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾".

ثانياً:

من المعلوم: أن الله تعالى قد خلق الإنسان لعبادته ﷻ وخلق للإنسان كل شيء، فلا ينبغي للإنسان أن يشغل بما خلق له عما خلق من أجله، قال سبحانه وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الذاريات/ ٥٦.

فمهمة الإنسان وغاية وجوده عبادة الله - سبحانه وتعالى - فإن تشاغل الإنسان عنها حق عليه العذاب.

وقد أرسل إلى البشر الأنبياء والمرسلين؛ ليوضحوا للبشرية طريق الهداية: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ النساء/ ١٦٥.

وأخبرهم على لسان رسله: أنه من حاد عن سبيله، وأشرك بربه: فإن جزاءه جهنم خالدا فيها، وأنه لا نصيب له في جنة رب العالمين:

﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ المائدة/ ٧٢.

وأخبر أنه لا يسوي بين المحسن والمسيء، بل هذا من سوء الظن بالله وحكمته:

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ ص/ ٢٨.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ غافر/ ٥٨.

وأخبر أنه خص برحمته يوم القيامة أهل الإيمان به، والتصديق لرسله:

﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأعراف/ ١٥٦.

وفي صحيح مسلم (٢٧٥٢): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وينظر للفائدة:

http://www.kalemasawaa.com/vb/showthread.php?t=23598

وحينئذ، فمن كفر، فقد كفر عن بينة، واختار لنفسه ذلك المصير الذي حتمه الله علىٰ أهل الكفر، وقد بين الله تعالىٰ له الطريقين، وهداه السبيلين، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر؛ فاختار هو لنفسه الكفر عن بصيرة، وهو يعلم أين يذهب به عمله؛ فأي ظلم لمثل هذا إذا أتىٰ علىٰ ربه وقد عانده عمره كله، ولو أمكنه أن يعانده عمر إبليس، لما انتهىٰ عن كفره وعناده، بل بقي علىٰ ذلك دهر الداهرين، كما بقي عليه إمام الفجار، إبليس اللعين.

ثالثاً:

وأما شبهة أن الكفار وجدوا أنفسهم علىٰ هذه الحالة، فيقال فيها:

إن من وجد نفسه على حالة الفقر، فإنه لا يرضى لنفسه مثل هذه الحجة، بل يسعى ليكتسب من نعيم الدنيا ورزقها، ما يرجو به تغيير حاله

ومن وجد نفسه على حالة المرض، يسعى لينقل نفسه إلى حال الصحة والعافية.

وهكذا العاقل، متى وجد نفسه على حالة من الضلالة والغي، وجب عليه أن يسعى ليخرج نفسه من الظلمات إلى النور، وأن يتلمس موارد الهدى، وسبل السلام. وإلا، فهذه حجة الكفار من جميع الأمم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ المائدة/ ١٠٤.

وقال تعالى: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ* قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الزخرف/ ٢١-٢٥.

وحينئذ، فمن بلغته رسالة الرسول على الوجه الذي تقوم به الحجة عليه: فقد انقطع عذره عند الله، ولم يبق له حجة بعد ذلك يحتج بها، بل الواجب عليه أن يتبع الهدى، أيا ما كان دينه قبل ذلك: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ النساء / ١٦٥.

وقال تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء / ١٥.

وأما من نشأ بمكان لم تبلغه فيه دعوة الرسول، أو وصلته مشوهة، لم تتبين محجتها، ولم تقم بمثلها عليه الحجة، فهذا أمره إلى الله في الدار الآخرة، وقد وعد الله تعالى ألا يعذب عباده من غير البلاغ المبين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" ولا يدخل الجنة إلا أهل التوحيد، وهم أهل " لا إله إلا الله "؛ فهذا حق الله على كل عبد من عباده، كما في الصحيحين من حديث: معاذ أن النبي ﷺ قال له: (يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: حقه عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا) الحديث.

فلا ينجون من عذاب الله إلا من أخلص لله دينه وعبادته، ودعاه مخلصا له الدين.

ومن لم يشرك به ولم يعبده: فهو معطل عن عبادته وعبادة غيره، كفرعون وأمثاله، فهو أسوأ حالا من المشرك؛ فلا بد من عبادة الله وحده، وهذا واجب على كل أحد، فلا يسقط عن أحد البتة، وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله دينا غيره.

ولكن لا يعذب الله أحدا حتى يبعث إليه رسولا، وكما أنه لا يعذبه، فلا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة مؤمنة، ولا يدخلها مشرك ولا مستكبر عن عبادة ربه؛ فمن لم تبلغه الدعوة في الدنيا امتحن في الآخرة، ولا يدخل النار إلا من اتبع الشيطان، فمن لا ذنب له لا يدخل النار، ولا يعذب الله بالنار أحدا إلا بعد أن يبعث إليه رسولا؛ فمن لم تبلغه دعوة رسول إليه، كالصغير والمجنون والميت في الفترة المحضة: فهذا يمتحن في الآخرة، كما جاءت بذلك الآثار.". انتهى، من "مجموع الفتاوى" (١٤/ ٤٧٦-٤٧٧).

والله أعلم.

٧_هل يجوز أن يقال: " قبل أن توجد الديانات خلق الله الإنسان "؟

السؤال:

شخص ما كتب هذه الجملة: " قبل أن توجد الديانات، خلق الله الإنسان " وطلب الرد عليه بالبراهين لنفيها، فما مدى صحة هذا الكلام؟

الجواب:

الحمد لله

هذه العبارة باطلة، وبيان بطلانها بما يلي:

- أن الله تعالى خلق كل إنسان على الفطرة، وهي الإيمان بخالقه والإسلام له، قال تعالى: ﴿ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾ الروم/ ٣٠.

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: « إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ (أي أخرجتهم عن دينهم) وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا » رواه مسلم (٢٨٦٥).

وقال النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ » رواه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (٤٨٠٣)، وفي رواية لمسلم (٤٨٠٥): « مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ ».

فكل إنسان خلقه الله إنما خلقه مسلما، حتى يؤثر فيه والداه، أو يبلغ ذلك الإنسان ويختار لنفسه ما يدين به.

- أن الإسلام وهو دين الله الحق موجود قبل خلق الإنسان، فإن الملائكة مخلوقة قبل الإنسان، وهم مسلمون، لأن حقيقة الإسلام: الإذعان والانقياد لله تعالى مع المحبة والتعظيم، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾البقرة/ ٣٠.

وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾آل عمران/ ١٨.

وقال تعالى: ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾النساء/ ١٧٢.

- أن آدم عليه السلام، أبو البشر وأول إنسان خلقه الله إنما خلقه الله مسلما موحدا، وكلمه وجعله نبيا، فلم يخلقه الله إنسانا بلا دين، ثم تعلم الدين، بل استمرت البشرية كلها من ذرية آدم إلى عهد نوح عليهما السلام على توحيد الله تعالى وطاعته ومحبته وتعظيم أمره، لم يتنازعوا ولم يختلفوا في ذلك، حتى ظهر ذلك الاختلاف والتنازع وبداية الانحراف عن التوحيد في عهد نوح عليه السلام، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: " كَانَ بَيْنَ نُوحٍ، وَآدَمَ، عَشَرَةُ قُرُونٍ، كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ (وفي رواية: كُلُّهُمْ عَلَى الإِسْلَامِ) فَاخْتَلَفُوا، (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) ".

انظر: " تفسير الطبري " (٣/ ٦٢١)، " تفسير ابن كثير " (٣/ ٤٣١).

- أن هذه المقالة صحيحة بالنسبة لجميع الأديان إلا الإسلام، فإنها كلها ديانات حادثة اخترعها الإنسان، فهي من صنع الإنسان، هو الذي رتبها ورتب طقوسها وأعيادها.. إلخ.

أما الإسلام والتوحيد، فتوحيد الله تعالى سابق على كل شيء، «اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ» هكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يثني على الله تعالى فيما رواه البخاري (٤٨٨٨)، ومسلم (٢٧١٣).

- أن الرسالة النبوية إنما جاءت لهداية الناس وتعليمهم أمر ربهم، ولولا هذه الرسالات السماوية، واتباع كثير من الناس لها، لنزل العذاب بالإنسان، ولما كان له وجود في هذه الحياة، ولعم الأرض الخراب، ولفسدت السموات والأرض ومن فيهن، قال تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾المؤمنون/ ٧١.

فلولا الإيمان والدين لكان وجود الحيوانات والجمادات والنباتات أكرم من وجود الإنسان، فالإنسان بغير دين الإسلام شر مخلوق على وجه الأرض.

- ثم أخيرا.. ماذا يريد قائل هذه العبارة بكون الإنسان وجد قبل الدين؟ فلا يعنينا من وجد أولا! الذي يعنينا هو: هل الدين (الإسلام) أمر الله به أم لا؟

وهل طاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أمر الله بها أم لا؟

وهل هناك دين على وجه الأرض الآن هو الحق وكل ما عداه باطل إلا الإسلام أم لا؟

وهل يدخل كل من أعرض عن التوحيد وعن طاعة الله تعالى وعن الإسلام النار ويخلد فيها أم لا؟

هل أمرنا الله تعالى أن نعيش حياتنا كلها على وفق شرعه أم لا؟

هذا هو الذي يعنينا سواء وجد الإنسان قبل الدين أم وجد بعده.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه.

٨ـ التحذير من رسالة: حوار بين الله والإنسان !!

السؤال:

ما حكم هذه الرسالة، رسالة أبكتني حقا: حوار بين الله والإنسان: الله: عبدي، قم وصل صلِ صلاة الليل المكونة من ١١ ركعة؟ العبد: الهي ! أنا متعب ! لا أستطيع. الله: عبدي، فقط ركعتين صلاة الشفع وركعة الوتر؟ العبد: الهي! أنا متعب، ويصعب علي الجلوس في منتصف الليل. الله: عبدي قبل أن تنام صل هذه الثلاث الركعات؟ العبد: يا رب إن ثلاث ركعات كثيرة. الله: عبدي صل فقط ركعة الوتر؟ العبد: الهي ! اليوم متعب جدا ! ألا يوجد طريق آخر؟.... وهكذا، في رسالة طويلة، إلى أن تقول الملائكة: يا رب، ألا تريد أن تغضب عليه؟ الله: عبدي ليس له أحد سواي لعله تاب..... إلى آخر حوار طويل، جاء في هذه الرسالة؟!

الجواب:

الحمد لله

هذه الرسالة هي ضرب من الكذب؛ بل هي من أشنعه وأرداه لصاحبه: أن يتوهم العبد من عنده كلامه، ثم ينسبه لرب العالمين؛ وقد قال الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) البقرة/ ١٦٨-١٦٩، وقال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف/ ٣٣؛ فبأي علم، وبأي سلطان من الله، يقضي القائل على ربه أنه قال لعبده هذا الحوار، بغض النظر عما إذا كان مضمونه حقا، أو باطلا، خطأ أو صوابا؟!

وقد حذر الله عباده من أن يتبعوا أمرا، لم يأتهم منه علم ولا برهان؛ فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

الإسراء/ ٣٦، وإذا كان النبي ﷺ قد قال ـ كما رواه البخاري (١٢٢٩) ومسلم (٤) ـ: « إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »؛ فكيف بمن كذب على الله ﷻ، وتقول عليه قولا، من غير برهان عنده، وسلطان: أنه الله قد قاله؟!

وانظر، كيف أن الله تعالى قد جعل التقول عليه، وافتراء الكذب على الله، قرينا لتكذيب آياته وكتابه؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الأنعام/ ٢١.

والآيات في ذلك المعنى كثيرة معلومة.

ثم لا حاجة بنا بعد ذلك إلى أن تتبع ما في هذا الكلام من السماجة، وسوء الأدب، والتكلف؛ فمثل هذا الكلام: صوابه وخطؤه سواء؛ فلا يحل لعبد أن ينسب إلى مقام الله شيئا، لم يأته برهان من الوحي به

وأما أنه أبكى فلانا، أو نفع فلانا؛ أو ما إلى ذلك؛ فكان ماذا؟!

أوليس الرهبان، وأشباههم يبكون، ويخشعون، ويترهبون، ويتعبدون؟!

فكان ماذا؟!

وقد قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ الغاشية/ ١-٧.

قال ابن كثير:

" قَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ أَيْ: ذَلِيلَةٌ. قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَخْشَعُ وَلَا يَنْفَعُهَا عَمَلُهَا !!

و قَوْلُهُ: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ أَيْ: قَدْ عَمِلَتْ عَمَلًا كَثِيرًا، وَنَصَبَتْ فِيهِ، وَصَلِيَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا حامية." انتهى من "تفسير ابن كثير" (٨/ ٣٨٤)

والواجب أن يحذر العبد من تلاعب الشيطان به، وتزيينه الباطل، بشيء من الخشوع، أو البكاء، أو الكلام المنمق والمزوق؛ ففي كتاب الله ووحيه ما يغني عن ذلك؛ وقد قال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ الزمر/ ٢٣.

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينَ} [يوسف: ١] إِلَىٰ قَوْلِهِ: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

فَتَلَاهَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ حَدَّثْتَنَا؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣] الْآيَةَ؛ كُلُّ ذَلِكَ يُؤْمَرُونَ بِالْقُرْآنِ».

رواه ابن حبان (٦٢٠٩) وغيره، وصححه الألباني.

***

٩_ حكم من يرضي الناس بسخط الله تعالى

السؤال:

هل يعد مشركاً من أرضي الناس بسخط الله؛ لأنه قدم طاعة المخلوق على طاعة الخالق Y؟ مثلا: كشخص لم يغض بصره عن امرأة سافرة، حتي لا يقول عنه الناس: إنه متزمت؟

الجواب:

الحمد لله

أولا:

ورد الوعيد الشديد لمن أرضى الناس بسخط الله تعالى.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللهَّ بِسَخَطِ النَّاسِ، رضي الله عنه ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهَّ، سَخَطَ اللهُّ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عليه الناس » رواه ابن حبان "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان" (١ / ٥١٠)، والترمذي (٢٤١٤) بلفظ: « مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللهَّ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُّ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهَّ وَكَلَهُ اللهُّ إِلَى النَّاسِ ».

وقد اختلف في رفع هذا الحديث إلى النبي ﷺ، ووقفه على عائشة.

وقد صحح الإمام البخاري، كما في العلل الكبير للترمذي (٣٣٢)، وأبو زرعة، وأبو حاتم، كما في العلل لابن أبي حاتم (٥/ ٥٩)، وغيرهم وقفه. وقال الدارقطني:: " ورفعه لا يثبت". انتهى، من "العلل" (١٤/ ١٨٢).

وينظر " سلسلة الأحاديث الصحيحة "، للألباني (٥ / ٣٩٢) .

ثانيا:

المعصية التي يرتكبها العبد لأجل إرضاء الناس نوعان:

النوع الأول: أن تكون كفرا، كأن يرتكب بعض الأعمال أو الأقوال الكفرية فهذا يكفر صاحبها، إذا توفرت فيه شروط التكفير، وانتفت موانعه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: تعالىٰ:

" التكفير له شروط وموانع، قد تنتفي في حق المعين، وإن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلا إذا وجدت الشروط، وانتفت الموانع، يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة: الذين أطلقوا هذه العمومات – مثل أن يقولوا من قال كذا فقد كفر – لم يُكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه " انتهىٰ من " مجموع الفتاوىٰ " (١٢ / ٤٨٧ – ٤٨٨).

ومن الشروط المهمة في هذا الباب: أن يكون فاعل هذا الفعل المكفر عالما بتحريمه، متعمدا لفعله، مختارا غير مكره.

ومن الموانع التي تمنع من تكفيره: أن يكون جاهلا لحكم ذلك الفعل، أو متأولا، أو مخطئا، أو مكرها.

النوع الثاني: أن تكون هذه المعصية ذنبا، وليست من أعمال الكفر كمثل ما ذكرت من عدم غض البصر أو الكذب أو شرب الخمر أو سماع الأغاني، ونحو ذلك من المعاصي؛ فهذه معصية من المعاصي، والمعاصي إذا كان صاحبها مسلما مؤمنا بالله ورسوله مصدقا لهما، غير مستحّل للمعاصي: فلها حكم مثلها من المعاصي، كبيرها وصغيرها، لكنه لا يكفر بمجرد ارتكاب هذه المعاصي، ولو كانت من الكبائر كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ولو فعلها هوىٰ، أو مراعاة لحق غيره من الناس، أو طلبا للمكانة عنده، أو نحو ذلك من المقاصد والأهواء.

قال ابن عبد البر::

" وقد اتفق أهل السنة والجماعة - وهم أهل الفقه والأثر - على أن أحدا لا يخرجه ذنبه - وإن عظم - من الإسلام " انتهى من " التمهيد " (١٧/ ٢٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: تعالى:

" وأئمة المسلمين أهل المذاهب الأربعة وغيرهم - مع جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان - متفقون على أن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب ". انتهى من "مجموع الفتاوى" (٦ / ٤٧٩).

وقال: تعالى:

" ونحن إذا قلنا: أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنب، فإنما نريد به المعاصي كالزنا والشرب ". انتهى من "مجموع الفتاوى" (٧ / ٣٠٢).

والله أعلم.

١٠_ الخوف من الله من أوجب واجبات الدين.

السؤال:

هل الخوف من الله واجب؟ وبماذا نرد على الذين يقولون مثل هذا القول: " إن معنى الصلاة الحقيقي لا يكمن في كميتها وطريقة حركاتها وعدد ركعاتها أو عدد زياراتنا للمساجد أو الكنائس أو الهياكل، بل في تمدد الذات في كونيتها وتفتح زهرة الروح للتوحد مع الوجود وملامسة نور الله والشعور ببهجة لقاءه، إن غاية الصلاة لا تكمن في توفير فرصة أو مجال زمني محدد للتعبير عن طلبات نطلبها من الله، وما نريد الحصول عليه بجشع مغلف بطبقات من نفاق الذات للذات، بل نصلي لنتحرر ونترك وراءنا -ولو للحظات- أثقال وأعباء رغبات الأنا وأوهامها ومخاوفها التحتية، لا طائل من صلوات جعلها الناس عادة روتينية يكررونها بلا روح حتى يجنبوا عذاب جهنم أو يفوزوا بجنة خلد، فغياب الروح هي جهنم، أليست الأرواح من تحرق في جهنم؟ هي رحلة معراج داخلية متجددة بتجدد أنفاسنا، ومرآة تساعدنا على رؤية أنانا الكونية بوضوح وصفاء، وتقربنا من مركز الوجود حيث السكون والاستقرار والطمأنينة التي ما بعدها طمأنينة، فلنصلي، ليس يوم الأحد فحسب، وليس خمس مرات في اليوم، ولا خمسين مرة في اليوم، فلنصلي مع كل نفس نتنفسه، ولنصلي من أجل المحبة لا الخوف فما أبعد إله المحبة عن أوثان الخوف "؟

الجواب:

الحمد لله

أولا:

الخوف من الله تعالى واجب، بل هو من أوجب الواجبات، ومن لم يخف الله فليس بمؤمن.

قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾آل عمران/ ١٧٥.

وقال ﷻ: ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ التوبة/ ١٣.

وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ الرحمن/ ٤٦.

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ الملك/ ١٢.

وقال تعالى – في وصف حال الأنبياء -: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ الأنبياء/ ٩٠.

والعبادة الشرعية عند أهل السنَّة تشمل المحبة والتعظيم، والمحبة تولِّد الرجاء، والتعظيم يولِّد الخوف.

قال ابن القيم::

" الخوف: أحد أركان الإيمان والإحسان الثلاثة التي عليها مدار مقامات السالكين جميعها، وهي: الخوف، والرجاءُ، والمحبة.

وانتفاءُ الإيمان عند انتفاء الخوف: انتفاءٌ للمشروط عند انتفاءِ شرطه، وانتفاءُ الخوف عند انتفاءِ الإيمان: انتفاءٌ للمعلول عند انتفاءِ علته.

فالخوف من لوازم الإيمان وموجباته؛ فلا يتخلف عنه.

وقد أثنى سبحانه على أقرب عباده إليه بالخوف منه، فقال عن أنبيائه بعد أن أثنى عليهم ومدحهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ الأنبياء/ ٩٠ ". انتهى باختصار من "طريق الهجرتين" (ص٢٨٢).

ثانيا:

هذا الكلام المنقول كلام من لم يقدر الله حق قدره، ولا خاف مقام ربه، ولا فرق بين دين الموحدين، ودين المشركين والملحدين، بل لبس على نفسه، فالتبس الأمر عليه، وصار الكل عنده سواء، إذا ما حققوا دينه الذي دعاهم إليه !!

فمن صلى - أية صلاة، على أي وجه كان، صلاة المسلمين أو صلاة الوثنيين - ليتحرر من قيود العبودية، ولا يطلب بها جنة ولا يخاف بها من نار، وليس له من ورائها مطلب، سواء في الدنيا أو الآخرة: فهو المصلي حقا، عند هذا الدجال، وهو الذي يعرف قدر الصلاة وحقيقتها.

ومن المعلوم من الدين بالضرورة، الذي يعرفه كل من له أدنى معرفة بدين الله: أن ما يقوله هذا الأفاك: هو عين المحادة لله ورسوله، والمنابذة لما جاءت به الرسل، وأنزل الله به الكتب.

فما خلق الله الخلق ولا أرسل إليهم رسلا، إلا لعبادته وطاعته، والخوف منه ومن عذابه، وابتغاء وجهه، وسؤال جنته، وطلب رحمته وعفوه ومغفرته، ولولا ذلك لما كان في الناس وازع يزعهم عن الشر، ولا رادع يردعهم عن المنكر، ولا تقوى تنهاهم عن الخبائث، ولا إيمان يأمرهم بالمعروف.

بل لولا ذلك، لما كان للجنة والنار شأن، ولا لبعث الناس وقيامهم إلى رب العالمين خطر في دين، ولا صار ذلك من أركان الإيمان، ومعالم الديانة.

والواقع أن هذا القول المجمل يغني عن تتبع عبارات هذا الدجال الذي لم يعظم شعائر الله، ولا عرف حدوده، ولا قدر الله حق قدره.

فصلاة المسلمين قائمة، بل عبادتهم وديانتهم التي بها يدينون لرب العالمين: قائمة على المحبة والخوف والرجاء، وبهذه الثلاثة ينصلح حال العالم العلوي والسفلي، وتتم سعادة الدارين، وكل منها يستلزم الآخر.

قال ابن القيم::

" هَذِهِ الثَّلَاثَةُ: الْحُبُّ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، هِيَ الَّتِي تَبْعَثُ عَلَىٰ عِمَارَةِ الْوَقْتِ بِمَا هُوَ الْأَوْلَىٰ لِصَاحِبِهِ وَالْأَنْفَعُ لَهُ، وَهِيَ أَسَاسُ السُّلُوكِ، وَالسَّيْرِ إِلَىٰ اللهِ، وَقَدْ جَمَعَ اللهُ سُبْحَانَهُ الثَّلَاثَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ الإسراء/ ٥٧، وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ هِيَ قُطْبُ رَحَىٰ الْعُبُودِيَّةِ. وَعَلَيْهَا دَارَتْ رَحَىٰ الْأَعْمَالِ ".

انتهىٰ من " مدارج السالكين " (٣/ ١٢٨).

وغاية أمثال هذا المفتري علىٰ الله: أن ينتهي إلىٰ الزندقة، والتحلل من أمر الله ونهيه، والاتكال علىٰ الأماني والغرور، أو الانتكاس في ضلالات أهل " الحلول والاتحاد " !!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" وَفِي آيَةِ الدُّعَاءِ: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾؛ فَذَكَرَ التَّضَرُّعَ فِيهِمَا مَعًا، وَهُوَ التَّذَلُّلُ وَالتَّمَسْكُنُ وَالِانْكِسَارُ، وَهُوَ رُوحُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ...

وَخَصَّ الذِّكْرَ بِالْخِيفَةِ: لِحَاجَةِ الذَّاكِرِ إِلَىٰ الْخَوْفِ؛ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَسْتَلْزِمُ الْمَحَبَّةَ وَيُثْمِرُهَا؛ وَلَا بُدَّ لِمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أَنْ يُثْمِرَ لَهُ ذَلِكَ مَحَبَّتَهُ.

وَالْمَحَبَّةُ مَا لَمْ تَقْتَرِنْ بِالْخَوْفِ: فَإِنَّهَا لَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا، بَلْ تَضُرُّهُ؛ لِأَنَّهَا تُوجِبُ التواني وَالِانْبِسَاطَ، وَرُبَّمَا آلَتْ بِكَثِيرٍ مِنْ الْجُهَّالِ الْمَغْرُورِينَ إِلَىٰ أَنْ اسْتَغْنَوْا بِهَا عَنْ الْوَاجِبَاتِ، وَقَالُوا: الْمَقْصُودُ مِنْ الْعِبَادَاتِ إِنَّمَا هُوَ عِبَادَةُ الْقَلْبِ وَإِقْبَالُهُ عَلَىٰ اللهِ وَمَحَبَّتُهُ لَهُ فَإِذَا حَصَلَ الْمَقْصُودُ فَالِاشْتِغَالُ بِالْوَسِيلَةِ بَاطِلٌ !!

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي رَجُل أَنَّهُ أَنْكَرَ عَلَىٰ بَعْضِ هَؤُلَاءِ خَلْوَةً لَهُ تَرَكَ فِيهَا الْجُمُعَةَ؟

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: أَلَيْسَ الْفُقَهَاءُ يَقُولُونَ: إذَا خَافَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ مَالِهِ، فَإِنَّ الْجُمُعَةَ تَسْقُطُ؟

فَقَالَ لَهُ: بَلَىٰ.

فَقَالَ لَهُ: فَقَلْبُ الْمُرِيدِ أَعَزُّ عَلَيْهِ مِنْ عَشَرَةِ دَرَاهِمَ - أَوْ كَمَا قَالَ - وَهُوَ إذَا خَرَجَ ضَاعَ قَلْبُهُ، فَحِفْظُهُ لِقَلْبِهِ عُذْرٌ مُسْقِطٌ لِلْجُمُعَةِ فِي حَقِّهِ.

فَقَالَ لَهُ: هَذَا غُرُورٌ؛ بِل الْوَاجِبُ الْخُرُوجُ إلَىٰ أَمْرِ اللهِّ ﷻ.

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْغُرُورَ الْعَظِيمَ كَيْفَ أَدَّىٰ إلَىٰ الانْسِلَاخِ عَنْ الْإِسْلَامِ جُمْلَةً؛ فَإِنَّ مَنْ سَلَكَ هَذَا الْمَسْلَكَ: انْسَلَخَ عَنْ الْإِسْلَامِ الْعَامِّ، كَانْسِلَاخِ الْحَيَّةِ مِنْ قِشْرِهَا، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ !!

و سَبَبُ هَذَا: عَدَمُ اقْتِرَانِ الْخَوْفِ مِنْ اللهَّ بِحُبِّهِ وَإِرَادَتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ عَبَدَ اللهَّ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ: فَهُوَ زِنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ: فَهُوَ حروري [الحرورية: هم الخوارج]، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ: فَهُوَ مُرْجِئٌ. وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ تَجْرِيدَ الْحُبِّ وَالذِّكْرِ عَنْ الْخَوْفِ: يُوقِعُ فِي هَذِهِ الْمَعَاطِبِ، فَإِذَا اقْتَرَنَ بِالْخَوْفِ: جَمَعَهُ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، وَرَدَّهُ إلَيْهَا كَالْخَائِفِ الَّذِي مَعَهُ سَوْطٌ يَضْرِبُ بِهِ مَطِيَّتَهُ؛ لِئَلَّا تَخْرُجَ عَنْ الطَّرِيقِ، وَالرَّجَاء: حَادٍ يَحْدُوهَا، يَطْلُبُ لَهَا السَّيْرَ، وَالْحُبُّ قَائِدُهَا وَزِمَامُهَا الَّذِي يُشَوِّقُهَا؛ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَطِيَّةِ سَوْطٌ وَلَا عَصًا يَرُدُّهَا إذَا حَادَتْ عَنْ الطَّرِيقِ: خَرَجَتْ عَنْ الطَّرِيقِ، وَضَلَّتْ عَنْهَا.

فَمَا حَفِظَتْ حُدُودَ اللهِّ وَمَحَارِمَهُ، وَوَصَلَ الْوَاصِلُونَ إِلَيْهِ: بِمِثْلِ خَوْفِهِ وَرَجَائِهِ وَمَحَبَّتِهِ؛ فَمَتَىٰ خَلَا الْقَلْبُ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ: فَسَدَ فَسَادًا لَا يُرْجَىٰ صَلَاحُهُ أَبَدًا، وَمَتَىٰ ضَعُفَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ: ضَعُفَ إِيمَانُهُ بِحَسَبِهِ..".

انتهىٰ من "مجموع الفتاوىٰ" (١٥/ ١٩-٢١).

والله أعلم.

***

١١_ إذا شرب المسلم الخمر فهل يدخل النار؟

السؤال:

إذا كان المرء مسلماً ويشرب الخمر، فهل يدخل النار

الجواب:

الحمد لله

أولا:

كل من مات مسلما موحدا لله تعالى فمآله إلى الجنة قطعا.

وهؤلاء المسلمون الموحدون الذين هم أهل الجنة قسمان:

منهم من يدخل الجنة ابتداءًا، بمعنى أنه لن يدخل النار أبدا.

ومنهم من يدخل النار أولاً، فيعذب فيها بذنبه، ما شاء الله أن يعذب، ثم يخرج من النار، ويكون مصيره النهائي في الجنة، وهؤلاء هم الذين يسميهم العلماء: "عصاة الموحدين"، أو: " أهل الكبائر من الموحدين ".

فهؤلاء – وإن دخلوا النار- فإنهم لا يخلدون فيها؛ بل يمكثون فيها ما شاء الله لهم، ثم يخرجون منها، إلى الجنة، ولا يخلد في النار إلا الكفار.

ثانيا:

عصاة الموحدين، أو أهل الكبائر من الموحدين، ومنهم شارب الخمر، وإن كنا نقطع بأنهم متوعدون بالنار على جرائمهم، مستحقون لعذابها، وإن كنا نقطع أيضا أن من منهم جماعات يدخلون النار بسبب هذه الجرائم؛ إلا أنه لا يمكن القطع بأن "

فلانا " ـ بعينه ـ من هؤلاء: سيدخل النار، ثم يخرج منها إلى الجنة، لأن هناك أسباباً كثيرة قد تسقط هذا العقاب، وتنجي مرتكب الكبيرة من النار.

من هذه الأسباب: التوبة، فإن « التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ » كما قال النبي ﷺ، فيما رواه ابن ماجة (٤٢٥٠) وحسنه الألباني في "صحيح سنن ابن ماجة ".

ومنها: سؤال الله المغفرة، فقد يدعو الإنسان ربه بمغفرة الذنب فيستجيب له.

ومنها: الحسنات التي تكفر الذنب، فقد يكون له من الحسنات العظيمة ما تكفر هذا الذنب، أو تزيد حسناته على سيئاته فلا يدخل النار.

ومنها: المصائب التي يصاب بها في الدنيا، فإنها تكفر الذنب، فقد يصاب بما يكفر عنه هذا الذنب ويسقط العقاب عنه في الآخرة، فلا يدخل النار.

ومنها: دعاء المؤمنين له بالمغفرة، كما في صلاة الجنازة عليه. فقد يستجيب الله دعاء المصلين عليه فيغفر له.... وأسباب أخرى.

وقد يغفر له أرحم الراحمين ابتداء، فلا يعذبه بذنبه، وهذا أعظم أسباب النجاة من الوعيد، وأعظم الموانع من لحوقه بأهله؛ كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ النساء/ ٤٨.

وهذه الآية في غير التائب من عصاة الموحدين، فقد يموت الإنسان مصرا على كبيرة من الكبائر ولم يتب منها، ولكن الله تعالى برحمته وعفوه يصفح عن ذلك المذنب فلا يدخله النار.

فإذا انتفت كل الأسباب التي تسقط عقوبة الآخرة ودخول النار عن صاحب الكبيرة، ولم يشأ الله تعالى أن يغفر له، فلم يبق إلا أن يدخل النار فيعذب بها، حتى يطهر من ذنبه ثم يخرج منها، ويدخل الجنة.

وخلاصة الجواب: أن شارب الخمر، وغيره من أصحاب الكبائر: إذا لم يتب من معصيته، فهو على خطر عظيم، ومتوعد ومهدد من الله تعالى بدخول النار، ثم إن دخلها فإنه يخرج منها بعد ذلك إلى الجنة.

ولا يغترن عبد بذلك، فيتجرأ على معصية الله، آملا ألا يخلد في النار، فإن أخذ الله أليم شديد، وعذابه عظيم لا يطاق !!

فإن أردت أن تدرك ذلك: فقدر لنفسك أن ترمى في حفرة من نيران الدنيا، سنة، أو شهرا، أو حتى يوما؛ فهل تتجرأ على مثل ذلك؟ وهل تطيق؟!

فأين نار الدنيا بأسرها، من غمسة واحدة في نار جهنم، عافانا الله الكريم بمنه وفضله؟!

ثم من يضمن للعاصي المتجرأ أن يبقى على التوحيد بعد جرائمه ومعاصيه؟

وما يؤمنه من مكر الله به؟

وما يؤمنه أن يزيغ قلبه، ويفتن عن التوحيد، فلا يجد إلا ذنبه وما جنت يداه؟!

نسأل الله تعالى أن يتغمدنا برحمته وعفوه في الدنيا والآخرة.

والله أعلم.

***

١٢_صديقه زائغ منحرف وهو يحبه، فماذا يفعل معه؟ وهل يستمر في علاقته به؟

السؤال:

لي صديق أحبه كثيرا كأخي، وزاد تقديره لي بعد تحولي من فرقة بريلوي (جماعة صوفية بباكستان) إلي منهج السلف وأخبرني بأشياء غريبة منها:

١ - أنه لا يمكن له أن يكذب فكلما حاول الكذب يجد نفسه يتكلم الحقيقة.

٢ - أنه قريب جدا من الله وله مع الله مقامات.

٣- ويذكر أن الله يقرِّه علي بعض الأمور لكن لا يخبرني كيف يحدث هذا. ٤- لديه قوة سرية. وبالنسبة لتدينه كما تناقشت معه فإنه: لا يؤمن بأحاديث كثيرة متعللا بأنها تتعارض مع القرآن، مع أني قد بينت له أنه لا يوجد تعارض بين القران والحديث، لكن اعتمد علي بعض الأحاديث التي يوهم ظاهرها أنها تتعارض، كما أنه لا يعتقد بوجوب إطلاق اللحية، ويعتقد أن الموسيقي حلال معتبرا أنها وسيلة للقرب من الله، وصلاته متقطعة وخاصة صلاة الفجر، بل قد يقضي الليل في التهجد والتفكر ويترك صلاة الفجر، كما أنه لا يعتقد بمجيء المهدي المنتظر ولا بنزول عيسي عليه السلام في آخر الزمان، ويؤمن بخلق القرآن، وبوجوده عندما تكلم الله به قبل أن ينزل إلي الأرض، كما أنه يعطي دروس في التفسير دون الحصول علي إجازة، أنا في قلق بخصوص عقيدته هل هو حظيرة الإسلام؟ ادعوا الله أن يهديه، كيف لي أن أساعده حتي ينجو في الآخرة؟ أرجوا النصيحة فضيلة الشيخ، هل أستمر في علاقتي معه وأكلمه؟ فنيتي أن أصحح ضلالاته، وأمر آخر: لا أدري لماذا أنا مرتبط بهذا الشخص ودائما يزعجني حين أصلي أو اقرأ القرآن واستمع للمحاضرات الإسلامية لكني دائما ملتزم الهدوء.

الجواب:

الحمد لله

أولا:

حثنا الشرع على ضرورة اختيار الصاحب التقيّ ذي الخلق والدين؛ الذي يعين على طاعة الله وينهى عن معصيته، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف / ٦٧.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ »رواه الترمذي (٢٣٩٥) وحسنه الألباني في "صحيح الترمذي ".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»**. رواه أبو داود (٤٨٣٣)، وحسنه الألباني في "صحيح أبي داود".

قال ابن عبد البر::

" وهذا معناه - والله أعلم - أن المرء يعتاد ما يراه من أفعال من صحبه، والدينُ العادةُ، فلهذا أمر ألا يصحب إلا من يرى منه ما يحل ويجمل فإن الخير عادة.

والمعنى في ذلك: ألا يخالط الإنسان من يحمله على غير ما يحمد من الأفعال والمذاهب، وأما من يؤمن منه ذلك فلا حرج في صحبته " انتهى من " بهجة المجالس " (٢ / ٧٥١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" النَّاسَ كَأَسْرَابِ الْقَطَا؛ مَجْبُولُونَ عَلَى تَشَبُّهِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضِ. وَلِهَذَا كَانَ الْمُبْتَدِئُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ: لَهُ مِثْلُ مَنْ تَبِعَهُ مِنْ الْأَجْرِ وَالْوِزْرِ " انتهى من " مجموع الفتاوى " (٢٨/ ١٥٠).

ثانيا:

هذا الصاحب الذي تتحدث عنه على خلاف منهج أهل السنة والجماعة، وهو إلى منهج غلاة الصوفية أقرب، يدل على ذلك قوله: إن له مع الله مقامات، وإنه لا يستطيع الكذب، وإن الله يقره على بعض ما يقول ويفعل، وإن له قوة خفية.

ولا داعي للخوض في هذه الأباطيل المذكورة وتفنيدها، حيث إن السائل يقر ببطلانها ولا يعتقد أنها صحيحة.

ومثل هذا يحتاج إلى من ينصحه ويبين له خطأه ويرشده إلى الصواب.

وطريق ذلك شاق بلا شك، ولكنه يحتاج إلى كثير من الحكمة والعلم، مع مزيد من الصبر والاحتساب.

فلا بد من تعريفه أولا بمنهج أهل السنة والجماعة القائم على التسليم لله ولرسوله ﷺ، واتباع السلف في فهم النصوص الشرعية وعدم الخروج عن ذلك؛ لأن الخروج عنه انحراف عن الصراط المستقيم.

ثانيا:

يجب في مقام الولاية التي يدعيها صاحبك لنفسه أن يعرف أن للولاية علامات وأمارات لا بد من تحقيقها حتى يصح انتساب العبد إليها، وأولياء الله تعالى حقا لا يرون لأنفسهم مقاما، بل يتواضعون لله تعالى، وينظرون إلى أنفسهم دائما بعين التقصير. وجدير بالمرء منا أن يتأسى بهم في ذلك.

وقد صح عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فيما رواه أحمد (٣٢٢) عن ابْن عَبَّاسٍ رضي الله عنه أن عمر لما طُعن فقال له: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ، صَاحَبْتَ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَطَلْتَ صُحْبَتَهُ، وَوُلِّيتَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَوِيتَ وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ. فَقَالَ: " أَمَّا تَبْشِيرُكَ إِيَّايَ بِالْجَنَّةِ، فَوَاللهِ لَوْ أَنَّ لِي الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا لافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ مَا أَمَامِي قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ الْخَبَرَ، وَأَمَّا

قَوْلُكَ فِي أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَوَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافًا، لَا لِي وَلا عَلَيَّ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ صُحْبَةِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَذَلِكَ ".

فهذا قول عمر رضي الله عنه وهو خير الأمة بعد نبيها ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، هذا قوله عن نفسه وهو في آخر ساعات الدنيا، فأين هذا ممن يدعي لنفسه المقامات العالية والأحوال السامية؟!

وقد قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ النجم/ ٣٢.

ثالثا: ينبغي أن تنصح صاحبك بتعلم العلم الشرعي من مصادره الأصلية: من القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ الصحيحة، وليستعن على فهم ذلك بأقوال أئمة الإسلام المشهود لهم بالعلم والفضل، وهو كثير والحمد لله.

ودعواه أن السنة تعارض القرآن مما يدل على نقص علمه، وأنه في حاجة إلى من يعلمه، وقد أحسنت صنعا إذ بينت له ألا تعارض بين الكتاب والسنة.

وقد أضاف إلى ذلك تهاونه بالصلوات المكتوبات وسماعه الموسيقى واعتقاده أنها وسيلة للقرب من الله واعتقاده أن القرآن كلام الله مخلوق؟!

فعليك بنصحه برفق وحكمة، وإعانته على انتشاله من تلك الأوحال التي يتخبط فيها..

والله تعالى أعلم.

***

١٣_ من آثار الخلل في فهم قدرة الله تعالى وما يتعلق بها

السؤال:

لدي سؤال عن صفات الله، وأنا أعيش فى بيئة يعتقد فيها الناس أن لله قدرة على الدخول والعيش فى مخلوقاته ! وهم يستدلون بنزول الله للسماء الدنيا لإثبات ادعائهم هذا، فأرجو أن تقوموا بتوضيح الأمر.

الجواب:

الحمد لله

أولاً:

هذا الذي تنقله أيها السائل الكريم هو اعتقاد فاسد، اعتقده أولئك القوم نتيجة جهلهم بحقيقة قدرة الله تعالى، واستدلالهم بنزول الله تعالى إلى السماء الدنيا على ما يقولونه سببه جهلهم بصفة النزول لله تعالى، ومن قبل جهلهم بربهم تعالى وما يستحقه من صفات الجلال والإكرام.

وبيان ذلك: أن قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيلات لذاتها؛ ولكنها تتعلق بالممكنات - أو بالجائزات.

ومثال المستحيلات التي لا تتعلق بها قدرة الله: اتخاذ الشريك، والصاحبة، والولد؛ لأن إيجادها نقص لا يليق بالله Y، قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام/ ١٠١.

فالذي يقوله أهل السنَّة أن قدرته تعالى لا تتعلق بها؛ كمالاً له تعالى؛ لأنها نقص لا يليق بالرب Y، فكيف يكون ربّاً متفرداً أحداً صمداً ثم يكون معه شريك؟!

وكيف يكون ربّاً وهو يحتاج لزوجة وولد؟!

ومثله يقال فيما ذكره السائل عن أولئك الجهلة من اعتقادهم أن قدرة الله تتعلق بما ذكروه من مستحيل، وهو أن يكون الله – عياذاً به – داخلَ شيء من مخلوقاته، وهذا من النقص الذي يُنزَّه الرب تعالىٰ عنه، فهو – Y – فوق مخلوقاته بائن منهم، مستوٍ علىٰ عرشه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –: -:

" ولا ريب أن الله علىٰ كل شيء قدير، كما نطق به القرآن في غير موضع... لكن الممتنع لذاته: ليس شيئاً باتفاق العقلاء، فلا يعقل وجوده في الخارج، فإنه لا يعقل في الخارج كون الشيء موجوداً معدوماً، أو متحركاً ساكناً أو كون أجزاء الحركة المتعاقبة مقترنة في آنٍ واحد، أو كون اليوم موجوداً مع أمس وغدًا وأمثال ذلك.

وحينئذ فمثل هذا لا يدخل في عموم الكتاب ".

انتهىٰ من " الصفدية " (٢/ ١٠٩).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين:" المستحيل ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مقدوراً عليه، لكن المستحيل الذي يُتَصَوَّرُ ذهناً أنه مستحيل:

١ – مستحيلٌ لذاته.

٢ – ومستحيل لغيره.

أما المستحيل لذاته: فهو مستحيل لا يمكن، لو أن أحداً أراد أن يقول: هل الله قادر علىٰ أن يخلق مثله؟

لقلنا: هذا مستحيل، لكن الله قادر علىٰ أن يخلق خلقاً أعظم من الخلق الذي نعلمه الآن، ونحن نعلم الآن أن أعظم مخلوقٍ نعلمه هو العرش، العرش أعظم من كل شيء من المخلوقات التي نعلمها، ومع ذلك نعلم أن الله قادر علىٰ أن يخلق أعظم من العرش، لكن الشيء المستحيل لذاته هذا غير ممكن

الشيء الثاني: المستحيل لغيره، بمعنىٰ أن الله تعالىٰ أجرىٰ هذا الشيء علىٰ هذه العادة المستمرة التي يستحيل أن تنخرم، ولكن الله قادر علىٰ أن يخرمها.

هذا نقول: إن القدرة تتعلق به، فيمكن للشيء الذي نرىٰ أنه مستحيل بحسب العادة أن يكون جائزاً واقعاً بحسب القدرة، وهذا الشيء كثير كل آيات الأنبياء الكونية من هذا الباب مستحيل لغيره، انشقاق القمر للرسول عليه الصلاة والسلام مستحيل لغيره لكن لذاته غير مستحيل؛ لأنه وقع والله قادر علىٰ أن يشق القمر نصفين، بل قادر علىٰ أن يشق الشمس نصفين.

ونحن نقول: لا بد في ذلك من التفصيل: وهو أن المستحيل لذاته لا تتعلق به القدرة؛ لأنه ليس بموجود، ولا يمكن أن يوجد ولا يفرضه الذهن" انتهىٰ من " شرح العقيدة السفارينية " (ص ١٩٢).

ثانياً:

وأما خطؤهم المتعلق بنزول الرب تبارك وتعالىٰ: فهو ظنهم أن نزول الله تعالىٰ كنزول المخلوقين، فلما وقع في قلوبهم التشبيه ظنوا ما يلزم من نزول البشر من المخالطة وصيرورته أسفل ما نزل منه أن هذا هو ما يلزم الاعتقاد بنزول الله تعالىٰ.

وهذا ظن فاسد واعتقاد باطل، فالله تعالىٰ قال عن نفسه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ الشورىٰ/ ١١، وهذا كافٍ لبيان أن نزوله تعالىٰ إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ليس كنزول خلقه، وهكذا ينبغي الاعتقاد في سائر صفاته، كالاستواء والغضب والوجه واليدين والعلم والرحمة وغيرها من الصفات، لا فرق بين الصفات الذاتية منها والصفات الخبرية والصفات الفعلية، بل كلها سواء في كونها ليست كصفات أحدٍ من خلقه.

وبما ذكرناه يتبين لك – إن شاء الله – وجه الخلل في فهم أولئك القوم، وخطورة ذلك الاعتقاد في ربهم تعالىٰ، وكيف يمكنك الرد عليهم.

١٤_هل ينبغي علينا أن نخاف ممن لا يخاف الله؟

السؤال:

ما هو حكم من يقول: الخوف من الله، وممن لا يخاف الله؛ الشخص الذي لا يخاف الله: هل يجب على الإنسان أن يخاف منه؟

الجواب:

الحمد لله

أولا:

أما الخوف من الله: فمن أفضل مقامات الدين وأجلِّها، وهو من أجمع أنواع العبادة التي أمر الله سبحانه بإخلاصها له، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾آل عمران/ ١٧٥، ووعد سبحانه من حقق مقام الخوف منه بجنتين، فقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ الرحمن/ ٤٦، وأثنى على الملائكة بأنهم يخافون ربهم من فوقهم، فقال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ النحل/ ٥٠.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: الْخَوْفُ مِنْ اللَّهِ ".

انتهى من "مجموع الفتاوى" (٧ / ٢٠).

والخوف النافع للعبد: هو الخوف الذي يحمله على طاعة الله، وطلب مرضاته، وترك ما يغضبه ويسخطه، سبحانه.

قال الشيخ ابن عثيمين::

" الخوف من الله تعالى يكون محمودًا، ويكون غير محمود:

فالمحمود: ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله، بحيث يحملك على فعل الواجبات، وترك المحرمات، فإذا حصلت هذه الغاية سكن القلب واطمأن، وغلب عليه الفرح بنعمة الله، والرجاء لثوابه.

وغير المحمود: ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط، وحينئذ يتحسر العبد وينكمش، وربما يتمادى في المعصية لقوة يأسه ".

انتهى من " مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين " (٦/ ٥٣).

ثانيا:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران/ ١٧٥.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَخَافَ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ، وَلَا يَخَافَ النَّاسَ، كَمَا قَالَ: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾؛ فَخَوْفُ اللَّهِ: أَمَرَ بِهِ، وَخَوْفُ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ: نَهَى عَنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾؛ فَنَهَى عَنْ خَشْيَةِ الظَّالِمِ، وَأَمَرَ بِخَشْيَتِهِ. وَقَالَ: ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾، وَقَالَ: ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾.

وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: يَا رَبِّ إِنِّي أَخَافُك وَأَخَافُ مَنْ لَا يَخَافُك: فَهَذَا كَلَامٌ سَاقِطٌ، لَا يَجُوزُ؛ بَلْ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَخَافَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا يَخَافَ أَحَدًا؛ فَإِنَّ مَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ: أَذَلُّ مِنْ أَنْ يُخَافَ؛ فَإِنَّهُ ظَالِمٌ، وَهُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ؛ فَالْخَوْفُ مِنْهُ قَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْهُ.

وَإِذَا قِيلَ: قَدْ يُؤْذِينِي؟

قِيلَ: إِنَّمَا يُؤْذِيك بِتَسْلِيطِ اللهَّ لَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُّ دَفْعَ شَرِّهِ عَنْك دفعَهُ؛ فَالْأَمْرُ للهَّ؛ وَإِنَّمَا يُسَلَّطُ عَلَى الْعَبْدِ بِذُنُوبِهِ، وَأَنْتَ إذَا خِفْتَ اللهَّ، فَاتَّقَيْتَهُ، وَتوَكَّلْت عَلَيْهِ: كَفَاكَ شَرَّ كُلِّ شَرٍّ، وَلَمْ يُسَلِّطْهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهَّ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾، وَتَسْلِيطُهُ يَكُونُ بِسَبَبِ ذُنُوبِك، وَخَوْفِك مِنْهُ.

فَإِذَا خِفْتَ اللهَّ، وَتُبْتَ مِنْ ذُنُوبِك، وَاسْتَغْفَرْتَهُ: لَمْ يُسَلَّطْ عَلَيْكَ، كَمَا قَالَ: ﴿ وَمَا كَانَ اللهُّ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ".

انتهى من "مجموع الفتاوى" (١/ ٥٧-٥٨)، وينظر أيضا: "جامع المسائل" (٣/ ٥٨).

وعلى ذلك: فلا ينبغي إطلاق هذا القول؛ بل حقه أن يضاف إلى " المناهي اللفظية " التي ينبغي توقيها.

والله تعالى أعلم.

***

١٥_هل يدل قوله تعالى: ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ على أن القرآن مخلوق؟

السؤال:

هل هناك تعارض بين قوله تعالى (الله خالق كل شيء)، وبين أن القرآن كلام الله غير مخلوق؟

الجواب:

الحمد لله

اتفق أهل السنة والجماعة على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وأنكروا على من قال من المبتدعة: " إن القرآن مخلوق"، وبدَّعوهم وهجروهم، وكثير منهم كفّر من قال بهذه المقولة الضالة.

وكان من شبهات أهل البدعة على هذه الضلالة، قول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾، قالوا: والقرآن شيء، فهو مخلوق !!

وهذا استدلال باطل، وتحريف للكلم من بعد مواضعه.

فإن القرآن كلام الله، وكلام الله صفة من صفاته، وصفاته غير مخلوقة؛ لأن الصفات تتبع الموصوف؛ فصفات الخالق غير مخلوقة، لأنها تتبع الخالق، وصفات المخلوق مخلوقة لأنها تتبع المخلوق.

وأيضاً فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ ﴾الأنعام/ ١٩، فأخبر عن نفسه بأنه " شيء "؛ فهل يقال: الله مخلوق؟!

فالمقصود من الآية: أن الله خالق كل شيء من المخلوقات، لم يشركه في خلقها أحد سواه، ولا له ند ولا شريك، ولا معين ولا ظهير في خلقه.

وإليك طائفة من أقوال أهل العلم في الرد على هذه الشبهة:

- روى الخلال في "كتاب السنة" (٥/ ١٠٩) عن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قال: " مَا يَقُولُ هَذَا الدُّوَيْبةُ؟ - يَعْنِي بِشْرًا الْمِرِّيسِيَّ - قيل: يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ.

قَالَ: " كَذَبَ، أَخْزَاهُ اللهُ، إِنَّ اللهَّ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَكَلَامُ اللهِ تبَارَكَ وَتَعَالَى خَارِجٌ عن الْخَلْقِ ".

وقال ابن بطة::

" ثُمَّ إِنَّ الْجَهْمِيَّ ادَّعَى أَمْرًا آخرَ لِيُضِلَّ بِهِ الضُّعَفَاءَ، وَمَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، فَقَالَ: أَخْبِرُونَا عَنِ الْقُرْآنِ، هَلْ هُوَ شَيْءٌ أَوْ لَا شَيْءَ؟ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ جَوابُهُ: لَا شَيْءَ، فَيُقَالُ لَهُ: هُوَ شَيْءٌ ، فَيَظُنُّ حِينَئِذٍ أَنَّهُ قَدْ ظَفَرَ بِحُجَّتِهِ وَوَصَلَ إِلَى بُغْيَتِهِ، فَيَقُولُ: فَإِنَّ اللهَّ يَقُولُ (خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ)، وَالْقُرْآنُ شَيْءٌ يَقعُ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ، وَهُوَ مَخْلُوقٌ، لِأَنَّ الـ(كُلَّ) يَجْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ؟!

فَيُقَالُ لَهُ: أَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْكُلَّ يَجْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ، فَقَدْ رَدَّ اللهُ عَلَيْكَ ذَلِكَ، وَأَكْذَبَكَ الْقُرْآنَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)، وَللهَّ Y نَفْسٌ لَا تَدْخُلُ فِي هَذَا الْكُلِّ، وَكَذَلِكَ كَلَامُهُ شَيْءٌ، لَا يَدْخُلُ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ، كَمَا قَالَ ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ " انتهى من " الإبانة الكبرى " (٦/ ١٧٠).

وقال ابن أبي العز الحنفي::

" وَأَمَّا اسْتِدْلَالُهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)، وَالْقُرْآنُ شَيْءٌ، فَيَكُونُ دَاخِلًا فِي عُمُومِ كُلٍّ فَيَكُونُ مَخْلُوقًا، فَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ؛ وَذَلِكَ: أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ كُلَّهَا عِنْدَهُمْ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ للهَّ تَعَالَى، وَإِنَّمَا يَخْلُقُهَا الْعِبَادُ جَمِيعَهَا، لَا يَخْلُقُهَا اللهُ، فَأَخْرَجُوهَا مِنْ عُمُومِ كُلٍّ، وَأَدْخَلُوا كَلَامَ اللهَّ فِي عُمُومِهَا، مَعَ أَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، بِهِ تَكُونُ الْأَشْيَاءُ الْمَخْلُوقَةُ، إِذْ بِأَمْرِهِ تَكُونُ الْمَخْلُوقَاتُ، قَالَ تَعَالَى: (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، فَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ مَخْلُوقًا،

لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا بِأَمْرٍ آخَرَ، وَالْآخَرُ بِآخَرَ، إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ، فَيَلْزَمُ التَّسَلْسُلُ، وَهُوَ بَاطِلٌ.

وَطَرْدُ بَاطِلِهِمْ: أَنْ تَكُونَ جَمِيعُ صِفَاتِهِ تَعَالَى مَخْلُوقَةً، كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَغَيْرِهِمَا، وَذَلِكَ صَرِيحُ الْكُفْرِ، فَإِنَّ عِلْمَهُ شَيْءٌ، وَقُدْرَتَهُ شَيْءٌ، وَحَيَاتَهُ شَيْءٌ، فَيَدْخُلُ ذَلِكَ فِي عُمُومِ كُلٍّ، فَيَكُونُ مَخْلُوقًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا " انتهى من "شرح الطحاوية" (ص ١٣١-١٣٢).

وقال علماء اللجنة الدائمة:

" القرآن الكريم لا يدخل في قوله تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)؛ لأن القرآن كلام الله، وكلام الله صفة من صفاته غير مخلوقة؛ لأن الصفات تتبع الموصوف.

فالله بصفاته - ومنها كلامه - خالق كل شيء، وما سواه مخلوق، وكما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾؛ ففرق سبحانه بين الخلق والأمر بالعطف الذي يقتضي المغايرة بينهما، والأمر يكون بالكلام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ " انتهى من " فتاوى اللجنة الدائمة " (٣/ ١٨-١٩).

وقال الشيخ ابن عثيمين::

" الجواب من وجهين:

الأول: أن القرآن كلام الله تعالى، وهو صفة من صفات الله، وصفات الخالق غير مخلوقة.

الثاني: أن مثل هذا التعبير (كل شيء): عام، قد يراد به الخاص؛ مثل قوله تعالى عن ملكة سبأ: (وأوتيت من كل شيء)، وقد خرج شيء كثير لم يدخل في ملكها منه شيء؛ مثل ملك سليمان".

انتهى من "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (٨/ ٣٦٦).

١٦_ ضوابط الأخذ بالأسباب.

السؤال:

كيف لي أن أعرف إن كنت قد بذلت الأسباب الكافية التي أشعر من خلالها أني قد بذلت ما بوسعي، وأنه يمكنني الآن أن أتوكل على الله، وأنا مطمئن النفس. أو بعبارة أخرى: ما الضابط في بذل الأسباب؟ فبعض الناس يقول مثلاً "أعقلها وتوكل"، فهل من الأسباب أن أعقلها بسلسلة حديدية، أم أن هذه مبالغة في بذل السبب؟

الجواب:

الحمد لله

الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله، بل ذلك مما أمر الشرع به، مع الاعتقاد أنَّ الضر والنفع بيد الله سبحانه، وأنه هو الذي خلق الأسباب والمسببات.

ولا بد أن يوجد ارتباط حقيقي بين السبب والمسبب، ويعرف ذلك بالتجربة، أو العادة، أو الخبر الشرعي، ونحو ذلك.

ثم لا بد أن يكون السبب مشروعاً؛ فالغاية المحمودة المشروعة، لا بد أن تكون الوسيلة إليها أيضاً: جائزة مشروعة.

ثم على العبد أن يتوسط في أمره بين الأمرين: فلا هو بالذي يهمل الأسباب مطلقاً، ولا هو بالذي يتعلَّق قلبه بها، إنما يتوسل بها، كما يتوسل الناس، في عاداتهم، وأمور حياتهم، ثم لا يتعلق قلبه بالسبب، بل بالخالق ﷻ، مالك الملك، ومدبر الأمر كله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" الِالْتِفَاتَ إلَى السَّبَبِ: هُوَ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ وَرَجَاؤُهُ وَالِاسْتِنَادُ إلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يَسْتَحِقُّ هَذَا، لِأَنَّهُ لَيْسَ مُسْتَقِلًّا، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ شُرَكَاءَ وَأَضْدَادٍ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ: فَإِنْ لَمْ يُسَخِّرْهُ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ، لَمْ يُسَخَّرْ ".

انتهى من "مجموع الفتاوى" (٨/ ١٦٩).

وأما ضابط الأخذ بالسبب في ذلك، فهو في كل شيء بحسبه، فالاحتياط للمرض الخفيف ـ مثلا ـ ليس كالاحتياط للمرض الشديد، والاحتياط في المحافظة على الشيء الغالي القيمة، الثمين، ليس كالاحتياط في المحافظة على الشيء الزهيد القيمة، وهكذا.

والأخذ بالسبب في طلب الرزق، يختلف عن السبب لدفع المرض، والأخذ بالسبب للطعام والشراب، ليس هو كالأخذ بالسبب في حصول الولد، وصلاحه وتربيته، وهكذا فسبب كل شيء: هو بحسبه، ثم الضابط في تمييز حال المفرط المضيع، من حال الكيِّس الحريص: يختلف من أمر لأمر، ومن حال لحال، ومثل ذلك يعرفه الناس من أنفسهم، ومن معتاد أحوالهم.

والله تعالى أعلم.

***

١٧_لا يتنافى كون الله تعالى أرحم بالعبد من الأم بولدها، مع تخليد الكافر في النار.

السؤال:

كيف نفهم قول النبي ﷺ: « لله أرحم من هذه بولدها »، فالأم المسلمة ترحم ابنها، ولو كان كافرا، فهل الله يرحم عبده الكافر؟ وهل عدم إخراج الله للكافر من النار تتنافى مع رحمة الله؟

الجواب:

الحمد لله

لا شك أن الله تعالى أرحم الراحمين، وأن رحمته وسعت كل شيء، وأنه أرحم بعبده من الأم بولدها، بل هو سبحانه أرحم بالعبد من نفسه.

ولا يتنافى ذلك مع تعذيب الكافر وتخليده في النار يوم القيامة، والكلام في ذلك على ثلاث مقامات:

أولا:

التفريق بين رحمة الله العامة التي تكون في الدنيا، ورحمته الخاصة التي تكون في الآخرة، فهو سبحانه يرحم عباده في الدنيا كلهم، مؤمنهم وكافرهم، طائعهم وعاصيهم، رحمة عامة، فيرزقهم ويطعمهم ويسقيهم ويشفهم ويعافيهم، إلى غير ذلك من صور الرحمة التي لا تحصى، فلولا رحمة الله ما تنفس أحد الهواء، ولا وجد أحد شربة ماء، ولا ما يطعمه ولا ما يكسوه، وإذا مرض فلولا الله ما عوفي، والناس في ذلك – من جهة العموم – سواء، فهذه رحمة عامة، يرحم بها وليه وعدوه.

أما رحمته الخاصة التي تكون في الآخرة فلا تكون إلا للمؤمنين، وليس للكافرين فيها نصيب.

ثانيا:

أن الذي جعل الوالدة رحيمة لا بد أن يكون أرحم منها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أَرْحَمِ الْوَالِدَاتِ بِوَلَدِهَا؛ فَإِنَّ مَنْ جَعَلَهَا رَحِيمَةً أَرْحَمُ مِنْهَا ". انتهى من "مجموع الفتاوى" (١٦/ ٤٤٨).

فمقتضى العقل: أن الله أرحم من كل راحم من خلقه، مهما بلغت رحمته؛ لأنه سبحانه هو الذي جعلهم يرحمون. وقد روى البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢) عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي **الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ** ».

ثالثا:

أن أسماء الله تعالى وصفاته لا تتعارض، وإنما يصدق بعضها بعضا، ويدل بعضها على بعض.

فمقتضى رحمته سبحانه الرحمة، ومقتضى عدله العدل، فإذا قال قائل: يتوجب أن يرحم الكافر لأنه أرحم الراحمين فالرحمة صفته، قيل: يلزم لذلك أن لا يعدل، والعدل صفته، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ الجاثية/ ٢١، وقال سبحانه: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ

﴿الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ سورة ص/ ٢٨، وقال سبحانه: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ القلم: ٣٥، ٣٦.

فمن تمام حكمة الله وعدله سبحانه أن يفرق بين وليه وعدوه، وأهل طاعته وأهل معصيته، ومن عبده، ومن عبد غيره، وإلا فإن التسوية بين هؤلاء جميعا من الظلم الذي يناقض العدل والحكمة، وإذا كان المخلوق لا يساوي بين عدوه ووليه، ويعد ذلك في عقول الناس وأفهامهم وأعرافهم سفها وجهلا وظلما، فكيف بالله رب العالمين سبحانه؟!

فالله تعالىٰ أرحم الراحمين خلق الخلق ورزقهم ومنّ عليهم بنعم لا تحصىٰ، ثم أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب وهداهم إلىٰ بينة الإيمان وعلامة الهدىٰ، وهذا لا شك أعظم بكثير من رحمة الأم بولدها.

فلما أطاعه المؤمن، وعصاه الكافر: امتنع أن يسوي بينهما بمقتضىٰ حكمته وعلمه وعدله ووعد ووعيده، وأخرج الكافر نفسه من التأهل لهذه الرحمة الخاصة في الدار الآخرة.

وقال تعالىٰ: ﴿ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾الأعراف/ ١٥٦.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف/ ٥٦.

قال ابن الجوزي::

" من عموم رحمته إرسال الرسل، وإمهال المذنبين، فإذا جحده الكافر: خرج إلىٰ مقام العناد، فلم يكن أهلا للرحمة.

وأما خصوص رحمته: فلعباده المؤمنين، فهو يلطف بهم في الشدة والرخاء، يزيد على لطف الوالدة بولدها " انتهى من "كشف المشكل" (١/ ٩٤).

والحاصل: أن رحمة الله الخاصة، في الدار الآخرة: إنما تكون لأوليائه وأحبائه من أهل التوحيد، أما من مات على الكفر معاندا ومستكبرا فلا حظ له في رحمة الله، وينتقل عنها إلى عدله سبحانه؛ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا، وحاق بالكافرين ما كانوا به يكذبون، ويستهزئون.

قال الشيخ ابن عثيمين::

" يقول تعالى لهم - يعني للكافرين - إذا سألوا الله أن يخرجهم من النار، وتوسلوا إلى الله تعالى بربوبيته، واعترافهم على أنفسهم: ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ المؤمنون/ ١٠٧؛ فلا تدركهم الرحمة، بل يدركهم العدل، فيقول الله عز وجل لهم: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ المؤمنون/ ١٠٨ ".

انتهى من "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (٨/ ٢٨).

والله أعلم.

***

١٨_هل هناك علامات يمكن بها للعبد في الدنيا أن يعرف مصيره في الآخرة؟

السؤال:

كنت أريد أن أعلم إن كان من الممكن أن يوحي الله للإنسان مصيره من الجنة أو النار، وهو ما يزال في هذه الدنيا، مثلا عن طريق علامة في الجسد، أم إن هذه وساوس الشيطان.

الجواب:

الحمد لله

أولا:

مذهب أهل السنة: عدم القطع لمعين بجنة أو نار ' إلا من ورد الدليل الشرعي في حقه بذلك.

ثانيا:

القاعدة العامة: أن من أطاع الله ورسوله دخل الجنة، ومن عصى الله ورسوله دخل النار؛ فروى البخاري (٧٢٨٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى » قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: « مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى ».

إلا أن مصير الخلائق على التعيين لا يعلمه إلا الله، ولا يمكن الجزم لأحد بمصير رحمة أو مصير عذاب، إلا بالنص الشرعي المعين في ذلك كما تقدم، فنقطع بأن العشرة المبشرين بالجنة من أهلها، ونقطع بأن فرعون وهامان وأبا جهل من أهل النار.

كما أننا نقطع أن من مات على التوحيد فإنه يدخل الجنة، وإن أصابه قبل ذلك ما يصيبه، ومن مات على الشرك فإنه يدخل النار، لكن لا نسمي أحدا بعينه في ذلك.

ثالثا:

هناك علامات تدل على صلاح العبد وحسن خاتمته، وعلامات تدل على فساده وسوء خاتمته، لكنها علامات بشارة، أو نذارة، وليس شيء منها قاطعا بالنسبة لنا، وإنما يوكل حال الشخص المعين إلى رب العالمين.

قال الإمام الطحاوي: في بيان اعتقاد أهل السنة:

" نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ، وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ، وَلَا نَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَنَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا نُقَنِّطُهُمْ."

وقد روى ابن حبان (٦٨٩١)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٠٠)، والحاكم (٤٥١٥) بسند صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " دَخَلْتُ عَلَى عُمَرَ حِينَ طُعِنَ، فَقُلْتُ: أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسْلَمْتَ حِينَ كَفَرَ النَّاسُ وَجَاهَدْتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ حِينَ خَذَلَهُ النَّاسُ ، وَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ وَهُوَ عَنْكَ رَاضٍ ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي خِلَافَتِكَ اثْنَانِ ، وَقُتِلْتَ شَهِيدًا ، فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ ، فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: " وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَوْ أَنَّ لِي مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمُطَّلَعِ ".

ولفظ ابن حبان: " الْمَغْرُورُ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، لَوْ أَنَّ مَا عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ بَيْضَاءَ وصفراء، لافتديت به من هول المطلع ".

قال الطبري::

" لكل حدٍّ من حدود الله التي حدَّها فيه -من حلالٍ وحرامٍ، وسائر شرائعه- مقدار من ثواب الله وعقابه، يُعاينه في الآخرة، ويَطَّلع عليه ويلاقيه في القيامة، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " لو أنّ لي ما في الأرض من صفراءَ وبيضاءَ لافتديتُ به من هَوْلِ المطَّلَع"، يعني بذلك ما يطَّلع عليه ويهجُم عليه من أمر الله بعد وفاته " انتهى من "تفسير الطبري" (١/ ٧٢).

فهذا يقوله عمر ﵁ ويحلف عليه بالله، وهو أفضل الأمة بعد نبيها ﷺ وبعد أبي بكر ﵁، فكيف بغيره؟

وروى الإمام أحمد في "الزهد" (ص١٢٨) عن ابن مسعود ﵁ قال: " لَا رَاحَةَ لِلْمُؤْمِنِ دُونَ لِقَاءِ اللهِ y " وصححه الألباني في "الضعيفة" (٢/ ١١٦).

وإنما يستريح من غُفر له؛ كما قال النبي ﷺ، رواه أحمد (٢٤٣٩٩)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٢٣١٩)، ولا يعرف أحد أنه قد غفر له إلا يوم القيامة.

وعن مُحَمَّد بْن حسنويه قَالَ: " حضرت أبا عبد اللهَّ أَحْمَد بن حنبل وجاءه رجل من أهل خراسان فقال: يا أبا عَبْد اللهَّ قصدتك من خراسان أسألك عَنْ مسألة قَالَ: له سل قَالَ: متى يجد العبد طعم الراحة؟ قَالَ: " عند أول قدم يضعها فِي الجنة ".

انتهى من "طبقات الحنابلة" (١/ ٢٩٣).

والله تعالى أعلم.

***

١٩_ هل الكبير من أسماء الله؟

السؤال:

سمعت شيخاً يصف الله بأنه كبير. فهل يجوز قول ذلك؟ إنني أدرك ان هناك حديثاً ينص على أن الكرسي بالنسبة للعرش ليس إلا كحلقة ملقاة في فلاة، ومعلوم أن الله فوق العرش، وأدرك أيضاً أن أهل السنة يثبتون لله ما أثبته هو لنفسه وينفون ما نفاه عن نفسه، وأنه لا ينبغي لنا أن نقول على الله شيئاً بغير علم، وأنه ليس كمثله شيء، وأنه يجب فهم أسماء الله وصفاته بمعناها الظاهر.. وعلى حدّ علمي أن الله لم يقل لنا إنه كبير، فهل كان الشيخ محقاً فيما قال؟ أرجو التوضيح.

الجواب:

الحمد لله

أولا:

ليس من شك في أن من أعظم ما ينبغي على العبد الاهتمام به من أمر الدنيا والآخرة: معرفة الله ﷻ، بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، والاجتهاد في إحصاء ذلك، وترقي منازل العبودية من ذلك الباب الرحب؛ وإنما يشرف العلم، بحسب شرف المعلوم، ولا علم أشرف من العلم بالله ﷻ، ولا ثمرة أعظم من تلك الثمرة التي يرجوها العبد من إحصاء أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، والتعبد لربه بذلك.

روى البخاري (٢٧٣٦) ومسلم (٢٦٧٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ».

ثانيا:

وأما تسمية الله تعالى بـــ (الكبير) فأمر لا إشكال فيه؛ لأن الله سبحانه سمى به نفسه في كتابه العظيم في مواطن متعددة؛ فقال جل شأنه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

الكَبِيرُ المُتَعَالِ﴾ سورة الرعد/ ٩، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ سورة سبأ/ ٢٣.

وقد فسّرت السنة هذه الآية، كما في صحيح البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ المَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ » رواه البخاري (٤٥٢٢)

وقال أيضاً: ﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ سورة غافر/ ١٢.

ومعنى اسم الله الكبير: كما قال ابن القيم:: " فالله سبحانه أكبر من كل شيء، ذاتًا وقدرًا وعزة وجلالة، فهو أكبر من كل شيء: في ذاته، وصفاته، وأفعاله، كما هو فوق كل شيء، وعال على كل شيء، وأعظم من كل شيء ، وأجل من كل شيء، في ذاته وصفاته وأفعاله. " انتهى من "الصواعق المرسلة" (٤/ ١٣٧٩)

وقال الخَطابِي: "هُو الذِي تَكبَر عَنْ كُلِ سُوءٍ؛ فلا شيء مِثلهُ، وَالذِي كَبُرَ وَعَظُمَ؛ فكُل شيء دُون جلاله: صَغيرٌ وَحَقيرٌ" انتهى من "شأن الدعاء"ص / ٦٦.

وقد أمر الله سبحانه بتكبيره فقال جل شأنه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً﴾. سورة الإسراء/ ١١١.

ولذا جاء في السنة الأمر بتكبير الله، كما هو معلوم في ابتداء الصلاة وسائر تكبيراتها، وكذلك شرع لنا التكبير في عدد من العبادات؛ كأذكار أدبار الصلوات، وقبل النوم، ورمي الجمار وعند الذبح، وفي العيدين وغيرهما.

كما حث النبي ﷺ على الإكثار من التكبير، وأخبر أنه من أحب الكلام إلى الله تعالى؛ فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحبُّ الكلام إلى الله تعالى أربع لا يضرك بأيِّهنَّ بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» رواه مسلم (٢١٣٧)

والله أعلم.

٢٠_ حوت يونس عليه السلام: هل لا يزال حيا؟

السؤال:

ما مدى صحة هذه المعلومات؟ - الحوت الذي ابتلع يونس عليه السلام هو على قيد الحياة الى الآن، استنادا لمضمون قوله تعالى: (للبث في بطنه إلى يوم يبعثون)؟

الجواب:

الحمد لله

أولا:

القول بأن الحوت الذي التقم يونس عليه السلام لا يزال حيا؛ لقوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ الصافات/ ١٤٣، ١٤٤.

قول غير صحيح، لأنه قول محدث لا دليل عليه، ولا نعلم أحدا من أهل العلم بالتفسير أو بالعربية قال ذلك.

والاستدلال بالآية على ذلك استدلال غير صحيح؛ فإن " لولا " حرف امتناع لوجود، أي امتناع تحقيق جوابها، لوجود شرطها، يعني إذا وجد الشرط امتنع تحقق الجواب.

وينظر حول ذلك: "الإتقان في علوم القرآن" للسيوطي (٢/ ٢٨٤).

فلما كان يونس عليه السلام من المسبحين، امتنع أن يلبث في بطن الحوت إلى يوم يبعثون، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ الأنفال/ ٦٨. فامتنع وقوع العذاب، لما سبق في الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ الإسراء/ ٧٤.

فامتنع ركونه ﷺ للمشركين لحصول تثبيت الله له.

وحاصل ذلك:

أن يونس عليه السلام: كان من المسبحين؛ ولأجل ذلك أنجاه الله من تلك الظلمات، ولم يلبث في بطن الحوت تلك المدة التي كانت مقدرة، لو لم يكن من المسبحين.

ثم؛ لا علاقة لشيء من ذلك، من قريب، أو بعيد: بحياة الحوت الآن، أو متى مات، أو لم يمت؛ فكل هذا مبني على تقدير، لم يحصل.

بل يقال أيضا: المكث في بطن الحوت إلى يوم يبعثون لا يلزم منه أن لا يزال الحوت حيا إلى يوم القيامة، فغير ممتنع أن يموت الحوت ويموت الإنسان في بطن الحوت، ثم يمكث في بطنه إلى يوم البعث، كما يمكث الميت في قبره إلى يوم البعث.

والله تعالى أعلم.

***

٢١_ينكر استواء الله على عرشه، ويسأل: أين كان الله قبل خلق السموات وقبل خلق العرش؟!

السؤال:

من ينكر علو الله واستواءه على عرشه ﷻ، ودائماً يسأل: أين كان الله قبل خلق السماوات، وقبل خلق الجهات، وقبل خلق العرش؟

الجواب:

الحمد لله

أولا:

تقدم في جواب السؤال ذكر الأدلة على علوّ الله تعالى على خلقه وأنّه سبحانه فوق السموات.

كما تقدم في جواب السؤال رقم: بيان أن عرش الرحمن سبحانه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض وما فيهن.

ثانيا:

قبل خلق العرش، وقبل خلق السموات والأرض، وقبل خلق الجهات، كان الله تعالى ولا شيء قبله، ولا شيء غيره، ولا شيء معه؛ كما روى البخاري (٧٤١٨) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ، قَالُوا بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ، قَالُوا: قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ؟ قَالَ: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ».

قال الحافظ::

" فِيهِ دَلَالَة عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْء غَيْره لَا الْمَاء وَلَا الْعَرْش وَلَا غَيْرهمَا ، لِأَنَّ كُلّ ذَلِكَ غَيْر اللهَّ تَعَالَىٰ " انتهىٰ.

وكان من دعائه ﷺ ما رواه مسلم (٢٧١٣): « اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ... ».

وعَنْ أَبِي رَزِينٍ قَالَ: " قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا y قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ: « كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَىٰ الْمَاءِ » رواه الترمذي (٣١٠٩) وابن ماجه (١٨٢) وأحمد (١٥٧٥٥)

والحديث صححه الطبري، وحسَّنه الترمذي والذهبي وابن تيمية، وضعفه الألباني في " ضعيف الترمذي ".

وقال الترمذي: قال أحمد بن منيع: قال يزيد بن هارون: العماء: أي: ليس معه شيء.

وقيل: معنىٰ " عماء ": السحاب الأبيض.

فالحاصل: أن الله ﷻ، تفرد بالأولية، فلم يكن معه مخلوق في الأزل، بل كان الله ولم يكن شيء قبله؛ ثم خلق الخلق فاستوىٰ علىٰ عرشه، كما أخبر في كتابه، علىٰ ما شاء سبحانه، لا منازع له في ملكه، ولا شريك له في سلطانه.

ثانيا:

هذا السؤال الذي يورده النفاة علىٰ من يثبت علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه، واستواءه علىٰ عرشه، إنما يصح أن يتوجه عليهم إذا كانوا يقولون إن الله تعالىٰ يحتاج إلىٰ عرشه، أو إلىٰ سماواته، أو إلىٰ شيء من خلقه، تعالىٰ الله عما يقولون علوا كبيرا، فأما إذا كان

المثبتة يقررون مع ذلك ما يؤمن به كل مسلم، من أن الله تعالىٰ له الغنىٰ المطلق عن خلقه كلهم، لا منازع له في ملكه وسلطانه، وأن العرش والسموات، والخلائق جميعا، إنما قامت، واستمدت وجودها، وبقاءها من ربها، الذي منه الإيجاد لها، والإعداد لما سخرها له، والإمداد بالبقاء والرزق، وأن العرش محتاج إلىٰ ربه، مرتفع بقوته وقدرته: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ فاطر/ ٤١، إذا كان الأمر كذلك، فما وجه ورود هذا السؤال عليهم، وما إلزامهم بشيء من لوازمه إلا البهت والعدوان.

ثم إن السؤال وارد علىٰ النفاة أيضا، ولا يخلصون منه إلا إذا أثبتوا ما دل عليه الشرع والعقل من علو الله علىٰ خلقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ ثُمَّ خَلَقَ الْعَالَمَ؛ فَلَا يَخْلُو:

إمَّا أَنْ يَكُونَ خَلقهُ فِي نَفْسِهِ، وَانْفَصَلَ عَنْهُ؛ وَهَذَا مُحَالٌ، تَعَالَىٰ اللهُ عَنْ مُمَاسَّةِ الْأَقْذَارِ وَغَيْرِهَا.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَلقهُ خَارِجًا عَنْهُ ثُمَّ دَخَلَ فِيهِ؛ وَهَذَا مُحَالٌ أَيْضًا تَعَالَىٰ أَنْ يَحِلَّ فِي خَلْقِهِ.

وَهَاتَانِ لَا نِزَاعَ فِيهِمَا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَلقهُ خَارِجًا عَنْ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ، وَلَمْ يَحِلَّ فِيهِ، فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ، وَلَا يَلِيقُ بِاَللَّهِ إلَّا هُوَ " انتهىٰ من "مجموع الفتاوىٰ" (٥ / ١٥٢).

فحينئذ، يقال: ما المحذور الذي يلزم من أثبت لله ما أثبته لنفسه من علوه علىٰ خلقه، واستوائه علىٰ عرشه، ثم لا يلزم مثله، أو أشد منه نفاة ذلك؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أيضا:

" وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ فِي النَّصِّ إِثْبَاتُ لَفْظِ الْجِهَةِ وَلَا نَفْيُهُ كَمَا فِيهِ إِثْبَاتُ الْعُلُوِّ وَالِاسْتِوَاءِ وَالْفَوْقِيَّةِ وَالْعُرُوجِ إِلَيْهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِمَنْ نَفَى الْجِهَةَ: أَتُرِيدُ بِالْجِهَةِ أَنَّهَا شَيْءٌ مَوْجُودٌ مَخْلُوقٌ؟ فَاللهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِي الْمَخْلُوقَاتِ أَمْ تُرِيدُ بِالْجِهَةِ مَا وَرَاءَ الْعَالَمِ؟ فَلَا رَيْبَ أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَالَمِ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ، وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِمَنْ قَالَ اللهُ فِي جِهَةٍ: أَتُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَالَمِ؟ أَوْ تُرِيدُ بِهِ أَنَّ اللهَ دَاخِلٌ فِي شَيْءٍ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ؟ فَإِنْ أَرَدْت الْأَوَّلَ فَهُوَ حَقٌّ وَإِنْ أَرَدْت الثَّانِيَ فَهُوَ بَاطِلٌ وَكَذَلِكَ لَفْظُ التَّحَيُّزِ: إنْ أَرَادَ بِهِ أَنَّ اللهَ تَحُوزُهُ الْمَخْلُوقَاتُ فَاللهُ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ؛ بَلْ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنْ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ مُنْحَازٌ عَنْ الْمَخْلُوقَاتِ؛ أَيْ مُبَايِنٌ لَهَا مُنْفَصِلٌ عَنْهَا لَيْسَ حَالًّا فِيهَا: فَهُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا قَالَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ: فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ " انتهى مختصرا، من "مجموع الفتاوى" (٣ / ٤١-٤٢).

***

٢٢_ يريد الانتحار استعجالا وشوقا للقاء الله

السؤال:

أريد أن أنتحر، ليس كرها في الدنيا، بل حبا في لقاء الله !! لا أستطيع الصبر أكثر من ذلك، حتى لو كان ذلك الذهاب للجهاد، أريد رؤية الله Y وتكرم اسمه وتقدست صفاته، هل أدخل النار أن أنتحر بنية رؤية الله؟

الجواب:

الحمد لله

الانتحار من كبائر الذنوب، وليس في الإسلام انتحار بقصد رؤية الله، أو التقرب إليه؛ فكيف يتقرب العبد إلى ربه بما نهاه عنه، وحذره منه، وتوعده عليه بعظيم العذاب، وأليم العقاب؟

ولو كان هذا مشروعا لفعله أحب الناس إلى الله، وأكثرهم شوقا إلى لقائه، من الأنبياء والصالحين، فدع عنك وساوس الشيطان، واحذر أن تقع في هذا الذنب العظيم الذي قد يحرمك من رؤية الله في الآخرة، ويودي بك في نار جهنم، خالدا مخلدا فيها !!

وقد بيَّن النبي ﷺ أن المنتحر يعاقب يوم القيامة بمثل ما قتل نفسه به.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « مَن تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومَن تحسَّى سمّاً فقتل نفسه فسمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومَن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً » رواه البخاري (٥٤٤٢) ومسلم (١٠٩).

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « مَن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة » رواه البخاري (٥٧٠٠) ومسلم (١١٠).

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات. قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة» رواه البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (١١٣).

وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة على المنتحر، عقوبةً له، وزجراً لغيره أن يفعل فعله، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: (أُتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل قتل نفسه بمَشاقص فلم يصل عليه) رواه مسلم (٩٧٨).

قال النووي:

" المَشاقص: سهام عراض.

وفي هذا الحديث دليل لمن يقول: لا يصلى على قاتل نفسه لعصيانه ، وهذا مذهب عمر بن عبد العزيز والأوزاعي ، وقال الحسن والنخعي وقتادة ومالك وأبو حنيفة والشافعي وجماهير العلماء: يصلى عليه ، وأجابوا عن هذا الحديث بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل عليه بنفسه زجرا للناس عن مثل فعله ، وصلت عليه الصحابة " انتهى من " شرح مسلم " (٧ / ٤٧).

والتقرب إلى الله تعالى يكون بما شرع، وأفضل ذلك فعل الفرائض، ثم أداء النوافل، كما في الحديث الذي رواه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه).

نسأل الله لك الهداية والتوفيق، وأن يقيك شر نفسك، ونزغات الشيطان.

والله أعلم.

٢٣ـ هل يجوز للإمام الجهر بالبسملة من أجل تأليف قلوب المصلين؟

السؤال:

عُيّنت مؤخراً إماماً لأحد المساجد لمدة مؤقتة، وقد بدأت الصلاة بالناس، ووفقاً للفهم المتأصل لديّ من أن هناك رأيين في مسألة الجهر بالبسملة في الصلاة وأن الأرجح عدم الجهر بها لم أجهر، ولكن الناس تضايقوا من هذا وبدأوا يتحدثون عن هذا من خلفي ويشتكون ويقولون: لماذا لا يقرأ هذا الإمام البسملة؟ يجب أن يفعل كما كان يفعل الأئمة الذين أتوا من قبله. كما أنهم يعيبون عليَّ عدم قراءتي لبعض السور التي جرت العادة أن تُقرأ في بعض الأيام، كقراءة سورتي الفلق والناس في صلاة المغرب يوم الجمعة. إني أحاول أن أتجاهل مثل هذه الأشياء، ولكني لا أريد أن أثير فتنة أو أن أكون سبباً في إثارتها، ويمكنني بكل سهولة أن أتخلى عن هذا العمل وأوكله إلى شخص آخر، فهو عمل مؤقت على كل حال.

فأشيروا عليَّ:

هل أجهر بالبسملة في الصلاة أم لا؟

وهل أقرأ تلك السور التي اعتادوا أن يسمعوها أم أتخلى عن العمل بالكلية؟

الجواب:

الحمد لله

أولاً:

نشكر لك – أخي السائل – حرصك على اتباع سنة النبي ﷺ في صلاته، ونشكر لك سؤالك عن حكم موافقة المأمومين فيما تعودوا عليه، وخيراً فعلت؛ حيث يظن بعض المتبعين للسنَّة أنهم ليسوا بحاجة لإرشاد ونصح في طريقة تعاملهم مع الناس! وأنه حتى لو كان بتطبيقهم للسنَّة - التي يرونها راجحة - فتنة وتباغض قلوب

وتفرق المسلمين فإنهم لا يتوانون عن تطبيقها، ولو ترتب عليها ما ترتب من فساد ! ولا شك أن هذا خطأ، وأنه ليس هو ما عليه أئمة أهل السنة قديماً وحديثاً كما سيأتي.

ثانياً:

لا شك أن الجهر بالبسملة في الفاتحة في الصلاة جائز، وليس بدعة ولا حراماً، ولكن في أكثر صلاة النبي ﷺ لم يكن يجهر بها بل كان يقرؤها سرّاً.

عن أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما كَانُوا يَفْتَتِحُونَ الصَّلَاةَ بِـ ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. رواه البخاري (٧٤٣).

وعند أحمد (١٢٨٦٨) " وكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ".

وهذا مذهب الحنفية والحنابلة، وخالفهم الشافعية فقالوا بسنيَّة الجهر بها.

ومع كون السنَّة الثابتة: عدم الجهر بالبسملة؛ إلا أنه لا حرج من الجهر بها، خاصة عند من كان مذهبهم الجهر بها، تأليفاً لقلوبهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –: –: " ومع هذا: فالصواب: أن ما لا يُجهر به، قد يشرع الجهر به لمصلحة راجحة، فيشرع للإمام - أحيانا - لمثل تعليم المأمومين، ويسوغ للمصلين أن يجهروا بالكلمات اليسيرة أحيانا، ويسوغ أيضا أن يترك الإنسان الأفضل لتأليف القلوب واجتماع الكلمة، خوفاً من التنفير عما يصلح، كما ترك النبي ﷺ بناء البيت على قواعد إبراهيم؛ لكون قريش كانوا حديثي عهد بالجاهلية، وخشي تنفيرهم بذلك، ورأى أن مصلحة الاجتماع والائتلاف مقدمة على مصلحة البناء على قواعد إبراهيم، وقال ابن مسعود، لما أكمل الصلاة خلف عثمان وأنكر عليه، فقيل له في ذلك، فقال: " الخلاف شر "؛ ولهذا نص الأئمة كأحمد وغيره على ذلك بالبسملة، وفي وصل الوتر، وغير ذلك مما فيه العدول عن الأفضل إلى الجائز

المفضول؛ مراعاة ائتلاف المأمومين أو لتعريفهم السنَّة وأمثال ذلك " انتهى من " مجموع الفتاوى " (٢٢ / ٤٣٦، ٤٣٧).

وقال -: - أيضاً -: " فترك الأفضل عنده لئلا ينفر الناس، وكذلك لو كان رجل يرى الجهر بالبسملة فأمَّ بقوم لا يستحبونه أو بالعكس ووافقهم: كان قد أحسن ".

انتهى من " مجموع الفتاوى " (٢٢ / ٢٦٨، ٢٦٩).

وسئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين -: -:

ما حكم الجهر بالبسملة؟.

فأجاب: " الراجح: أن الجهر بالبسملة لا ينبغي، وأن السنَّة الإسرار بها؛ لأنها ليست من الفاتحة، ولكن لو جهر بها أحياناً: فلا حرج؛ بل قد قال بعض أهل العلم: " إنه ينبغي أن يجهر بها أحياناً؛ لأن النبي ﷺ قد روي عنه " أنه كان يجهر بها ".

ولكن الثابت عنه ﷺ " أنه كان لا يجهر بها "، وهذا هو الأولى: أن لا يجهر بها.

ولكن لو جهر بها تأليفاً لقوم مذهبهم الجهر: فأرجو أن لا يكون به بأس ".

انتهى من " مجموع فتاوى الشيخ العثيمين " (١٣ / ١٠٩).

وعليه: فيجوز لك الجهر بالبسملة لأولئك القوم إما دائما، أو أحياناً؛ لتحقيق مصلحة كبرى وهي ائتلافهم واجتماعهم ووحدة كلمتهم، ويمكنك استثمار هذا لتعليمهم ما هو أهم من مسائل الفقه العملية وهو التوحيد ونواقضه والشرك ووسائله، وبقاؤك مع الجهر بالبسملة خير – ولا شك – للناس من تركك لهم ليحل محلك إمام جاهل يضل الناس ويجهلهم ويصرفهم عن العلم الشرعي.

ثالثاً:

إن المداومة على سورٍ وآيات معينةٍ في صلواتٍ محددة مقتصراً عليها: لا يخلو الأمر فيها من حالين:

الأول: أن يكونَ الشرعُ قد أثبتَ المداومة عليها، كسورتي " السجدة " و " الإنسان " في صلاة الفجر من يوم الجمعة، وعليه: فلا بأسَ من المداومةِ على ذلك في كلِّ فجر جمعةٍ.

الثاني: ألاَّ يكونَ الشرع قد أثبتَ المداومة عليها، كأن يعيِّن الإمام قراءة آخر سورة البقرة في المغربِ دائماً: فالسنَّةُ عدم مشروعيةِ المداومةِ؛ لأن ذلك مخالفٌ لهديه ﷺ من التنوع في القراءة - وخشيةً لاعتقاد الجهلةِ استحباب ذلك في كل مغربٍ، فضلا عن وجوبه.

ومع كون هذا هو السنَّة فإنه لا مانع من قراءة ما اعتادوا عليه والمداومة على ذلك لفترة من الوقت استعمالاً للسياسة الشرعية؛ من أجل وحدة كلمة المصلين وعدم تفرقهم، ومن أجل إغلاق الباب على من يأتي من أئمة البدع لإضلالهم، ومن أجل تحبيبهم لك وللمنهج العلمي الذي تسلكه لتصل بهم إلى حبِّ السنَّة والعمل بها، وسيكون مع الوقت ترك لتلك المداومة كما قد فعله غيرك من طلبة العلم في مثل حالك مع المخالفين للسنَّة من المصلين.

والله أعلم

***

٢٤_لماذا لم يخلق الله حواء مع آدم عليه السلام في وقت واحد؟

السؤال:

كنت أتحدث مع أحد الملحدين فسألني عن خلق حواء قائلاً: لماذا لم يخلق الله حواء إلا بعد آدم بوقت طويل، في حين أنه كان يعلم حاجة آدم الى رفيق يؤانسه؟ فإذا كان الله يعلم كل شيء، فلماذا لم يخلقهما معاً في وقت واحد؟ أرجو تزويدي بالإجابة كي أردّ عليه.

الجواب:

الحمد لله

أولا:

لا بد أن نعلم أن الله تعالى فعال لما يريد، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، وليس للعبد أن يسأل الرب عن فعله لم فعله؟

قال الإمام إسحاق بن إبراهيم::

" لا يجوز الخوض في أمر الله كما يجوز الخوض في أمر المخلوقين؛ لقول الله تعالى (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) الأنبياء/ ٢٣، ولا يجوز أن يتوهم على الله بصفاته وأفعاله بفهم، ما يجوز التفكر والنظر فيه من أمر المخلوقين " انتهى من "الاستقامة " لابن تيمية (١ / ٧٨).

وليس ذلك لمجرد أنه القادر القهار الفعال لما يريد، فحسب؛ بل لأن فعله سبحانه كله حكمة، وعدل ورحمة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك/ ١٤.

ثانيا:

قول هذا الملحد: " إن الله تعالى لم يخلق حواء إلا بعد وقت طويل من خلق آدم " !!

يقال له: من أين عرفت ذلك؟!

إن هذا من أمر الغيب الذي لم تشهده أنت، ولم يبلغه علم تاريخك، وتاريخ أمثالك.

فإن كنت قد بلغك شيء من أخبار الأنبياء، فصدقهم أولا في وحدانية الله وعظمته وجلاله، وما أخبروا به من غيبه ووحيه، وجنته وناره، ثم بعد ذلك انظر؛ فإن وجدت لمثل سؤالك هذا موضعا، فاسأل !!

وإلا، فنحن نطالبك بالدليل على صحة كلامك الذي ادعيته؛ فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين!!

وأما نحن فليس عندنا موضع لهذا السؤال من أصله، لما قدمناه أولا من أن أول أصول هذا الدين: أن نستسلم بكليتنا لرب العالمين.

على أننا نقول لك: إن الظاهر إنه لم يكن هناك ذلك الزمان الطويل الذي تدعيه بين خلق آدم وخلق حواء، وأن الله خلقها له من قبل أن يسكنه الجنة.

روى البخاري (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ. فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»

قال الحافظ::

" قَوْلُهُ: «خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ» أَخْرَجَهُ اِبْن إِسْحَاق وَزَادَ: «الْيُسْرَى مِنْ قَبْل أَنْ يَدْخُل الْجَنَّة، وَجُعِلَ مَكَانه لَحْم» انتهى من " فتح الباري " (٦/ ٣٦٨).

وقال ابن كثير::

" أَمَرَ اللهُ آدَمَ عليه السلام أَنْ يَسْكُنَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ الْجَنَّةَ فَقَالَ (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ).

وقال في الأعراف ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ وسياق هذه الآيات يقتضي أن خلق حواء كان قبل دخول آدم الجنة؛ لقوله ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ وهذا قد صرح به ابن إسحاق، وَهُوَ ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَاتِ " انتهى باختصار من "البداية والنهاية" (١/ ٨١).

ثالثاً:

ما المانع من أن تكون هناك حكمة لم يبلغها عقله، ولم نقف عليها نحن، وهل وقفت علوم البشر وعقولهم على كل ما في الكون، علويه وسفليه من أسرار؟!

هل كل ما عجز العلم عن اكتشافه، والوقوف على حقيقته وسره حتى الآن، أمر غير موجود، ولا أمل في الوصول إليه؟!

إذا، ما حاجة العلماء إلى علومهم، ومعاملهم، وأبحاثهم، وأرصادهم؟!

ثم ما الذي يمنع من أن تكون لهذا فائدة أخرى؛ حين يشعر آدم بالوحشة، ليعرف بعدها قيمة الأنس بزوجه التي خلقها الله له؟!

وما الذي يمنع من أن يكون ذلك دافعا له للحاجة إلى ربه والافتقار إليه في حاجته، ودعائه أن يؤنس وحشته؛ وهذا عبودية يحبها الله من خلقه؟!

فسبحان من له الحكمة التامة والحجة البالغة.

والله تعالى أعلم.

***

٢٥_يقدم له شخص طعاما وهو يشك في كونه يريد به السوء، فماذا يفعل؟

السؤال:

سؤالي كالآتي، لو قدم إليك شخص طعاما أو شرابا، ولديك خلفية سيئة عنه أو له اعتراض عليك، وتشك أنه يريد إيذاءك بسحر أو ضرر في بدنك، فما الذي ينبغي عليك فعله، هل عليك أن ترفض الطعام أو الشراب المقدم لك؟، وهل رفضك الطعام أو الشراب يشير إلى ضعف الإيمان أو اليقين بالله؟ أم ماذا يعتبر أو يشير إليه ذلك الفعل؟ وما هو حد اليقين، لو كان هناك أي يقين، وإلى أي حد يرتبط هذا السؤال بالرسول ﷺ لما وضعت له السم المرأة اليهودية، ولم يتوقف عن أكل الطعام حتى بعد أن علم أن بها سم - على ما أظن - فأريد إجابة واضحة عن ذلك.

الجواب:

الحمد لله

أولا:

الأصل سلامة جانب المسلم، وحمل أحواله على أحسن محاملها، ومراعاة حسن الظن به في كل ما يقول ويفعل وعدم سوء الظن به؛ لأن الظن أكذب الحديث، إلا أن يبدو منه خلاف ذلك فالمسلم أخو المسلم، يحب له ما يحب لنفسه من الخير، ويكره له ما يكره لنفسه من الشر، فإذا قدم المسلم طعاما أو شرابا فالأصل إحسان الظن به حتى يتبين خلافه، ولا عبرة بالوساوس والشكوك التي لا تعتمد على برهان صحيح.

روى البخاري (٥١٤٤) ومسلم (٢٥٦٣)، (٤٩١٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

قال في عون المعبود (٩/ ٢١٩٥ - ٢١٩٦):

" «إِيَّاكُمْ وَالظَّنّ»: أَيْ اِحْذَرُوا اِتِّبَاع الظَّنّ أَوْ اِحْذَرُوا سُوء الظَّنّ ، وَالظَّنّ تُهْمَة تَقَع فِي الْقَلْب بِلَا دَلِيل " انتهى.

وروى البيهقي في " الشعب " (٨٣٤٤) عن جعفر بن محمد قال: " إذا بلغك عن أخيك الشيء تنكره، فالتمس له عذر واحدا إلى سبعين عذرا، فإن أصبته، وإلا قل: لعل له عذرا لا أعرفه "

وقال العلامة ابن باز::

" المشروع للمؤمن أن يحترم أخاه إذا اعتذر إليه ويقبل عذره إذا أمكن ذلك، ويحسن به الظن حيث أمكن ذلك، حرصا على سلامة القلوب من البغضاء ورغبة في جمع الكلمة والتعاون على الخير، وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: " لا تظن بكلمة صدرت من أخيك شرا وأنت تجد لها في الخير محملا " انتهى من "مجموع فتاوى ابن باز" (٢٦ / ٣٦٥).

فكُلْ من طعام أخيك، واشرب من شرابه، ولا تلتفت إلى الوساوس والشكوك ولا تسيء الظن به، حتى يتبين لك خلاف ذلك بدليل واضح، أو بظن غالب، تساعد عليه قرائن الأحوال التي تقول لك إن ها هنا أمرا ينبغي أن تنتبه إليه، وتحترز منه.

وأما مجرد اتباع الوساوس والشكوك، فلا شك أن ذلك من ضعف اليقين، واتباع نزغات الشيطان بين المؤمنين.

ثانيا:

اليقين عامة هو اعتماد البرهان الجلي فيما يعرض للإنسان من الأمور العلمية والعملية جميعها، ونبذ الشك وطرح الوسواس، ولذلك يقول الفقهاء عبارتهم المشهورة: " اليقين لا يزول بالشك ".

جاء في "الموسوعة الفقهية" (٤٥/ ٢٨٧):

" الْيَقِينُ فِي اللُّغَةِ: الْعِلْمُ وَإِزَاحَةُ الشَّكِّ، وَتَحْقِيقُ الأَمْرِ، وَهُوَ نَقِيضُ الشَّكِّ، وَهُوَ ثُلاثِيٌّ مِنْ بَابِ تَعِبَ، يُقَالُ: يَقِنَ الأَمْرُ يَيْقَنُ يَقَنًا: إِذَا ثَبَتَ وَوَضَحَ، فَهُوَ يَقِينٌ فَعِيلٌ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، وَيُسْتَعْمَلُ مُتَعَدِّيًا بِنَفْسِهِ وَبِالْبَاءِ، فَيُقَالُ: يَقِنْتُهُ وَيَقِنْتُ بِهِ وَأَيْقَنْتُ بِهِ.

وَالْيَقِينُ فِي اصْطِلاحِ الْفُقَهَاءِ: هُوَ جَزْمُ الْقَلْبِ بِوُقُوعِ الشَّيْءِ، أَوْ عَدَمِ وُقُوعِهِ " انتهى.

ثالثا:

أما خبر تلك الشاة المسمومة: فلم يثبت فيه أن النبي ﷺ استمر في الأكل منها بعد أن علم أنها مسمومة، والمروي عنه في ذلك خلافه.

فقد روى أبو داود (٤٥١٢) عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ».

صححه الألباني، وأصله في البخاري (٣١٦٩) ومسلم (٢١٩٠)

وعند الدارمي (٦٧): فَأَهْدَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ يَهُودِ خَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً فَتَنَاوَلَ مِنْهَا وَتَنَاوَلَ مِنْهَا بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ، ثُمَّ رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ تُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ»

وعند البزار (٦٦٧٥) قال: «**إن عضوا من أعضائها يخبرني أنها مسمومة**» فامتنع رسول الله ﷺ وامتنع من معه.

وعند ابن إسحاق: " فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع، فلاك منها مضغة، فلم يسغها ".

"البداية والنهاية" (٤ / ٢٤٠)، وينظر: "دلائل النبوة" للبيهقي (٤/ ٣٥٣).

والله أعلم.

٢٦_ لا يؤمن بالله ولديه شبهة حول بدء الخلق ومعاقبة الكفار بالنار

السؤال:

لدي صديق قال ما يلي: "أنا حقا فخور أني لست بمتدين، فقد كنت فيما مضى شابا روحانيا، يؤمن بالخرافات والخيالات كالملائكة والأشباح (الجن)، ثم قمت بتطبيق منطق النشوء والعلم مما فضح زيف الأديان عموما ليس فقط الإسلام. فعلى سبيل المثال يقول الإسلام إن الله خلق البشر أولا، ثم خلق الأرض لنا لكي نعيش عليها، وهذا الأمر خطأ وفقا للتاريخ الدقيق الذي حدده مقياس الطاقة الإشعاعية والذي قال بأن ملايين من الحيوانات المختلفة بخلاف الأرض نفسها قد وجدوا قبل أن يكون للبشر وجود بزمن طويل. وأيضا لماذا قام الله بجعل ٨٠٪ من الناس يحرقون في جهنم؟ ألا تعتقد أنها عقلية مريضة للغاية تلك التي تستيقظ كل صباح معتقدة أن زملاءها ومدرسيها وغير المسلمين جميعا سيحرقون في جهنم؟ كما أراهنك أن أصدقاءك من المسيحيين والهندوس يعتقدون نفس هذه المعتقدات السيئة عنك، بأنك ستحرق في جهنم أليس كذلك؟ إن هذا إيمان بغير دليل موجود في جميع المعتقدات، وأنا احترم حق الناس في الخيال". أنا لم أكذب في كلمة واحدة مما قالها هذا الرجل، ولهذا آمل ألا يزعج هذا ايا من رجال الدين، وأن تساعدوني بالتوجيه: كيف أقوم بدعوته، والرد على كلامه.

الجواب:

الحمد لله

أولا:

لقد أثبت كثير من العلماء المسلمين وغيرهم بطلان نظرية داروين حول النشوء والارتقاء

وقد دخلت هذه النظرية " متحف النسيان بعد كشف النقاب عن قانون مندل الوراثي واكتشاف وحدات الوراثة (الجينات) باعتباره الشفرة السرية للخلق، واعتبار أن الكروموسومات تحمل صفات الإنسان الكاملة وتحفظ الشبه الكامل للنوع. ولذا يرى المنصفون من العلماء أن وجود تشابه بين الكائنات الحية دليل واضح ضد النظرية، لأنه يوحي بأن الخالق واحد ولا يوحي بوحدة الأصل، والقرآن الكريم يقرر بأن مادة الخلق الأولى للكائنات هي الماء: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء﴾ سورة النور، / ٤٥، ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ سورة الأنبياء/ ٣٠.

وقد أثبت العلم القائم على التجربة بطلان النظرية بأدلة قاطعة، وأثبت أنها ليست نظرية علمية على الإطلاق.

والإسلام والأديان السماوية كافة، تؤمن بوجود الله الخالق البارئ المدبر المصور الذي أحسن صنع كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من سلالة من طين، ثم خلقه م نطفة في قرار مكين، والإنسان يبقى إنساناً بشكله وصفاته وعقله، لا يتطور ولا يتحول وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ." [الموسوعة للميسرة للمذاهب والأديان المعاصرة].

والأدلة على إثبات الخالق ظاهرة كالشمس، وحسب الإنسان أن يتأمل دليلا عقليا سهلا أرشد إليه القرآن الكريم: وهو أن هذه المخلوقات المتقنة الصنع: إما أن تكون خلقت نفسها، أو وجدت من غير خالق، أو خلقها خالق عليم قدير.

أما احتمال الأول والثاني فباطلان، فإنها لم تخلق نفسها، ولو كانت قادرة على الخلق، فلتخلق ما هو أصغر منها وأضعف.

وكذلك لا يمكن أن توجد من غير خالق، فإنه لو قال قائل عن أبسط المخترعات المشاهدة، كالمصباح مثلا، إن ذرات الزجاج اجتمعت وكونت هذا الشكل المتقن المتساوي، وجاء معها الأسلاك وبقية المكونات صدفة حتى صارت مصباحا، لقال

سائر العقلاء عنه إنه مجنون ! فكيف بهذه الكواكب العظيم، والأجرام والمجرات الهائلة، ذات الصنع المتقن، والانتظام المعجز؟!

قال الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾ الطور/ ٣٥، ٣٦

ولنضرب المثل بصاحبك نفسه، فهذا بدنه المشتمل على الجوارح المتقنة الصنع من القلب والعينين والأذنين والفم والأنف وبقية الأعضاء، هل خلق نفسه؟!

أو وجد واجتمع وتركب وصار ناطقا سميعا بصيرا تعمل فيه آلاف الخلايا صدفة؟!

أو خلقه خالق عليم هو الله سبحانه وتعالى؟ وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه.

فإن قيل إن الطبيعة هي التي خلقته، قيل: الطبيعة عندهم غير عاقلة ولا واعية، بل إنها تخبط خبط عشواء، فكيف تخلق هذا الكائن العاقل المنتظم المعجز في خلقه وتكوينه، فضلا عن خلق بقية العالم.

والإيمان بالملائكة والجن، هو فرع عن الإيمان بالله وبكتبه ورسله الذين أخبروا بذلك، فما لم يصحح إيمانه بالله، فلا غرابة في إنكاره للملائكة والجن.

ثانيا:

ليس في الإسلام أن الله خلق البشر أولا، ثم خلق الأرض ليعيش عليها، فهذا باطل لا أصل له، بل الأرض والسموات خلقتا قبل الإنسان بأزمنة لا يعلمها إلا الله.

وآدم عليه السلام هو أبو البشر، وقد أخبر الله ملائكته أنه سيخلقه ليجعله في الأرض، وهذا واضح في أن الأرض كانت موجودة قبل خلق آدم، ولا خلاف في هذا بين المسلمين، بل ولا بين أتباع الديانات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ

فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَنۡ يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ البقرة/ ٣٠

وهذه الآية فهم منها بعض أهل العلم أن الأرض سُكنت وعمرت قبل آدم، ووجد فيها مخلوقات أفسدت وسفكت الدماء.

والمقصود أن ما ذكره عن الإسلام غير صحيح، فالأرض مخلوقة كائنة قبل خلق البشر.

ثالثا:

الاعتراض على خلق النار، وإدخال كثير من الناس فيها، اعتراض من لا يؤمن بالعدل.

وبيان ذلك أن الله تعالى خلق الناس، وأرسل لهم من يدلهم على الخير والشر، فصار منهم المهتدون، ومنهم الأشقياء.

فهل يقول عاقل: إنه يستوي المصلح والمفسد، والبر والفاجر، والمظلوم والظالم؟

إننا نشاهد في حياتنا الضعفاء البؤساء المظلومين، ونشاهد الظلمة القساة المعتدين، فإذا كان الجميع سيفنون، ولا يؤخذ للمظلوم حقه من الظالم، فأي عدل في هذا؟!

وأي خسارة أعظم للمظلوم من هذه الخسارة؟! فقد عاش بائسا مظلوما، وسيموت كظالمه، لا ينال منه شيئا !

وهل هذا إلا دعوة للبغي والظلم والنهب بحسب الوسع والطاقة؟

ولا شك أن من علم أنه لن يحاسب ولن يجازى، وأن مصيره سيكون كغيره، لا شك أنه سيعيث في الأرض فسادا وظلما وعدوانا، وقد قيل: من أمن العقاب أساء الأدب.

ولهذا قال الله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ القلم/ ٣٥، ٣٦

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ. أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ص/ ٢٧، ٢٨

والإيمان بالثواب والعقاب، هو فرع كذلك عن الإيمان بالله تعالى وبكتبه ورسله، فعلى صاحبك أن يتفكر في نفسه، ويعطي قضية الخلق حظها من البحث والتأمل، لعل الله أن يهديه، وحينها سيصدق الله، ويصدق رسله، ويعلم أن الجنة والنار، والجن والملائكة، حقائق ثابتة، لا خيالا كما يظن الآن.

نسأل الله تعالى أن يوفقك لدعوته، وأن تكون علاقتك به لأجل الدعوة والهداية، لا لمجرد الصحبة.

والله أعلم.

٢٧_قوله تعالى +مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ_ ووجود أصحاب عاهات وإعاقات

السؤال:

عندما يطلب الله تعالى منَّا أن نبحث عن نقائص في خلقه فهو يحثنا على النظر وإعادة النظر؛لكي نقدِّر تماما كيف خلق الخلق بهذه الكيفية المذهلة، وسؤالي هو: كيف يمكن فهم هذه الآية فهما صحيحاً (الذي خلق سبع سماوات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) الملك/ ٣؟ وأنا أود أن أعرف كيف أرد عندما يسأل كافر: أليست العيوب الخلقية والتشوهات التي لدى الناس نقائص؟ وأنا أعرف أن هناك حكمة مِن خلق الله للناس على هذا النحو، لكن في ضوء الآية التي تدفع الفرد للبحث عن التفاوت في الخلق كيف يمكننا النظر إلى هذه العيوب الخَلقية على أنها ليست تفاوتاً؟

الجواب:

الحمد لله

أولاً:

إن مما يعتقده المسلم في ربِّه تعالى أنه خلَق الخلْق فأحسَنه وأتقنه، وقد مدح الله تعالى نفسه بذلك في مواضع عدة، منها قول تعالى ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ السجدة/ ٧، وقوله سبحانه ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ غافر/ ٦٤، وقوله ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل/ ٨٨، وقوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ق/ ٦.

ثانياً:

الآيات في سورة الملك والتي ذكر الأخ السائل أنها موضع إشكال مع ما يُرىٰ في خلق الله للبشر من أصحاب العاهات والإعاقات، هي قوله ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ الملك/ ٣، ٤.

قال ابن كثير –: –: " ومعنىٰ الآية: إنك لو كررت البصر مهما كررتَ لانقلب إليك، أي: لرجع إليك البصر (خَاسِئًا) عن أن يَرىٰ عيباً أو خللاً (وَهُوَ حَسِيرٌ) أي: كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر ولا يرىٰ نقصاً " انتهىٰ من "تفسير ابن كثير" (٨ / ١٧٧).

فهل ما ذكره الله تعالىٰ في هذه الآية من عدم وجود العيب والخلل في خلقه يتعارض مع ما يُرىٰ من البشر ممن خلقهم الله تعالىٰ بإعاقة أو عاهة أو نقص في الخلقة؟!.

والجواب علىٰ هذا من وجهين:

الأول: أن يقال إن الآية في خلق السموات لا غير، وعليه: فليس فيها إشكال.

قال ابن المظفَّر الرازي –: –: " قال – أي: الثعلبي المفسِّر – في قوله تعالىٰ (الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ) " أي: من اعوجاج واختلاف ".

قلت: لو اقتصرنا علىٰ هذا القدر كان لقائل أن يقول: أليس في خلق الجبال والأشجار والأرضين اعوجاج واختلاف وتفاوت، وكذلك في خلق الناس، وخلق القبيح والحسن، والكفر والإيمان؟.

فالجواب: أنه من العام الذي أريد به الخاص، وهو خلق السماوات السبع لا غير " انتهى من " مباحث التفسير لابن المظفر الرازي " - وهو استدراكات وتعليقات على تفسير الكشف والبيان للثعلبي - (ص ٣٠٥).

وقال القرطبي -: -: " وقيلَ: المُرَاد بِذلكَ السَّمواتُ خاصَّةً، أَيْ: ما تَرىٰ في خَلْقِ السَّمواتِ مِن عَيْبٍ " انتهى من " تفسير القرطبي " (١٨ / ٢٠٨).

الثاني: أن يقال إن الآية عامَّة وتشمل جميع خلق الله تعالى من النبات والحيوان والإنسان، وأن خلق الله تعالى كلَّه متقن وأنه ليس فيه خلل وعيب من حيث الأصل، وأما ما يوجد في بعضه من خلل وعيوب فهو أمر عدمي لمشيئة الله تعالى أن لا يكون المحل قابلاً لكمال الخلقة.

قال ابن القيم -: -: " ومما ينبغي أن يُعلم أن الأشياء المكوَّنة من موادها شيئاً فشيئا كالنبات والحيوان إما أن يَعرض لها النقص، الذي هو شر، في ابتدائها، أو بعد تكونها، فالأول: هو بأن يعرض لمادتها من الأسباب ما يجعلها ردية المزاج ناقصة الاستعداد فيقع الشر فيها، والنقص في خلقها بذلك السبب، وليس ذلك بأن الفاعل حرَمه وأذهب عنه أمراً وجوديّاً به كماله، بل لأن المنفعل لم يقبل الكمال والتمام، وعدم قبوله أمر عدمي ليس بالفاعل، وأما الذي بالفاعل فهو الخير الوجودي الذي يتقبل به كماله وتمامه، ونقصه والشر الذي حصل فيه هو من عدم إمداده بسبب الكمال، فبقي على العدم الأصلي، وبهذا يفهم سر قوله تعالى ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ فإن ما خلقه فهو أمر وجودي به كمال المخلوق وتمامه، وأما عيبه ونقصه فمن عدم قبوله، وعدم القبول ليس أمراً مخلوقاً يتعلق بفعل الفاعل، فالخلق الوجودي ليس فيه تفاوت والتفاوت إنما حصل بسبب هذا الخلق، فإن الخالق سبحانه لم يخلق له استعداداً فحصل التفاوت فيه من عدم الخلق، لا من نفس الخلق، فتأمله، والذي إلى الرب سبحانه هو الخلق، وأما العدم فليس هو بفاعل له، فإذا لم يكمل في مادة الجنين

في الرحم ما يقتضي كماله وسلامة أعضائه واعتدالها: حصل فيه التفاوت، وكذلك النبات " انتهى من " شفاء العليل " (ص ١٨٢، ١٨٣).

ثالثاً:

الله تعالى حكيم في أفعاله، فله في خلق النقص والآفات والأسقام حكَماً جليلة.

قال الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق – حفظه الله -: " حكمة الله في خلق الآفة والنقص:

خلق الله كل شيء سبحانه وتعالى، وقد خلق الآفة والشر، وجعل النقص في بعض مخلوقاته لحكَم عظيمة، ومن ذلك:

١. العقوبة على المعاصي، كما قال تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم/ ٤١، والفساد هنا هو الآفة والشر الذي يعاقب الله به عباده، كالريح العقيم المدمرة والبركان الثائر والأمراض والأسقام والقحط والطوفان، ونحو ذلك.

٢. أن يَعلم الناس قدرة الله عليهم، وأنه هو الذي يملك نفعهم وضرهم، كما قال تعالى ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فاطر/ ٢.

٣. أن يَعلم الناس قدرة الله على خلق الخير والشر، وعلى أنه سبحانه يجازي بالإحسان إحساناً، وأنه سبحانه يعاقب على الإساءة، قال تعالى ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ﴾ الحِجر/ ٤٩، ٥٠.

فالله الذي خلق الجنة وجمع فيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، بل ذخر فيها ما لا عين رأت من نعيم وما لا أذن سمعت وما لم يخطر على قلب بشر: فإنه سبحانه وتعالى خلق الجحيم، وجعل فيها أنواع الشرور والآلام والأحزان والعذاب والنكال فوق ما

تتصوره العقول ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ* وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ الفجر/ ٢٥، ٢٦.

٤. أن يتذكر من يعافيه الله نعمة ربه وإحسانه فيشكره على ذلك، ويعلم فضل الله عليه وإحسانه إليه أن لم يصبه بما أصاب غيره.

٥. أن يجعل الله لمن يصيب منه باباً عظيماً للظفر بمرضاته والفوز بجناته وتخفيف ذنوبه ورفع درجاته.

وحكمة الله من خلق الشر والآفة والنقص حكمة عظيمة، فالله هو المحمود على كل صفاته، وأفعاله، وأنعامه " انتهى من " المشوَّق في أحكام المعوَّق " (ص ٤).

٢٨_أعظم نعم الله تعالى على عباده الإيمان به

السؤال:

وصلتني رسالة من أحد الإخوة نقلاً عن أحد المشايخ، و كانت الرسالة كالتالي: يا ترىٰ: إيه أعظم نعمة انعم الله بها علينا؟! هل هي المال، هل هي الوالدان، أو هي الابتعاد عن رؤية المعاصي؛ حتىٰ قال بعضهم: إن أعظم نعمة أنعم الله بها علينا أن ربي.. هو ربي، الذي يملك النفع والضر، وبيده كل شيء، ونحن نعصيه، وهو يحلم علينا ويتركنا؟! فهل صحيح أن أعظم نعم الله علينا أنه الله ربنا؟ و هل يجوز أن نقول إن الله هو أعظم النعم..، وهل هناك فرق بأن نقول إن الله هو نعمة ،، وأن نقول النعمة هي أن ربي هو الله..؟ وجزاكم الله خيراً.

الجواب:

الحمد لله

لا شك أن أعظم نعمة لله علىٰ عباده هي نعمته عليهم بالهداية إلىٰ دينه الذي اختاره لعباده، وأمرهم بسلوكه. قال الله تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة/ ٣.

قال ابن كثير:

" هَذِهِ أَكْبَرُ نِعَمِ اللَّهِ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ: حَيْثُ أَكْمَلَ تَعَالَىٰ لَهُمْ دِينَهُمْ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَىٰ دِينِ غَيْرِهِ، وَلَا إِلَىٰ نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا جَعَلَهُ اللَّهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبَعَثَهُ إِلَىٰ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، فَلَا حَلَالَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ، وَلَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ، وَلَا دِينَ إِلَّا مَا شَرَعَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَخْبَرَ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَصِدْقٌ لَا كَذِبَ فِيهِ وَلَا خُلْفَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا﴾ [الْأَنْعَامِ: ١١٥] أَيْ: صِدْقًا فِي

الْأَخْبَارِ، وَعَدْلًا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَلَمَّا أَكْمَلَ الدِّينَ لَهُمْ تَمَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ " انتهى من "تفسير ابن كثير" (٣/ ٢٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" وأعظم نعمته عليهم أن أمرهم بالإيمان وهداهم إليه، فهؤلاء هم أهل النعمة المطلقة المذكورين في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ " انتهى من "جامع المسائل" (٤/ ٢٨٤).

وقال أيضا:

"فَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهَّ عَلَى عِبَادِهِ وَأَشْرَفِ مِنَّةٍ عَلَيْهِمْ: أَنْ أَرْسَلَ إلَيْهِمْ رُسُلَهُ؛ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ؛ وَبَيَّنَ لَهُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ بَلْ أَشَرَّ حَالًا مِنْهَا فَمَنْ قَبِلَ رِسَالَةَ اللهَّ وَاسْتَقَامَ عَلَيْهَا فَهُوَ مِنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَمَنْ رَدَّهَا وَخَرَجَ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ شَرِّ الْبَرِيَّةِ وَأَسْوَأُ حَالًا مِنْ الْكَلْبِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْحَيَوَانِ الْبَهِيمِ " انتهى من "مجموع الفتاوى" (١٩/ ١٠٠).

فتبين أن أعظم نعم الله على عبده أن يوفقه إلى الإيمان به وبرسله، والتزام دينه وشرعه؛ وإذا كان الله جَلَّ جَلَالُهُ هو رب الخلق جميعا، وهو خالقهم ومدبرهم ومصرف أمورهم، وهو أيضا حليم لا يعجل على خلقه سبحانه، ولا يؤاخذهم بظلمهم وما كسبت أيديهم؛ فإن هذا إنما يكون نعمة في حق من عرفه، وآمن به، واتبع هداه؛ وأما من كفر به وعصاه، واغتر بحلمه وستره فاجترأ عليه، فإن ذلك ينقلب وبالا عليه، وزيادة في نكاله وعذابه. بل حتى نعم الدنيا، من الرزق والعافية، والمال والولد ونحو ذلك، إنما يكون نعمة حقيقية في حق من شكرها وعرف قدرها، لا في حق من كفرها، وعصى الله فيها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية::

" وَأعظم نعْمَة أنعمها الله علىٰ الْعباد هِيَ الْإِيمَان، وَهُوَ قَول وَعمل يزِيد وَينْقص يزِيد بِالطَّاعَةِ والحسنات وَينْقص بالفسوق والعصيان، فَكلما ازْدَادَ الْإِنْسَان عملا للخير ازْدَادَ إيمَانه؛ هَذَا هُوَ الايمان الْحَقِيقِيّ الْمَذْكُور فِي قَوْله تَعَالَىٰ {اهدنا الصِّرَاط الْمُسْتَقيم صِرَاط الَّذين أَنْعَمت عَلَيْهِم}

بل نعم الدُّنْيَا نعْمَة الدّين؛ وَهل هِيَ نعْمَة أم لَا؟ فِيهِ قَولَانِ مشهوران لِلْعُلَمَاءِ من أَصْحَابنَا وَغَيرهم؛ وَالتَّحْقِيق: أَنَّهَا نعْمَة من وَجه، وَإِن لم تكن نعْمَة تَامَّة من كل وَجه. وَأما الإنعام بِالدّينِ، من فعل الْمَأْمُور وَترك الْمَحْظُور: فَهُوَ الْخَيْر كُله، وَهُوَ النِّعْمَة الْحَقِيقِيَّة عِنْد أهل السّنة؛ إِذْ عِنْدهم أَن الله هُوَ الَّذِي أنعم بِالْخَيرِ كُله... " انتهىٰ من "مختصر الفتاوىٰ المصرية" (٢٦٨).

والحاصل:

أن أعظم نعم الله علىٰ عباده: أن يوفقهم إلىٰ معرفته وتوحيده، واتباع رسله، والتزام شرعه؛ وأما نعم الدنيا فإنما تكون نعمة في حق من وضعها موضعها، واستعان بها علىٰ طاعة ربه.

والله أعلم.

***

٢٩_ ماذا يعني مصطلح " الحلول والاتحاد "؟

السؤال:

أقرأ كثيرا في كتب العقائد: الرد على أهل الاتحادة، الرد على القائلين بوحدة الوجود، ونحو ذلك، فما المراد بـ " الحلول والاتحاد "؟

الجواب:

الحمد لله

" الحلول " و " الاتحاد " – و يدخل فيه مصطلح " وحدة الوجود " -:

هاتان اللفظتان تردان كثيراً في كتب العقائد، وهما من المصطلحات الصوفية، والباطنية، كما أنهما تردان في كتب الأديان الباطلة، كالبرهمية، والبوذية، وغيرهما.

١. " الحلول ":

أ. معناه في الاصطلاح العام: أن يحل أحد الشيئين في الآخر.

وهو " حلول سَرَياني "، و " حلول جواري ".

يقول الجرجاني::

الحلول السرَياني: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيُسمَّى الساري حالاًّ، والمسري فيه محلاًّ.

الحلول الجواري: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز.

" التعريفات " (ص ٩٢).

هذا هو الحلول: إثبات لوجودين، وحلول أحدهما في الآخر.

ويراد منه باصطلاح القائلين به من الصوفية وغيرهم: حلول الله - جَلَّ جَلَالُهُ - في مخلوقاته، أو بعض مخلوقاته.

ب. " أقسام الحلول ":

ينقسم الحلول إلى قسمين:

١. حلول عام: هو اعتقاد أن الله تعالى قد حلَّ في كل شيء.

ولكن ذلك الحلول من قبيل حلول اللاهوت - أي: الإله الخالق - بالناسوت - أي: المخلوق - مع وجود التباين، بمعنى: أنه ليس متحدّاً بمن حلَّ فيه، بل هو في كل مكان مع الانفصال، فهو إثبات لوجودين.

وهذا قول الجهمية ومن شاكلهم.

٢. حلول خاص: وهو اعتقاد أن الله - جل وعلا - قد حلَّ في بعض مخلوقاته.

مع اعتقاد وجود خالق ومخلوق.

وذلك كاعتقاد بعض فرق النصارى: أن اللاهوت - الله جل وعلا - حلَّ بالناسوت – عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ –، وأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت له طبيعتان: لاهوتية لما كان يتكلم بالوحي، وناسوتية عندما صلب.

وكذلك اعتقاد بعض غلاة الرافضة - كالنصيرية - أن الله - جَلَّ جَلَالُهُ - حلَّ في علي بن أبي طالب، وأنه هو الإله؛ حيث حلت فيه الألوهية، وذلك من عقائدهم الأساسية.

٢. " الاتحاد ":

أ. معناه: كون الشيئين شيئاً واحداً.

قال الجرجاني::

الاتحاد: امتزاج الشيئين، واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً.

" التعريفات " (ص ٩).

ب. ومعناه باصطلاح القائلين به: اتحاد الله - جل جلاله - بمخلوقاته، أو ببعض مخلوقاته.

أي: اعتقاد أن وجود الكائنات أو بعضها هو عين وجود الله تعالى.

ج. " أقسام الاتحاد ":

" الاتحاد " ينقسم إلى قسمين:

١. الاتحاد العام - وهو ما يطلق عليه أيضاً: " وحدة الوجود " -: وهو اعتقاد كون الوجود هو عين الله عز وجل.

بمعنى: أن الخالق متحد بالمخلوقات جميعها، وهذا هو معنى " وحدة الوجود "، والقائلون به يسمون " الاتحادية "، أو " أهل وحدة الوجود "، كابن الفارض، وابن عربي، وغيرهما.

٢. الاتحاد الخاص: هو اعتقاد أن الله عز وجل اتحد ببعض المخلوقات دون بعض.

فالقائلون بذلك نزهوه من الاتحاد بالأشياء القذرة القبيحة، فقالوا: إنه اتحد بالأنبياء، أو الصالحين، أو الفلاسفة، أو غيرهم، فصاروا هم عين وجود الله جل وعلا.

كقول بعض فرق النصارى: إن اللاهوت اتحد بالناسوت، فصارا شيئاً واحداً، وهذا بخلاف القائلين بالحلول، فهم يرون أن له طبيعتين: لاهوتيةً وناسوتيةً.

فالاتحادية قالوا بواحد، والحلولية قالوا باثنين.

د. " الفرق بين الحلول والاتحاد ":

الفرق بينهما يتلخص فيما يلي:

١. أن الحلول إثبات لوجودين، بخلاف الاتحاد فهو إثبات لوجود واحد.

٢. أن الحلول يقبل الانفصال، أما الاتحاد فلا يقبل الانفصال.

هـ. " أمثلة يتبين بها الفرق بين الحلول والاتحاد ":

هناك أمثلة كثيرة منها:

أ. السُّكَّر إذا وضعته في الماء دون تحريك: فهو حلول؛ لأنه ثَمَّ ذاتان، أما إذا حركته فذاب في الماء: صار اتحاداً؛ لأنه لا يقبل أن ينفصل مرة أخرى.

أما لو وضعت شيئاً آخر في الماء كأن تضع حصاة: فهذا يسمَّى حلولاً، لا اتحاداً؛ لأن الحصاة شيء، والماء شيء آخر، وهما قابلان للانفصال.

و. " حكم هذه الاعتقادات وأيهما أشد ":

لا ريب أن القول بالحلول أو الاتحاد هو من أعظم الكفر والإلحاد - عياذاً بالله -.

ولكن الاتحاد أشد من الحلول؛ لأنه اعتقاد ذات واحدة، بخلاف الحلول، ثم إن القول بأنه اتحد في كل شيء أعظم من القول بأنه اتحد في بعض مخلوقاته.

وبالجملة: فإن اعتقاد " الحلول والاتحاد " اعتقاد ظاهر البطلان، وقد جاء الإسلام بمحوه من عقول الناس؛ لأنه اعتقاد مأخوذ من مذاهب وفلسفات ووثنيات هندية ويونانية ويهودية ونصرانية وغيرها، تقوم على الدجل، والخرافة.

باختصار وتصرف من كتاب " مصطلحات في كتب العقائد " للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد (ص ٤٢ – ٤٧).

والله أعلم.

٣٠_ الفرق بين الإسلام والإيمان

السؤال:

يقول الله تعالى في سورة الذاريات/ ٣٥-٣٦: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ما هو الفرق بين المؤمنين والمسلمين، ومن أرفع درجات؟

الجواب:

الحمد لله

الفرق بين الإسلام والإيمان من المسائل التي أطال العلماء في بيانها في كتب العقائد، وحاصل ما يقررونه في هذا: أنه إذا ورد أحد هذين اللفظين مفردا عن الآخر فالمقصود به دين الإسلام كله، ولا فرق حينئذ بين الإسلام والإيمان.

وأما إذا ورد هذان اللفظان معًا في سياق واحد، فالإيمان يراد به: الأعمال الباطنة، وهي أعمال القلوب كالإيمان بالله تعالى، وحبه وخوفه ورجائه سبحانه وتعالى والإخلاص له.

وأما الإسلام: فيراد به الأعمال الظاهرة التي قد يصحبها الإيمان القلبي، وقد لا يصحبها فيكون صاحبها منافقا أو مسلما ضعيف الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

" اسم " الإيمان " تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الإسلام، ولا باسم العمل الصالح، ولا غيرهما، وتارة يذكر مقرونا بالإسلام كقوله في حديث جبرائيل: (ما الإسلام... وما الإيمان)، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الأحزاب/ ٣٥، وقوله عز وجل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ الحجرات/ ١٤، وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

فلما ذكر الإيمان مع الإسلام:

جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة: الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج.

وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وإذا ذكر اسم الإيمان مجردا دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة، كقوله في حديث الشعب: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق).

وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان " انتهى باختصار.

"مجموع الفتاوى" (٧/ ١٣-١٥).

وقال الشيخ ابن عثيمين:

"إذا اقترن أحدهما بالآخر فإن الإسلام يفسر بالاستسلام الظاهر الذي هو قول اللسان، وعمل الجوارح، ويصدر من المؤمن كامل الإيمان، وضعيف الإيمان، قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾، ومن المنافق، لكن يسمى مسلما ظاهرا، ولكنه كافر باطنا.

ويفسر الإيمان بالاستسلام الباطن الذي هو إقرار القلب وعمله، ولا يصدر إلا من المؤمن حقا كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾

وبهذا المعنى يكون الإيمان أعلى، فكل مؤمن مسلم ولا عكس" انتهى.

"مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين" (٤/ ٩٢).

والآية الواردة في السؤال موافقة لهذا المعنى في وصف أهل بيت لوط عليه السلام مرة بالإيمان ومرة أخرى بالإسلام.

فالمراد بالإسلام هنا الإسلام الظاهر، والإيمان هو الإيمان القلبي الحقيقي، فلما وصف الله تعالى أهل البيت جميعاً وصفهم بالإسلام، وذلك لأن امرأة لوط عليه السلام من أهل بيته، وكانت مسلمة في الظاهر، كافرة في حقيقة الأمر، ولما وصف الله تعالى المخرجين الناجين وصفهم بالإيمان. ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾الذاريات/ ٣٥ – ٣٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية::

"امرأة لوط كانت منافقةَ كافرةً في الباطن، وكانت مسلمة في الظاهر مع زوجها، ولهذا عُذِّبت بعذاب قومِها. فهذه حال المنافقين الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم مستسلمين له فيَ الظاهر، وهم في الباطن غير مؤمنين" انتهى.

"جامع المسائل" (٦/ ٢٢١).

وقال أيضا::

"وقد ظن طائفة من الناس أن هذه الآية تقتضي أن مسمى الإيمان والإسلام واحد، وعارضوا بين الآيتين.

وليس كذلك؛ بل هذه الآية توافق الآية الأولى؛ لأن الله أخبر أنه أخرج من كان فيها مؤمنا، وأنه لم يجد إلا أهل بيت من المسلمين؛ وذلك لأن امرأة لوط كانت في أهل البيت الموجودين، ولم تكن من المخرجين الذين نجوا؛ بل كانت من الغابرين الباقين في العذاب، وكانت في الظاهر مع زوجها على دينه، وفي الباطن مع قومها على دينهم، خائنة لزوجها، تدل قومها على أضيافه، كما قال الله تعالى فيها: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ التحريم/ ١٠ وكانت خيانتهما لهما في الدين لا في الفراش، والمقصود أن امرأة لوط لم تكن مؤمنة، ولم تكن من الناجين المخرجين، فلم تدخل في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وكانت من أهل البيت المسلمين، وممن وجد فيه، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

وبهذا تظهر حكمة القرآن، حيث ذكر الإيمان لما أخبر بالإخراج، وذكر الإسلام لما أخبر بالوجود" انتهى.

"مجموع الفتاوى " (٧/ ٤٧٢-٤٧٤)

وقال الشيخ ابن عثيمين:

"قال تعالى في قصة لوط: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

فإنه فرق هنا بين المؤمنين والمسلمين؛ لأن البيت الذي كان في القرية بيت إسلامي في ظاهره، إذ إنه يشمل امرأة لوط التي خانته بالكفر وهي كافرة، أما من أخرج منها ونجا فإنهم المؤمنون حقا الذين دخل الإيمان في قلوبهم" انتهى.

"مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين" (١/ ٤٧-٤٩)

والله أعلم.

***

٣١_ما الحكمة من خلق الله تعالى آدم عليه السلام على مراحل مع قدرته على خلقه بكلمة "كن"؟

السؤال:

كما هو معلوم بأن الله خلق كل شيء من العدم بكلمة واحدة وهي كلمة " كن "، فلماذا خلق آدم عليه السلام من صلصال ولم يخلقه من العدم بنفس الكلمة؟ لم أستطع فهم هذه المسألة فأرجو الشرح والتوضيح.

الجواب:

الحمد لله

أولاً:

ما يوجد في القرآن الكريم من أن آدم عليه السلام خُلق من تراب، أو من صلصال، أو من طين: فإنما هي مراحل في خلقه، وتُذكر كل مرحلة في مكانها المناسب في كتاب الله تعالى.

وأما ترتيب مراحل خلق الله سبحانه وتعالى لآدم: فإنها بدأت بـ " التراب "، ثم أضيف إليه " الماء " فصار: " طيناً "، ثم صار هذا الطين " حمأ مسنوناً " أي: أسود متغير، فلما يبس هذا الطين – من غير أن تمسه النار – صار " صلصالاً " – والصلصال هو الطين اليابس لم تمسه نار، ثم نفخ الله سبحانه وتعالى، في مادة الخلق هذه من روحه، فصار هذا المخلوق بشراً، وهو آدم عليه السلام.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي::

إذا عرفت هذا فاعلم أن الله جل وعلا أوضح في كتابه أطوار هذا الطين الذي خلق منه آدم، فبين أنه أولاً تراب، بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن

تُرَابٍ﴾ آل عمران/ ٥٩، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ الحج/ ٥، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ غافر/ ٦٧، إلى غير ذلك من الآيات.

ثم أشار إلى أن ذلك التراب بُلَّ فصار طيناً يعلق بالأيدي في مواضع أخر، كقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ الصافات/ ١١، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ المؤمنون/ ١٢، وقوله: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ السجدة/ ٧، إلى غير ذلك من الآيات.

وبيَّن أن ذلك الطين أسودَّ، وأنه متغير بقوله هنا: ﴿حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.

وبيَّن أيضاً أنه يبس حتى صار صلصالاً، أي: تسمع له صلصلة من يبسه بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ الآية الحِجر/ ٢٦، وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾الرحمن/ ١٤، والعلم عند الله تعالى.

"أضواء البيان" (٢/ ٢٧٤، ٢٧٥).

ثانياً:

مما لا شك فيه أن الله تعالى لا يقدِّر شيئاً ولا يخلقه ولا يشرعه إلا لحِكَم بالغة، فهو الحكيم سبحانه وتعالى، ومن صفاته الحكمة، لكنَّه تعالى لم يُطلع خلقه على حكَم كل ما شاءه أو شرعه، والشريعة تأتي بما تحار به العقول لا بما تحيله العقول، والعلماء حاولوا تلمس الحكَم فيما لم يطلعهم ربهم تعالى على حكَمه، فمنه ما استطاعوا الكلام فيه، ومنه ما عجزوا عنه، وفي كل الحالات سلَّموا الأمر لله تعالى أنه الحكيم في خلقه وشرعه، وإن كانت المسائل شرعية بادروا لفعل الأمر، والكف عن فعل النهي، وهذا هو مقتضى العبودية.

والمسلم يعتقد جازماً أن أمر الله تعالى للشيء مهما بلغت عظمته إذا أراد خلقه وإيجاده أن يقول له " كن " فيكون، كما جاء ذلك في مثل قوله تعالى ﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ يس/ ٨١، ٨٢، وتأمل هاتين الآيتين فإنهما في سياق خلق السموات والأرض وخلق البشر، فليس يعجزه – سبحانه - خلق، فإذا شاء وجوده قال له "كن" فيكون، فإذا أخبرنا الخالق أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام فلا شك أن في ذلك حكماً عظيمة - وينظر جواب السؤال رقم (٢٠٦١٣) – وهكذا خلق أبينا آدم عليه السلام فهو قادر – سبحانه – أن يوجده بكلمة "كن"، لكنه تعالى شاء أن يخلقه في أطوار، ولا شك أن في ذلك حكماً جليلة.

ويمكن استنباط عدة حكم من ذلك:

١ – أن الله تعالى خلقه من التراب والطين لإظهار عظيم قدرته.

والمقصود من ذكر هذه الأشياء: التنبيه على عجيب صنع الله تعالى إذ أخرج من هذه الحالة المهينة نوعاً هو سيد أنواع عالم المادة ذات الحياة.

" التحرير والتنوير " (١٤ / ٤٢).

٢- ولاختلاف حال الخلق اختلف أصل خلقتهم، فكان خلْقُه تعالى للملائكة من نور، وخلْقُه للشياطين من نار، وخلقه لآدم من تراب، ومنه يُعلم أنه لما كان حال أولئك الخلق مختلفاً: كان أصل خِلقتهم مختلفاً، فلما كان الملائكة للعبادة والتسبيح والطاعة: ناسب أن يكون خلقهم من نور، ولما كان حال الشياطين للوسوسة والكيد والفتنة: ناسب أن يكون خلقهم من نار، ولما كان الإنسان معمِّراً للأرض وفيه سهولة وليونة وصعوبة وشدة وطيب وخبث: ناسب أن يكون خلقه من مادة تحوي ذلك كله، فالنار شيء واحد، والنور شيء واحد، لكن التراب يختلف من مكان لآخر وهذا

هو حال الإنسان، وهو ما بينه النبي ﷺ بقوله: «إِنَّ اللهَّ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَىٰ قَدْرِ الْأَرْضِ، جَاءَ مِنْهُمْ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَبَيْنَ ذَلِكَ» رواه الترمذي (٢٩٥٥) وأبو داود (٤٦٩٣) وصححه الترمذي والألباني في "صحيح الترمذي".

قال المباركفوري::

قال الطيبي: لَّما كانت الأوصاف الأربعة ظاهرة في الإنسان والأرض: أجريت على حقيقتها، وأُولت الأربعة الأخيرة لأنها من الأخلاق الباطنة، فإن المعنى بالسهل: الرفق واللين، وبالحزن: الخرق والعنف، وبالطيب الذي يعني به الأرض العذبة: المؤمن الذي هو نفع كله، وبالخبيث الذي يراد به الأرض السبخة: الكافر الذي هو ضر كله.

" تحفة الأحوذي " (٨ / ٢٣٤).

٣ - ومن أعظم الحكَم: أن الله تعالى أراد تمييز آدم عن جميع خلقه بأن يخلقه بيده الكريمة مباشرة، وهذا لا يكون إذا كان خلقه من العدم، فالملائكة والجن مخلوقون من العدم، ولا يقال فيهم إنه خلقهم بيده، قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ص/ ٧٥، وعندما يأتي الناس إلى أبيهم آدم عليه السلام للشفاعة للفصل بين الناس يقولون: «يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُّ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ أَلَا تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا...» رواه البخاري (٣١٦٢) ومسلم (١٩٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وإنما ذكروا ذلك له من النعَم التي خصه الله بها من بين المخلوقين دون التي شورك فيها، فهذا بيان واضح، دليل على فضله على سائر الخلق.

" مجموع الفتاوىٰ " (٤/ ٣٦٦).

ولمثل هذا الإكرام كان خلق آدم أعجب من خلق المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وكان خلْق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح؛ فإن حواء خُلقت من ضلع آدم، وهذا أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، وخلْق آدم أعجب من هذا وهذا، وهو أصل خلق حواء.

" الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح " (٤/ ٥٥).

وحكمة الله تعالىٰ أعظم وأجل من أن تحيط بها عقول البشر.

٣٢_هل الدعاء بـ " اللهم أرنا فيهم يومًا أسوداً " من سب الدهر؟

السؤال:

هل الدعاء بقولهم " اللهم أرنا فيهم يومًا أسودًا " يعتبر من سب الدهر؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله

أولا:

هذا الدعاء غير مأثور، ولم نقف عليه في شيء من كتب السنة.

ثانيا:

لا حرج في الدعاء بهذه الكلمات، ولا يعد ذلك من سب الدهر؛ لأن المراد وصف اليوم بالشدة والكرب، فهو كقول لوط عليه السلام: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ هود/ ٧٧، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ القمر/ ١٩، وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ فصلت/ ١٦، ونحو هذا مما فيه وصف أو إخبار عن الشدة والقسوة، ولا يراد به سب اليوم أو ذمه، ففرق بين الإخبار المجرد، وبين إراد الذم والسب والتنقص.

ثم إن وصف اليوم بأنه أسود، لا يراد به العموم؛ بل المراد به أنه أسود عليهم، أو أسود بالنسبة لهم؛ لما ينالهم فيه ـ بحول الله وطوله ـ من العذاب والنكال.

قال ابن القيم:

" فلا ريب أن الأيام التي أوقع الله سبحانه فيها العقوبة بأعدائه وأعداء رسله كانت أياما نحسات عليهم، لأن النحس أصابهم فيها؛ وإن كانت أيام خير لأوليائه

المؤمنين؛ فهي نحس على المكذبين، سعد للمؤمنين؛ وهذا كيوم القيامة فإنه عسير على الكافرين يوم نحس لهم، يسير على المؤمنين يوم سعد لهم. قال مجاهد: (أيام نحسات): مشائيم...؛ فسعود الأيام ونحوسها إنما هو بسعود الأعمال وموافقتها لمرضاة الرب، ونحوس الأعمال مخالفتها لما جاءت به الرسل، واليوم الواحد يكون يوم سعد لطائفة، ونحس لطائفه، كما كان يوم بدر يوم سعد للمؤمنين، ويوم نحس على الكافرين " انتهى. "مفتاح دار السعادة" (٢/ ١٩٤).

وقال الشيخ ابن عثيمين:

" سب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يقصد الخبر المحض دون اللوم، فهذا جائز، مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده، وما أشبه ذلك؛ لأن الأعمال بالنيات، ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط عليه الصلاة والسلام: (هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) هود/ ٧٧.

الثاني: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر؛ فهذا شرك أكبر لأنه اعتقد أن مع الله خالقا؛ لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقا فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلها يستحق أن يعبد فإنه كافر.

الثالث: أن يسب الدهر لا لاعتقاد أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده؛ فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك، وهو من السفه في العقل والضلال في الدين؛ لأن حقيقة سبه تعود إلى الله سبحانه؛ لأن الله تعالى هو الذي يصرف الدهر ويكون فيه ما أراد من خير أو شر، فليس الدهر فاعلا، وليس هذا السبب يكفر؛ لأنه لم يسب الله تعالى مباشرة " انتهى من "مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين" (١٠/ ٨٢٣).

٣٣_ الحكمة من خلق الإنسان

السؤال:

أنا غير مسلمة ولكني أود أن أعرف ماذا يقول الإسلام عن: لماذا خلق الله الإنسان؟ هل هناك سبب معين؟ ما معنى الوجود؟ هل فقط لطاعة الله؟

الجواب:

الحمد لله

نحن نعتقد أن الله هو خالق البشر، وأنه الذي تفرّد بخلق جميع المخلوقات كلها من الدواب والطيور، والحشرات والأسماك وغيرها من إنس أو جن، ونعتقد أنه ما خلقهم عبثا، فقد قال تعالى في القرآن: (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق) الأنبياء / ١٦، وأنه فَضَّل الإنسان على سائر المخلوقات فأعطاه العقل والسمع والبصر والفؤاد، وأنطق منه اللسان، وفَضَّله على غيره من المخلوقات، فقال تعالى في كتابه: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ الإسراء / ٧٠. فالإنسان ميّزه الله عن الخلق، فلما أعطاه العقل والقلب كلّفه أن يعبده، والإنسان يعلم مَنْ خلقه، فأمره الله أن يعبده وهو ربه ومالكه، والمالك له حق على المملوكين، فالله خلق الخلق من البشر لعبادته، ولذلك قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الذاريات / ٥٦، وأنكر عليهم أن يكونوا خُلِقوا كما خُلِقت البهائم، فقال تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ المؤمنون / ١١٥، فهذا ظن سوء. وقال تعالى: (أيحسب الإنسان أن يترك سُدى) القيامة / ٣٦ أي مهملا، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يكلف.

فلما ميّز الله البشر عن غيره من المخلوقات كان من حكمة ذلك أن أمره بالعبادة، ونهاه عن المحرمات، ووعده على الطاعة بالجنة، وأخبره أنه سوف يعيده بعد موته،

وسيلقىٰ جزاءه كاملا، فمن صدّق بذلك كان من الأتقياء المؤمنين، ومن كذّب بذلك فقد عصىٰ الله تعالىٰ وتعرّض للعقاب في عاجل أمره وآجله، ولا يضرّ إلا نفسه.

والله أعلم

***

٣٤_ حكم ما يُسمى بـ " حرية الكلام "، و " حرية الرأي "؟

السؤال:

ما هو رأي الإسلام في حرية الكلام وحرية الرأي؟

الجواب:

الحمد لله

أولاً:

معرفة الحكمة من وجود الإنسان فيه الجواب على هذا السؤال ، فإنَّ مَن علم المقصد من خلقه ووجوده: يعلم أنَّ فعله، وكلامه، ورأيه، منضبط بما أراده الله، ورضيه ، وأما الماديون، ودعاة التفسخ والانحلال: فينطلقون من مبدأ: قل ما تشاء، وافعل ما تشاء، واعبد ما تشاء.

فالحكمة من خلق الإنسان ووجوده على الأرض: أن يعبد الله وحده لا شريك له، وأن يستسلم لأوامر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذاريات/ ٥٦ – ٥٨، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ المؤمنون/ ١١٥،١١٦.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي:

أي: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ أيها الخلق، ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ أي: سدى، وباطلا، تأكلون، وتشربون، وتمرحون، وتتمتعون بلذات الدنيا، ونترككم لا نأمركم، ولا ننهاكم، ولا نثيبكم، ولا نعاقبكم؟ ولهذا قال: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ لا يخطر هذا ببالكم، (فَتَعَالَى اللَّهُ) أي: تعاظم وارتفع عن هذا الظن الباطل، الذي يرجع إلى القدح في حكمته ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾

" تفسير السعدي " (ص ٥٦٠).

فمن علم أنه عبد لله: فلا بد أن يتقيد بما أمر الله به، وينتهي عما نهى الله عنه ، وهذا ينافي دعوة حرية الكلام، والرأي، والأفعال ، فالله لا يرضى من العبد التكلم بكلمة الكفر ، أو أن يتكلم بالفسق، والفجور ، أو أن يدعو إليها ، وأما دعاة الحرية: فالأمر سيان عندهم، تكلم بما شئت، واعمل ما شئت ، في حق الله، وفي حق الدين.

ثانياً:

لا شك أن الإسلام عظَّم خطورة الكلمة التي يتكلم بها المرء ، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق/ ١٨.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهَّ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَرْفَعُ اللهُّ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهَّ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» رواه البخاري (٦١١٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – أيضاً – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» رواه البخاري (٥٦٧٢) ومسلم (٤٧).

قال النووي:

وقد ندب الشرع إلى الإمساك عن كثير من المباحات؛ لئلا ينجر صاحبها إلى المحرمات، أو المكروهات ، وقد أخذ الإمام الشافعي رضي الله عنه معنى الحديث فقال: " إذا أراد أن يتكلم: فليفكر ، فإن ظهر له أنه لا ضرر عليه: تكلم ، وإن ظهر له فيه ضرر، أوشك فيه: أمسك ".

" شرح مسلم " (٢ / ١٩).

ثالثاً:

إن حرية الكلام ليست مطلقة ـ حتى عند دعاتها ـ بل مقيدة بأمور، منها:

١. القانون.

ومن العجب أن ترىٰ اجتماع دول الغرب علىٰ تجريم من يشكك في محرقة اليهود، بل يحاكمون من يثبتها لكن يشكك في أرقام قتلاها ! دون أن يسمحوا لأهل التاريخ، ولأهل الفكر، أن يبحثوا القضية، ويتم مناقشتها وفق الأدلة والبراهين، ولا يزال بعض الكتَّاب والمفكرين قابعين في سجون تلك البلدان بسبب موقفهم من ثبوت المحرقة، أو موقفهم من المبالغة في عدد قتلاها من اليهود.

ومنها: العرف، والذوق العام، والاصطدام بحرية الآخرين.

فإن كنا قد اتفقنا علىٰ تقيد حرية الكلام والتعبير عن الرأي، فليكن الحكم في ذلك لحكم الله، الذي هو أعدل الأحكام وأحسنها، ولا يكون الحكم لقانون من وضع البشر، يعتيريه ما يعتري غيره من أنظمة البشر من الهوىٰ والظلم والجهل.

وإنه لتناقض عند هؤلاء أن يكون القانون يُلجم أفواههم عن الكلام عن محرقة اليهود، وأخبار جنودهم القتلىٰ في أرض المسلمين – بينما يستنكرون علينا أن نمنع من يسب الله أو رسوله أو دينه أو يقذف المحصنات المؤمنات أو غير ذلك مما حرم الله النطق به؛ لما يترتب عليه من مفاسد ومضار.

إن المسلم مطلوب منه أن لا يسكت علىٰ الخطأ والزلل، وعليه واجب التذكير والنصيحة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، وهذا منافٍ لدعوة حرية الكلام ، فمن تكلم بكلام محرم، فالواجب منعه من هذا الكلام، ونهيه عن هذا المنكر.

والإسلام لا يمنع الناس من التعبير عن آرائهم فيما يجري حولهم في السياسة والاقتصاد، والمسائل الاجتماعية، ولا يمنع من الكلام في نقد الأخطاء، ونصح المخطئين، وكل ذلك ينبغي أن يكون مقيَّداً بشروط الشرع، وآدابه، فلا تهييج للعامة، ولا دعوة للفوضى، ولا اتهام للأبرياء، ولا قذف للأعراض، وغير ذلك مما هو معروف من أحكام الشرع التي تضبط هذه المسائل.

وقد وجدنا أن أكثر أصحاب دعاوىٰ حرية الكلام، والرأي: مقصدهم من ذلك: حرية التطاول علىٰ الدِّين الإسلامي، وشرائعه ، فيصلون إلىٰ مقصدهم من خلال ـ حرية الرأي ـ.

فتطاولوا علىٰ حكم الله بدعوىٰ حرية الكلام ، وطعنوا في القرآن والسنَّة بدعوىٰ حرية الكلام ، ودعوا إلىٰ الزنا والفجور والخنا بدعوىٰ حرية الكلام.

وقد تبع هؤلاء بعض المنافقين في بلاد الإسلام، الذين يطعنون في أحكام الشريعة الإسلامية، ويطعنون في القرآن وفي السنة النبوية الصحيحة.

والواجب علىٰ حكام المسلمين الأخذ علىٰ أيدي هؤلاء، ومنعهم من هذا المنكر، حفاظاً علىٰ دين الأمة، وقياماً بما أوجب الله عليهم من حماية الدين والدفاع عنه.

والحاصل: أننا ـ نحن المسلمين ـ ليس عندنا ما يسمىٰ بـ "حرية الرأي" أو "حرية التعبير" وإنما عندنا الخضوع لحكم الله تعالىٰ، وعدم الخروج عن شرعه، فمن تكلم بالحق وجب أن يعان، ومن تكلم بالباطل وجب أن يمنع.

وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز:

هل يجوز أن يكون هناك ما يسمَّىٰ بـ " حرية الرأي "، أي: يُفتح المجال لأهل الخير، وأهل الشر، كلٌّ يدلي بدلوه في المجتمع؟.

فأجاب:

"هذا باطل، لا أصل له في الإسلام، بل يجب أن يُمنع الباطل، ويُسمح للحق، ولا يجوز أن يُسمح لأحد يدعو إلي الشيوعية، أو الوثنية، أو يدعو إلىٰ الزنا، أو القمار، أو غير ذلك، سواء بالأسلوب المباشر، أم غير المباشر، بل يُمنع، ويؤدب، بل إن هذه هي: " الإباحية المحرمة " انتهىٰ.

" فتاوىٰ إسلامية " (٤ / ٣٦٧، ٣٦٨).

٣٥_ التوكل والأخذ بالأسباب

السؤال:

حصل نقاش حول مسألة التوكل والأخذ بالأسباب، وتوكل بعض الصالحين كتوكل مريم والتي تأتيها فاكهة الصيف في الشتاء والعكس، ولم تتخذ الأسباب بل انقطعت للعبادة. فأيدونا في ذلك بارك الله فيكم.

الجواب:

الحمد لله

"التوكل يجمع الأمرين، فالتوكل يجمع شيئين:

أحدهما: الاعتماد على الله، والإيمان بأنه مسبب الأسباب، وأن قَدَره نافذ، وأنه قَدَّر الأمور وأحصاها وكتبها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الشيء الثاني: تعاطي الأسباب، فليس من التوكل تعطيل الأسباب، بل من التوكل الأخذ بالأسباب، والعمل بالأسباب، ومن عَطَّلها فقد خالف شرع الله وقَدَرَه، فالله أمر بالأسباب وحث عليها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأمر رسوله ﷺ بذلك.

فلا يجوز للمؤمن أن يعطل الأسباب، بل لا يكون متوكلاً على الحقيقة إلا بتعاطي الأسباب، ولهذا شُرِعَ النكاح لحصول الولد، وأمر بالجماع، فلو قال أحد من الناس: أنا لا أتزوج وأنتظر ولداً من دون زواج، لعُد من المجانين، فليس هذا أمر العقلاء، وكذلك لا يجلس في البيت أو في المسجد يتحرى الصدقات ويتحرى الأرزاق تأتيه، بل يجب عليه أن يسعى ويعمل ويجتهد في طلب الرزق الحلال.

ومريم رحمة الله عليها لم تدع الأسباب؛ فقد قال الله لها: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ مريم/ ٢٥، هزت النخلة وتعاطت الأسباب حتى وقع الرطب، فليس من عملها ترك الأسباب، ووجود الرزق عندها وكون الله

أكرمها وأتاح لها بعض الأرزاق وأكرمها ببعض الأرزاق لا يدل على أنها معطلة الأسباب، بل هي تتعبد وتأخذ بالأسباب وتعمل بالأسباب.

وإذا ساق الله لبعض أوليائه من أهل الإيمان شيئاً من الكرامات فهذا من فضله ﷻ، لكن لا يدل على تعطيل الأسباب، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهَّ وَلَا تَعْجَزْ»** رواه مسلم (٢٦٦٤)، وقال الله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة/ ٥" انتهى.

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز:

"فتاوى نور على الدرب" (١/ ٣٦٤).

***

٢٦ـ إن كان لدى المسلم شكوك فهل يضره أن يسأل عن صحة معجزة ما؟

السؤال:

إن كان لدىٰ المسلم شكوك حول الإسلام والنبي ﷺ فيطلب أن يطمئن قلبه لشكوكه التي تساوره فيسأل عن مدىٰ صحة معجزة ما جرت علىٰ يد النبي ﷺ فهل يضعه هذا خارج حظيرة الإسلام؟ وهل يغفر الله مثل تلك الذنوب؟

الجواب:

الحمد لله

علىٰ المسلم أن يحمد الله تعالىٰ ويشكره علىٰ نعمة الإسلام والهداية، فإنها أعظم النعم، كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام/ ١٢٢، وقال سبحانه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الزمر/ ٢٢، وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ النور/ ٢١.

ولو نظر هذا المسلم فيما حوله، وتأمل ما عليه أهل الشرك والوثنية من نصارىٰ وغيرهم لأدرك عظيم فضل الله عليه.

ومع ذلك فقد يعتري المسلم بعض الشكوك؛ لقلة علمه أو لضعف إيمانه، أو لوجود من يشككه، فيلزمه حينئذ أن يرفع الشك عنه بسؤال أهل العلم، والتدبر في كلام الله تعالىٰ وكلام نبيه ﷺ، والنظر في السيرة والآيات والمعجزات، فإن ذلك مما يزيد الإيمان ويوصل إلىٰ طمأنينة القلب وانشراح الصدر.

ولا حرج أن يسأل عن المعجزة وعن صحتها ليزداد يقينا وثباتا، ولا يعد سؤاله هذا خروجا عن الإسلام، لكن ليحذر من التمادي في الشك أو الانقطاع عن العمل كأن يترك الصلاة عياذا بالله، فإن ترك الصلاة كفر على الراجح من قولي العلماء.

وليعلم المسلم أنه مهما أذنب من ذنب ثم تاب واستغفر فإن الله تعالى يغفر له مهما كان ذنبه، وقد تاب الله تعالى على أناس عاشوا دهرهم في الكفر والشرك والصد عن سبيل الله، ثم صاروا أئمة للهدى ومصابيح للدجى ومنارات على طريق الحق والاستقامة، وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التوبة/ ١٠٤، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ الشورى/ ٢٥.

فمهما عظم الذنب، فإن رحمة الله وعفوه وكرمه أعظم.

وقد أحسن من قال:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ

إن كان لا يرجوك إلا محسن ... فمن الذى يدعو ويرجو المجرمُ

ونصيحتنا لمن ابتلي بشيء من الشكوك أن يقبل على كتاب الله تعالى فإنه الدواء والشفاء، كما قال سبحانه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء/ ٨٢.

ولينطرح بين يدي الله، يدعوه ويرجوه أن يزيل همه، ويفرج كربه، وينوّر قلبه، ويُذهب عنه كيد الشيطان.

وإن كان شكه مبنيا على شبهة معينة فليسأل عنها أهل العلم، فإن دين الإسلام من العظمة والقوة بحيث لا يقف في وجهه شبهة، ولا تقاومه حجة.

وإن كان ما يأتيه نوع من الوسوسة التي لا تقوم على شبهة معينة، فإن علاجها بالذكر والطاعة والاستعاذة والتشاغل والتغافل عنها.

نسأل الله أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى.

والله أعلم.

***

٣٨_ يعتقد أن عيسى خير من محمد ويطعن في نبينا

السؤال:

لماذا تقولون إن محمداً هو خير خلق الله - والذي لا أظن ذلك -؛ لأن خير خلق الله يجب أن لا يكون له ذنوب، وهذا يخالف محمَّداً؛ لأنه كثير الذنوب. خير خلق الله هو الذي ليس للشيطان عليه سلطان، وهو المسيح، وأنتم تعرفون والقرآن يقر بذلك. وكذلك خير خلق الله لا يلقي الشيطان على لسانه آيات دون أن يعلم ، وكذلك خير خلق الله لا يخالف أمراً من الله، وخير خلق الله لا يمكن أن يجري عليه سحرٌ، وكيف يكون أَبَوَا خير خلق الله مشركين، وماتا مشركين؟ وأيضاً فإن خير خلق الله لا ينشر دينه بالسيف، أو بالمال يبيعه. إنكم تبالغون كثيراً، إن أردتم أورد لكم الآيات التي تثبت صحة كلامي.

الجواب:

الحمد لله

أولاً:

قد قرأنا ما كتبت بحروفه كلها، وأعدنا القراءة مرة وأخرى، فمن حقنا عليك أن تقرأ لنا ما ندافع به عن ديننا، وعن نبينا محمد - صلى الله عليه وعلى أخيه عيسى وسلم -، ومن حقنا عليك أن تتأمل كلامنا كما تأملّنا كلامك، أليس كذلك؟.

ثانياً:

من الجيد أن تكون خاتمة رسالتك فيها إقرار بأن " عيسى " عليه السلام خير خلق الله تعالى، والإقرار بأنه مخلوق ينفي عنه الألوهية، وأنه إله رب؛ لأنك أقررتَ أنه مخلوق مربوب، ولن يجتمع في ذات أنها خالق ومخلوق، ورب ومربوب، أو " لاهوت

وناسوت "، ولعلك باعتقادك هذا تعتقد أيضاً بطلان العقيدة التي تثبت لهذا المخلوق أنه إله، أليس كذلك؟.

إن المسيح الذي تتكلم عنه في سؤالك، ليس هو المسيح الذي تؤمنون به معشر النصارى، فعن أيهما تريد أن تتحدث، وأن يدور حوارنا: عبد الله عيسى ابن مريم، المخلوق؛ أو الابن الذي اتخذتموه إلها؟!

ثالثاً:

لسنا في صدد المقارنة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، فنحن في شرعنا قد نهينا عن المفاضلة بين الأنبياء، وبخاصة تلك المفاضلة التي فيها إنقاص لقدر الطرف الآخر، وهو ما فعلته أنتَ، فلم تستطع إثبات خيرية عيسى عليه السلام على خلق الله تعالى إلا بالطعن بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا أمرٌ مرفوض في شرعنا لو كان الطرف الآخر أقل منزلة، وأما مع الطعن بأحد الأنبياء فإن من يفعل ذلك يكفر ويخرج من ملة الإسلام، فديننا المطهَّر يحفظ كرامة الأنبياء والرسل، ويُعلي شأنهم، والإيمان بهم جميعاً ركن من أركان الإيمان، ولا يكون مسلماً من لم يؤمن ولو بنبي واحد، وليس في شرعنا المطهَّر إلا ذِكر الأنبياء والرسل بخير، فقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم " القرآن " عبادتهم، وأثنى عليها، وذكر دعاءهم، وخشيتهم، ودعوتهم لأقوامهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ما يسيء لأحدٍ منهم، بل فيهما وجوب تعظيم قدرهم، وإعلاء شأنهم.

رابعاً:

بحث المفاضلة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ليس هو مقصوداً عندنا في الدين، ولا ينبغي أن يكون عندك كذلك، والسبب: أننا أُمرنا باتباعه صلى الله عليه وسلم، وقبل ذلك بالشهادة أنه رسول الله، وهذا لا علاقة له بكونه خير خلق الله أو لا، وليس هذا في ديننا فحسب، بل كل قوم أرسل لهم رسول من قبَل ربهم تعالى فإنهم مأمورون بالإيمان به

وباتباعه ولو لم يكن خير خلق الله، وهل من شرط النبي أن يكون خير خلق الله؟! فماذا إذن يكون حال الأمم السابقة التي اجتمع في عصر واحدٍ مجموعة عظيمة من الأنبياء والرسل؟! نحن لم نشهد لنبينا محمد ﷺ بالرسالة لأنه خير خلق الله، ولا قال هو اتبعوني لأنني خير خلق الله، بل نحن عرفنا ذلك من رفع الله تعالى لمقامه، ومن إعلائه لشأنه، وسنذكر ما يؤيد هذا بآية، وحادثة، وحديث:

١. أما الآية: فهي قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران/ ٨١.

فهذا عهد وميثاق أخذه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الأنبياء جميعاً أن يؤمنوا بمُحَمَّد ﷺ، وأن ينصروه في دعوته.

٢. وأما الحادثة: فهي صلاة نبينا ﷺ بالأنبياء جميعاً إماماً، وذلك في رحلته المسماة " الإسراء والمعراج "، فقد صلَّى بهم جميعاً عليهم السلام في بيت المقدس.

وإن لم يدل هذا على فضله وخيريته فلا ندري أي شيء يمكن أن يدل على ذلك.

٣. وأما الحديث: فهو ما صحَّ عنه ﷺ مما يجري يَوْمَ القِيَامَةِ حين يتراجع الأَنْبِيَاء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم عن الشفاعة للناس في الفصل بينهم، فيعتذرون، وكلهم يقول: نفسي، نفسي، فيتقدم ﷺ للشفاعة العظمى ويقول: أنا لها، أنا لها، ثُمَّ يكرمه ربه تعالى، ويقبل شفاعته في أهل المحشر، وذلك هو المقام المحمود الذي لم يجعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لبشرٍ غيره ﷺ.

فهذه بعض أدلة من ديننا على أفضلية النبي ﷺ على إخوانه الأنبياء عليهم السلام، وليسوا ينكرون هم ذلك، فها هو موسى عليه السلام يعترف بذلك في حديث صحيح عندنا، وها هو عيسى عليه السلام يرفض أن يؤم بالمسلمين، بل يرضى أن يكون مأموماً؛

لأنه سيعمل بالعهد والميثاق الذي أخذهما الله تعالىٰ عليه، فعندما ينزل في آخر الزمان فإنه سيقتل الخنزير، وسيكسر الصليب، وسيصلي مأموماً وراء إمامٍ من أئمة المسلمين.

وقد ثبت في أصح الكتب عندنا – البخاري ومسلم – بيان هذه الأمور مجتمعة، مع تعظيم قدر عيسىٰ عليه السلام، ومدىٰ ارتباطه به ﷺ، فقف علىٰ هذا الحديث:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ» رواه البخاري ومسلم.

ومعنىٰ (أولىٰ الناس بعيسىٰ): أي: أخصهم به، وأقربهم إليه.

ومعنىٰ (إخوة لِعَلاَّت): أي: إخوة لأب من أمهات شتىٰ.

معنىٰ الحديث: أن أصل إيمان الأنبياء واحد، وشرائعهم مختلفة.

فأنت بكلامك الوارد في سؤالك تظن أنه ثمة فجوة بين الأنبياء والمرسلين وبين نبينا محمد ﷺ، وليس هذا هو واقعهم عليهم السلام، بل هم جميعاً إخوة، جاءوا برسالة عقائدية واحدة، وهي الدعوة لعبادة الله تعالىٰ وحده، وترك الإشراك به.

خامساً:

وأما قولك عن نبينا محمد ﷺ أنه " كثير الذنوب ": فهو قول يمكن أن يزعمه أي أحد في أي شخص، ولو كنت تسلك الجادة العلمية لما قلتَ هذا القول، ونحن ننزه الأنبياء والمرسلين الذين أرسلوا لغيرنا من الأمم أن يكونوا من أصحاب المعاصي والذنوب: فكيف يكون حال أفضلهم وخيرهم؟ وانظر للفرق العظيم بيننا وبينك، ففي الوقت الذي تطعن فيه بنبينا محمد ﷺ دون بيِّنة: فإننا ننكر هذا أن يكون من أخلاق أحد من الأنبياء والرسل لغيرنا، وهكذا علَّمنا ديننا: أن نحترم الأنبياء والمرسلين، وأن نجلَّهم، ونقدِّرهم.

ونحن لا نعجب منكم إذا طعنتم بنبينا وأسأتم له؛ لأن شتم الأنبياء ديدنكم، والطعن فيهم منهجكم، وقد لبَّس عليكم اليهود دينكم، وحرَّفوه فتبعتموهم على عماية وضلالة، وكل ما في التوراة من طعن في الأنبياء والمرسلين فأنتم تصدقونه، وأضفتم إليه ما في كتبكم المحرَّفة من طعن في صفوة الناس:

١. جاء في إنجيل " متَّى " أن عيسى من نسل سليمان بن داود، وأن جدهم فارض الذي هو من نسل الزنى من يهوذا بن يعقوب. إصحاح متى الأول، عدد (١٠).

٢. وفي إنجيل " يوحنَّا " إصحاح (٢) عدد (٤): أن يسوع أهان أمَّه في وسط جمع من الناس !.

٣. وفي إنجيل " يوحنا "، إصحاح (١٠) عدد (٨): أن يسوع شهد بأن جميع الأنبياء الذين قاموا في بني إسرائيل هم سرَّاق ولصوص !.

وجاء في التلمود - وهو مؤلَّف ضخم، يعد مصدراً أساسيّاً من مصادر التشريع اليهودي، ويعد في وقتنا الحالي المرجع الديني لليهود الأصوليين، والمتشددين في إسرائيل، والعالم أجمع، وهو يتبوأ مكانة أسمى من مكانة التوراة -:

١. " إن تعاليم يسوع كفر ، وتلميذه يعقوب كافر ، وإن الأناجيل كتُب الكافرين ".

٢. وجاء فيه - والعياذ بالله -:

" إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وإن أمَّه مريم أتت به من العسكري " بانديرا " عن طريق الخطيئة، وإن الكنائس النصرانية هي مقام القاذورات والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة ".

٣. وقال الحاخام " اباربانيل ":

" المسيحيون كافرون؛ لأنهم يعتقدون أن الله له لحم ودم ".

٤. وجاء في التلمود:

" كل الشعوب ماعدا اليهود: وثنيون، وتعاليم الحاخامات مطابقة لذلك ".

٥. وجاء في موضع آخر من التلمود:

" إن المسيح كان ساحراً ووثنيّاً، فينتج أن المسيحيين وثنيون أيضاً مثله ".

٦. وجاء في التلمود - أيضاً -:

" النعيم مأوى أرواح اليهود، ولا يدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم: فمأوى الكفار من المسيحيين، والمسلمين، ولا نصيب لهم فيها سوى البكاء؛ لما فيها من الظلام والعفونة ".

فأين هذا الذي تدعيه كتبكم على أنبياء الله الكرام، مما تدعيه على نبينا محمد ﷺ من كثرة الذنوب.

سابعاً:

وأما قولك " وكذلك خير خلق الله لا يلقي الشيطان على لسانه آيات دون أن يعلم ": فأنت تريد به " قصة الغرانيق " وملخصها:

أن الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يقرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ النجم/ ١٩، ٢٠ ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى ! وأن النبي ﷺ وأصحابه والمشركون سجدوا بعد ذلك !

وهذه القصة قد ضعَّفها كثير من أهل العلم والتحقيق.

قال البيهقي:

هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل.

انظر " تفسير الفخر الرازي " (٢٣ / ٤٤).

وقال ابن حزم:

وأما الحديث الذي فيه: " وأنهن الغرانيق العلى، وإن شفاعتها لترتجى " فكذب بحت موضوع؛ لأنه لم يصح قط من طريق النقل، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد.

" الفِصَل في الملل والنحل " (٢ / ٣١١).

وقال القاضي عياض:

هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل....، ومن حُكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية.

" الشفا في أحوال المصطفى " (٢ / ٧٩).

وقال الحافظ ابن كثير:

قد ذكر كثير من المفسرين قصة الغرانيق، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة، ظنّاً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم.

" تفسير ابن كثير " (٣ / ٢٣٩).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز

ليس في إلقاء هذه الألفاظ في قراءته ﷺ حديث صحيح يعتمد عليه فيما أعلم، ولكنها رويت عن النبي ﷺ في أحاديث مرسلة، كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير في تفسير آية الحج، ولكن إلقاء الشيطان في قراءته ﷺ في آيات النجم وهي قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج / ٥٢] فقوله سبحانه: ﴿إلا

إِذَا تَمَنَّىٰ﴾ أي: تلا، وقوله سبحانه: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي: في تلاوته، ثم إن الله سبحانه ينسخ ذلك الذي ألقاه الشيطان ويوضح بطلانه في آيات أخرى، ويحكم آياته؛ ابتلاء وامتحانا، كما قال سبحانه بعد هذا: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ الآيات [الحج / ٥٣].

فالواجب على كل مسلم أن يحذر ما يلقيه الشيطان من الشبه على ألسنة أهل الحق وغيرهم، وأن يلزم الحق الواضح الأدلة، وأن يفسر المشتبه بالمحكم حتى لا تبقى عليه شبهة، كما قال الله سبحانه في أول سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران / ٧] وصح عن النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها أنه قال: « **إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم** » متفق على صحته.

والله ولي التوفيق.

" مجموع فتاوى الشيخ ابن باز " (٨ / ٣٠١، ٣٠٢).

وقد تكلَّم على القصة سنداً ومتناً وبيَّن ضعف سندها ونكارة متنها: الشيخ الألباني -: - في رسالته النافعة " نصب المجانيق في بطلان قصة الغرانيق ".

ومن صحح القصة من العلماء فإنه لم يقل بما توهمه في ظاهرها من التغيير والتبديل في كلام الله تعالى ومن الخطأ من النبي ﷺ، بل بيَّنوا لها أوجهاً تلتقي مع اعتقاد المسلمين جميعاً بعدم تحريف القرآن وبعصمة النبي صلى الله عليه فيما يبلغ عن ربه تعالى.

ومن وجوه التأويل ما ذكره بعض العلماء من كون الشيطان ألقى تلك الكلمات في أسماع المشركين لا أنه ألقاها على لسان النبي ﷺ، وهو ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى " (٢ / ٢٨٢).

أما عن سبب سجود المشركين في نهاية تلاوة السورة: فإليك ما قاله العلماء فيه.

قال الشيخ الألباني -: - في آخر كتابه السابق الذكر -:

رب سائل يقول: إذا ثبت بطلان إلقاء الشيطان على لسانه عليه الصلاة والسلام جملة " تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى " فَلِمَ إذن سجد المشركين معه ﷺ وليس ذلك من عادتهم؟.

والجواب ما قاله المحقق الآلوسي بعد سطور من كلامه الذي نقلته آنفاً:

" وليس لأحد أن يقول: إن سجود المشركين يدل على أنه كان في السورة ما ظاهره مدح آلهتهم، وإلا لما سجدوا؛ لأننا نقول: يجوز أن يكونوا سجدوا لدهشة أصابتهم وخوف اعتراهم عند سماع السورة لما فيها من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى. وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى. وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى. فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ إلى آخر الآيات [النجم / ٥٠ - ٥٤]، فاستشعروا نزول مثل ذلك بهم، ولعلهم لم يسمعوا قبل ذلك مثلها منه ﷺ، وهو قائم بين يديّ ربه سبحانه في مقام خطير وجمع كثير، وقد ظنّوا من ترتيب الأمر بالسجود على ما تقدم أن سجودهم و لو لم يكن عن إيمان كافٍ في دفع ما توهّموه، ولا تستبعد خوفهم من سماع مثل ذلك منه ﷺ، فقد نزلت سورة (حم السجدة) بعد ذلك كما جاء مصرّحا به في حديث عن ابن عباس، ذكره السيوطي في أول " الإتقان " فلما سمع عُتبة بن ربيعة قوله تعالى فيها: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ " [فصّلت / ١٣] ! أمسك على فم رسول الله ﷺ، وناشده الرحم واعتذر لقومه حين ظنوا به أنه صبأ وقال: " كيف وقد علمتم أن محمَّداً إذا قال شيئاً لم يكذب؟ فخفت أن

ينزل بكم عذاب " وقد أخرج ذلك البيهقي في " الدلائل " وابن عساكر في حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

ثامناً:

وأما قولك: " وكذلك خير خلق الله لا يخالف أمراً من الله ": لا نعرف ما الأمر الذي أمر الله تعالى نبيَّه ولم يفعله ! وقد وصفه ربه تعالى بالعبودية، وأثنى عليه، وهو أعلم الناس بربه، وأتقاهم وأخشاهم له، فأي أمرٍ يمكن أن يخالفه؟! إن هذا إلا اختلاق.

تاسعاً:

وقولك: " وخير خلق الله لا يمكن أن يجري عليه سحرٌ ": قول باطل، فالسحر الذي جرى له صلى الله عليه وسلم لم تعلمه أنت حتى أعلمك به النبي صلى الله عليه وسلم ! ولم يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حتى أذن الله تعالى له بالإخبار به ! فهو من جملة العوارض التي تصيب الإنسان، وهو يدل على أنه صلى الله عليه وسلم بشر، وقد ردَّ بعض أهل البدع من المنتسبين للإسلام هذا الحديث، وظنوه مخالفاً لكونه معصوماً صلى الله عليه وسلم، ومحطاً لقدر النبوة، وقد كفانا العلماء الأثبات مئونة الرد على أولئك قديماً، وعليكم حديثاً.

قال النووي

قال الإمام المازري: وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسببٍ آخر، فزعم أنه يحط منصب النبوة، ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع ! وهذا الذي ادَّعاه هؤلاء المبتدعة: باطل؛ لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه، وصحته، وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه: باطل، فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها، ولا كان مفضَّلا من أجلها، وهو مما يعرض للبشر: فغير بعيد أن يخيَّل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له، وقد قيل: إنه إنما كان يتخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في

المنام، فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له، وقيل: إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد.

قال القاضي عياض: وقد جاءت روايات هذا الحديث مبيِّنة أن السحر إنما تسلَّط على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله، وقلبه، واعتقاده، ويكون معنى قوله في الحديث " حتى يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن "، ويروى: " يُخيل إليه " أي: يظهر له من نشاطه، ومتقدم عادته القدرة عليهن فإذا دنى منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن، ولم يتمكن من ذلك كما يعتري المسحور، وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله، ونحوه: فمحمول على التخيل بالبصر لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبساً على الرسالة، ولا طعناً لأهل الضلالة.

" شرح مسلم " (١٤ / ١٧٤، ١٧٥).

وقال الإمام ابن قيم الجوزية

قد أنكر هذا طائفة من الناس، وقالوا: لا يجوز هذا عليه، وظنُّوه نقصاً وعيباً، وليس الأمر كما زعموا، بل هو من جنس ما كان يعتريه ﷺ من الأسقام والأوجاع، وهو مرض من الأمراض، وإصابته به كإصابته بالسم لا فرق بينهما، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سحر رسول الله ﷺ حتى إن كان ليخيل إليه أنه يأتي نساءه ولم يأتهن، وذلك أشد ما يكون من السحر.

" زاد المعاد " (٤ / ١١٣).

ثم نسألك، إن كنت جاداً في الحوار: أيهما أشد على صاحبه، وأدل على نزول قدره، جريان هذا السحر، الذي هو مرض من الأمراض، تسبب فيه هذا اليهودي، أو تسلّط اليهود على عيسى ابن مريم النبيّ عندنا، والإله أو ابن الإله عندكم، حتى صلبوه وقتلوه وسط شماتة الأعداء وإهانتهم:

(وكان المارة يهزون رؤوسهم ويشتمونه، ويقولون:... إن كنت ابن الله، فخلص نفسك، وانزل عن الصليب. وكان رؤساء الكهنة، ومعلمو الشريعة والشيوخ يستهزئون به، فيقولون: خلَّصَ غيره، ولا يقدر أن يخلص نفسه؟! هو ملك إسرائيل، فلينزل الآن عن الصليب لنؤمن به؛ توكَلَ على الله وقال: أنا ابن الله، فلينقذه الله إن كان راضيا عنه. وعيره اللصان المصلوبان معه أيضا، فقالا مثل هذا الكلام.)

(وعند الظهر خيم على الأرض كلها ظلام حتى الساعة الثالثة ، ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع بصوت عظيم: إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟!!) [متى: ٢٧/ ٣٨-٤٧] وأيضا:

[مرقس: ١٥/ ٢٩-٣٥]

ونحن نقول: حاشا لأنبياء الله الكرام، محمد وأخيه عيسى وإخوانهم جميعاً عليهم السلام من هذا الإفك والبهتان ومن كل ذلة وهوان "

عاشراً:

وأما قولك: " وكيف يكون أبوا خير الله مشركين، وماتا مشركين؟ ": فهذا من العجائب، وما دخل كونه أفضل الخلق بكون والديه مشركين؟! وهل الرب تعالى اصطفاه هو أم اصطفاه واصطفى أهله وأقرباءه؟! وها هو إبراهيم عليه السلام قد توفي والده على الشرك، فلم يُنقص ذلك من رتبته ومنزلته، وهو أبو الأنبياء، صلى الله عليه وسلم، وها هو نوح عليه السلام تموت زوجته وابنه على الكفر، وها هو لوط عليه السلام تُهلك زوجته وهي على الكفر، فكان ماذا؟.

ثم انظروا، ما تقوله كتبكم المقدسة عندكم، وعند اليهود عن مريم البتول عليها السلام ، بل وعن أنبياء الله أنفسهم، لتعلم أيها السائل أي الفريقين أصدق قيلاً، وأهدى سبيلاً؟!

حادي عشر:

وأما قولك: وأيضاً فإن خير خلق الله لا ينشر دينه بالسيف، أو بالمال يبيعه "

١. قال المسيح عليه السلام: " لا تظنوا أني جئتُ لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً، وإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته. من أحب أبا أو أماً أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني، من وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها ".

" إنجيل متى، الإصحاح العاشر، فقرة ٣٥ وما بعدها.

٢. قال المسيح عليه السلام: " من له سيف: فليأخذه، ومن ليس له: فليبع ثوبه، ويشتري سيفاً ".

" لوقا " (٢٢ / ٣٦، ٣٧).

٣. ويقول المسيح عليه السلام: " أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم: فأتوا بهم إلى هنا، واذبحوهم قدامي ".

" لوقا " (١١).

ج. واسمع لعقلاء من غير المسلمين من الكتَّاب والأدباء والتاريخيين ماذا يقولون:

١. قال توماس كارليل في كتابه " الأبطال وعبادة البطولة ": " إن اتهامه – أي: محمد صلى الله عليه وسلم – بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته: سخفٌ غير مفهوم؛ إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يُشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا له، فإذا آمن به مَن يقدرون على حرب خصومهم: فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها ".

انظر: " حقائق الإسلام وأباطيل خصومه " لعباس لعقاد (ص ٢٢٧).

٢. ويقول المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه " حضارة العرب " وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام في عهده ﷺ وفي عصور الفتوحات من بعده -: " قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تُفرض بالقوة، ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند - التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل - ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس فيها، ولم يكن الإسلام أقل انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط، وسترى في فصل آخر سرعة الدعوة فيها، ويزيد عدد مسلميها على عشرين مليوناً في الوقت الحاضر ".

فهل تبين لك مدى بُعد التهمة عن الإسلام؟! هل تبين لك مدى تضليل الأحبار والرهبان ووسائل الإعلام لك؟.

د. وكأني بك تريد تنزيه دينك عن انتشاره بالسيف ! وكأني بك تريد إقناع الناس بما يحمله أهل دينك من الرحمة والرأفة ! وكل ذلك غير صحيح، وإليكَ أمثلة من واقعكم:

١. المِلك " أولاف " ذبَح كلَّ مَن رفض اعتناق النصرانية في " النرويج "، قطع أيديهم، وأرجلهم، ونفاهم، وشرَّدهم، حتى انفردت النصرانية بالبلاد.

٢. وفي الجبل الأسود بالبلقان قاد الأسقف الحاكم " دانيال بيتر وفتش " عملية ذبح غير المسيحيين ليلة عيد الميلاد.

٣. وفي الحبشة قضى الملك سيف أرعد (١٣٤٢ – ١٣٧٠ م) بإعدام كل من أبى الدخول في النصرانية، أو نفيهم من البلاد.

٤. ثم نجد أن النصرانية - وليس الإسلام - هي التي أبادت الهنود الحمر في أمريكا.

٥. ثم نجد النصرانية هي التي اقتلعت الشعب الفلسطيني من أرضه لتسليمها إلىٰ أعداء المسيح ومحمد - عليهما السلام - علىٰ السواء.

٦. من الذي أشعل الحروب العالمية؟ لقد قُتل في الحرب العالمية الأولىٰ عشرة ملايين، وفي الثانية حوالي ٧٠ مليوناً !.

٧. وكم قُتل من البشر بالقنابل الذرية التي ألقيت علىٰ مدينتي " نجازاكي " و " هيروشيما " في اليابان؟.

٨. وترىٰ النصرانية في حربها الصليبية عندما حاصرت بيت المقدس وشددت الحصار ورأىٰ أهلها أنهم مغلوبين فطلبوا من قائد الحملة " طنكرد " الأمان علىٰ أنفسهم وأموالهم، فأعطاهم الأمان علىٰ أن يلجأوا إلىٰ المسجد الأقصىٰ رافعين راية الأمان، فامتلاء المسجد الأقصىٰ بالشيوخ والأطفال والنساء، وذُبحوا كالنعاج، وسالت دماؤهم في المعبد حتىٰ ارتفعت الدماء إلىٰ ركبة الفارس، وعجَّت شوارعنا بالجماجم المحطمة، والأذرع، والأرجل المقطعة، والأجسام المشوهة، ويذكر المؤرخون أن الذين قُتلوا في داخل المسجد الأقصىٰ فقط سبعين ألفاً، ولا ينكر مؤرخو الفرنج هذه الفضائح.

٩. وعصرنا اليوم خير شاهد علىٰ ذلك، لقد قصفوا أفغانستان، ثم تحولوا إلىٰ العراق ليدمروها، فقصفوا، وقتلوا، وعاثوا في الأرض فساداً، وقد قال كبيرهم: إن الله أمره بدخول العراق !! فأين وصايا المسيح التي يدعونها ويتشدقون بها؟!.

١٠. ألم يقف " اللورد اللنبي " ممثل الحلفاء: إنجلترا، وفرنسا، وإيطاليا، ورومانيا، وأميركا في بيت المقدس في سنة ١٩١٨ حين استولىٰ عليه في أخريات الحرب الكبرىٰ الأولىٰ قائلاً: " اليوم انتهت الحروب الصليبية "؟!.

١١. ألم يقف الفرنسي " غورو " ممثل الحلفاء أيضاً - وقد دخل دمشق - أمام قبر البطل المسلم " صلاح الدين الأيوبي " قائلاً: " لقد عدنا يا صلاح الدين "؟!.

١٢. وهل هدمت الديار، وسفكت الدماء، واغتصبت الأعراض في البوسنة والهرسك إلا باسم الصليب؟.

١٣. بل أين هؤلاء مما حدث في الشيشان - ومازال يحدث -؟ وفي إفريقيا؟ وإندونيسيا؟ وغيرها؟ وهل يستطيع هؤلاء إنكار أن ما حدث في كوسوفا كان حربا صليبية؟ ألم يقل بوش في حربه الأخيرة " ستكون حربا صليبية "؟!.

ومثل هذه الفظائع لم يقع في جهاد المسلمين لأعدائهم، فما كانوا يقتلون النساء، ولا الأطفال، ولا الدهماء من الناس، ويجدر أن نذكر بوصية أبي بكر الصدِّيق حيث قال لأسامة بن زيد وجنده:

" لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا طفلاً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعزقوا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة، ولا بقرة، ولا بعيراً إلا للأكل، وإذا مررتم بقوم فرَّغوا أنفسهم في الصوامع: فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ".

ينظر: " موسوعة شبهات النصارى حول الإسلام "، " السيرة النبوية " للشيخ محمد أبو شهبة.

وأما كلامك عن المال: فإن هذا يجب أن يُستحيى من ذِكره، فالعالم كله يعرف من الذي يذهب إلى الدول الفقيرة وبيده اليمنى خبزة، وبالأخرى نسخة من الإنجيل ! وكل العالم يعرف من يحمل بيده حبة الدواء وحفنة الدولارات، وبيده الأخرى نسخة من الإنجيل !.

وأخيراً:

لعلنا أن نكون قد أظهرنا لك خطأ ما ذكرتَه عن نبينا محمد ﷺ، ولعلك علمت أنك ضحية إعلام مزوَّر، جعلك تسيء إلى من لا يستحق الإساءة، وتسكت عمن يستحق البيان والفضح، واعلم أن الإسلام دين الأدلة والبراهين، وليس دين الادعاءات والتزوير، فأدرك نفسك، والتحق بركب الأنبياء والصالحين، واحرص على أن لا تموت إلا على الدين الذي كان يعتقده الأنبياء والمرسلون، وهو التوحيد، واحرص على أن تكون ضمن قافلة أتباع خير الأديان وخاتمتها.

نسأل الله تعالى أن يهديك، ويشرح صدرك للإسلام، ونسأله أن يريك الحق حقا ويرزقك اتباعه، ويريك الباطل باطلا ويرزقك اجتنابه.

والله الموفق

***

٣٩_ تفسير قوله تعالى: (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا)

السؤال:

في سورة الجن، الآية (رقم/ ٣): (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) يكررها النصارى تشكيكا في ديننا، كيف نرد عليهم ردا مفحما؟ هل المتحدث هنا هم الجن جهلا منهم؟ أم المقصود بقوله (جد) ضد الهزل؟

الجواب:

الحمد لله

هذه الآية من سورة " الجن " ذات الوقع المؤثر في النفوس، تحكي حديثا صدر عن الجن الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ، فآمنوا بالقرآن، وأسلموا.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا* وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا* وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ الجن/ ١-٤.

وظاهر جداً من سياق الآيات: أن الجن أعلنوا إيمانهم بوحدانية الله، ورفضهم لما يقوله المشركون من نسبة الصاحبة والولد إلى الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والجد في الآية معناه: العظمة والجلال، وليس معناه "أبو الأب" كما فهم هؤلاء المفترون.

قال ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة" (١/ ٣٦٤):

" الجيم والدال أصولٌ ثلاثة: الأوَّل العظمة، والثاني: الحَظ، والثالث: القَطْع.

فالأوّل: العظمة: قال الله جلّ ثناؤه إخباراً عمّن قال: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ الجن/ ٣.

ويقال: " جَدَّ الرجُل في عَينِي " أي: عَظُم، قال أنسُ بنُ مالكٍ: (كان الرجلُ إذا قرأ سورةَ البقرة وآلِ عِمرانَ جَدَّ فينا) أي: عَظُم في صُدورِنا.

والثاني: الغِنَى والحظُّ: قال رسول الله ﷺ في دعائه: (لا يَنْفَع ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ) يريد: لا ينفَعُ ذا الغنى منك غِناه، إنّما ينفعه العملُ بطاعتك.

والثالث: يقال: جَدَدت الشيءَ جَدّاً، وهو مجدودٌ وجَديد، أي: مقطوع " انتهى.

وانظر: "لسان العرب" (٣/ ١٠٧).

فتفسير عبارة الجن التي حكاها الله عنهم: (وأنه تعالى جد ربنا) كتفسير دعاء استفتاح الصلاة أيضا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ﴾

رواه مسلم موقوفا عن عمر (٣٩٩).

والمقصود في كل منهما: تعالت وارتفعت عظمة الله تعالى، وكبرياؤه، وعزته، ونحو ذلك من المعاني التي فيها تعظيم الله تعالى وإجلاله.

لذلك حكى ابن الجوزي في "زاد المسير" (٨/ ٣٧٨) الأقوال في تفسير الآية، فقال:

" للمفسرين في معنى: (تعالى جَدُّ ربِّنا) سبعة أقوال: أحدها: قدرة ربنا، قاله ابن عباس. والثاني: غنى ربنا، قاله الحسن. والثالث: جلال ربنا، قاله مجاهد وعكرمة. والرابع: عظمة ربنا، قاله قتادة. والخامس: أمر ربنا، قاله السُّدِّي. والسادس: ارتفاعُ ذِكْرِه وعظمته، قاله مقاتل. والسابع: مُلك ربنا وثناؤه وسلطانه، قاله أبو عبيدة " انتهى.

وهذه المعاني كلها متقاربة وتدل على عظمة الله تعالى وكبريائه.

والمعنى الإجمالي منها في الآية: هو التعبير عن الشعور باستعلاء الله سبحانه وبعظمته وجلاله عن أن يتخذ صاحبة، أي: زوجة، وولداً، بنين أو بنات!

وكانت العرب تزعم أن الملائكة بنات الله، جاءته من صهر مع الجن! فكذبت الجن هذه الخرافة الأسطورية.

قال ابن عاشور في "التحرير والتنوير" (١٤/ ٢٢٢):

"التعالي: شدة العلوّ.

والجَدّ: العظمة والجلال، وهذا تمهيد وتوطئة لقوله: (ما اتخذ صاحبة ولا ولَداً)، لأن اتخاذ الصاحبة للافتقار إليها لأنسها وعونها والالتذاذ بصحبتها، وكل ذلك من آثار الاحتياج، والله تعالى الغني المطلق، وتعالى جَدّه بغناه المطلق، والولد يرغب فيه للاستعانة والأنس به... وكل ذلك من الافتقار والانتقاص" انتهى.

وقال السعدي في تفسيره (ص ١٠٥٥):

"(وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا) أي: تعالت عظمته وتقدست أسماؤه، (مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) فعلموا من جَدِّ الله وعظمته، ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة أو ولدا، لأن له العظمة والكمال في كل صفة كمال، واتخاذ الصاحبة والولد ينافي ذلك، لأنه يضاد كمال الغنى" انتهى

وسئل الشيخ ابن باز::

ما معنى قولنا في دعاء الاستفتاح للصلاة: (وتعالى جدك)؟

الجواب:

" معنى ذلك: تعالى كبرياؤك وعظمتك، كما قال سبحانه في سورة الجن - عن الجن - أنهم قالوا: (وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) " انتهى.

"فتاوىٰ الشيخ ابن باز" (١١/ ٧٤).

فتبين من ذلك أن في الآية رداً علىٰ من نسب لله الصاحبة والولد، كالمشركين والنصارىٰ، لأن ذلك يتنافىٰ من عظمة الله وجلاله.

والله اعلم

***

٤٠_ مصاب بالوساوس في إيمانه، ومحاسبته على ماضيه السيء؟!

السؤال

لدي استفساران، وأتمنى أن أجد لهما إجابة: الأول: وهو أنني كنت شديد البعد عن الله عز وجل، وكنت من مرتكبي الذنوب والمعاصي بشتى أنواعها، حتى تاب الله تعالى علي في شهر رمضان الحالي، وشعرت فيه بسعادة لم أشعرها بحياتي من قبل، وأصبحت - وبفضل الله - من المحافظين على صلاة الجماعة، وأقوم بما يقدرني الله من الليل، لكن تأتيني بعض الهواجس بأن الله لن يغفر لي مهما فعلت، إضافة لبعض الهواجس التي تراودني عن الذات الإلهية، وعن الرسول محمد ﷺ، والتي أتمنى الموت على أن أفكر فيها، وأصبحت تراودني بشدة لدرجة أني أصبحت أظن بأني لست مسلما؟ خاصة بعد أن وقعت - بحكم عملي - في بعض المجادلات مع أحد القساوسة من النصارى الذي كان يحاول تشويه ديننا، وبعد أن تجاهلته خوفا على نفسي من أي فتنة، اتهمني بالهزيمة، وأنه على الحق، وأننا - المسلمين - على الباطل، لزمت الاستغفار والدعاء والبكاء لكن بلا فائدة. فبالله عليكم ماذا أفعل، لأني أشعر أنه قد أصابني الإحباط واليأس، وكيف أتفقه في الدين؟ وكيف أجادل هذا القسيس وأقنعه أنه جاهل، وأنه يفتري على الله تعالى. أفيدوني أفادكم الله، وجعل هذا المجهود الطيب في ميزان حسناتكم، وأعانكم على فعل الخير.

الحمد لله

والله، يا عبد الله، إن حالك لعجب من العجب !!

ت تَصِفُ الدَّواءَ لِذي السَّقامِ وَذي الضَّنا كيما يَصِحّ بِهِ وَأَنتَ سَقيمُ

أنت مبتلى بالوساوس في أعظم أمرك، وأجل شأنك، مبتلى في أمر فيه نجاتك، إن شككت فيه هلكت، وإن تزعزع في قلبك لم ينفعك شيء، ثم أنت تفتح على نفسك

أبوابا من الشبهات الجديدة، بمجادلتك مع هذه الكافر؛ أنت مهزوز، فكيف تثبت غيرك، ابحث عن نفسك أولا، وداو مرضك، قبل أن تفكر في علاج غيرك.

فاعلم ـ يا عبد الله ـ أنك إن لم تشغل نفسك بالحق، شغلتك بالباطل، وإن لم تحملها على الهدى، حملتك على الضلال؛ فانظر يا عبد الله ماذا تختار لنفسك، وترضه لدينك؟!

ونحيلك في موقعنا إلى أجوبة سابقة فيها حل لإشكال الخطرات والوساوس، سبق بيان الجواب عنه في الأرقام الآتية: (١٢٣١٥)، (٢٥٧٧٨)، (٩٨٢٩٥).

كما ننقل لك هنا كلاما للعلامة ابن قيم الجوزية:، فنرجو أن تتأمل فيه، ففيه بيان شاف لهذه المسألة، يقول::

" معلوم أنه لم يعط الإنسان أمانة الخواطر، ولا القوة على قطعها، فإنها تهجم عليه هجوم النفس، إلا أن قوة الإيمان والعقل تعينه على قبول أحسنها، ورضاه به، ومساكنته له، وعلى دفع أقبحها، وكراهته له، ونفرته منه، كما قال الصحابة: يا رسول الله ! إن أحدنا يجد في نفسه ما إن أن يحترق حتى يصير حممة أحب إليه من أن يتكلم به؟ فقال: أوقد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذلك صريح الإيمان. أخرجه مسلم في باب الإيمان، وأبو داود في كتاب الأدب.

وفيه قولان:

أحدهما: أن رده وكراهته صريح الإيمان. والثاني: أن وجوده وإلقاء الشيطان له في النفس صريح الإيمان، فإنه إنما ألقاه في النفس طلبا لمعارضة الإيمان وإزالته به.

وقد خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحى الدائرة التي لا تسكن، ولا بد لها من شيء تطحنه، فإن وضع فيها حَب طحنته، وإن وضع فيها تراب أو حصى طحنته، فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحَب الذي يوضع في الرحى، ولا

تبقى تلك الرحى معطلة قط، بل لا بد لها من شيء يوضع فيها، فمن الناس من تطحن رحاه حَبًّا يخرج دقيقا ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملا وحصى وتبنا ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينه.

فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يعني باب كل شر، ومَن فكَّر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه، فالفكر والخواطر والإرادة والهمة أحق شيء بإصلاحه من نفسك، فإن هذه خاصتك وحقيقتك التي لا تبتعد بها أو تقرب من إلهك ومعبودك الذي لا سعادة لك إلا في قربه ورضاه عنك، وكل الشقاء في بعدك عنه وسخطه عليك، ومن كان في خواطره ومجالات فكره دنيئا خسيسا لم يكن في سائر أمره إلا كذلك.

وإياك أن تمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك، فإنه يفسدها عليك فسادا يصعب تداركه، ويلقي إليك أنواع الوساوس والأفكار المضرة، ويحول بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الذي أعنته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك فملكها عليك، فمثالك معه مثال صاحب رحى يطحن فيها جيد الحُبوب، فأتاه شخص معه حمل تراب وبعر وفحم وغثاء ليطحنه في طاحونته، فإن طرده ولم يمكنه من إلقاء ما معه في الطاحون استمر على طحن ما ينفعه، وإن مكنه من إلقاء ذلك في الطاحون أفسد ما فيها من الحَب، وخرج الطحين كله فاسدا.

" انتهى باختصار.

"الفوائد" (ص/ ١٩١-١٩٤)

أما عن شأن مناقشة القس النصراني، فنصيحتنا لك ألا تشتغل بذلك، فذلك علم واسع لم تتخصص أنت فيه، فكيف تريد الخوض فيه، بل وإقناع ذلك النصراني الذي قد يكون متخصصا في هذا الأمر، أرأيت لو أردت أن تناقش طبيبا لتقنعه بعلاج معين لمرض خطير فهل تراه يسمع منك، أو يأخذ عنك، أو يقتنع بكلامك؟!، فلماذا تسعى

للخوض في علم واسع - وهو علم الفرق والأديان والعقائد - وأنت لست من العلماء به، بل وتحمل بسببه هما تلوم به نفسك، ونحن نصدقك القول أننا نراك مخطئا في هذا الشعور، وإن كنا نرجو أن يثيبك الله تعالىٰ علىٰ حرصك علىٰ إفحام ذلك النصراني المجادل، ولكن عليك أن تسلك سبيل التعلم بالمطالعة والدراسة والاستماع سنوات عديدة، ثم بعد ذلك تتصدىٰ للدفاع عن الإسلام، ودعوة غير المسلمين إليه.

فإن كان قد وقع في قلبك شيء من شبه هذه القسيس، أعاذك الله من ذلك، فبإمكانك أن تستعين بمن عنده علم في هذا الباب أن يحلها لك، ويزيل عنك الإشكال.

وإن كنت بحمد الله علىٰ بنية من أمرك، كما يبدو من سؤالك؛ فاعلم أن هذا الرجل كاذب، ويعلم أنه كاذب.

قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة / ٤١.

قال الشيخ السعدي: في تفسيره (٢٣١): " كان الرسول ﷺ من شدة حرصه علىٰ الخلق يشتد حزنه لمن يظهر الإيمان، ثم يرجع إلىٰ الكفر، فأرشده الله تعالىٰ، إلىٰ أنه لا يأسىٰ ولا يحزن علىٰ أمثال هؤلاء؛ فإن هؤلاء لا في العير ولا في النفير، إن حضروا لم ينفعوا، وإن غابوا لم يفقدوا، ولهذا قال مبينا للسبب الموجب لعدم الحزن عليهم - فقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ فإن الذين يؤسىٰ ويحزن عليهم، من كان معدودا من المؤمنين، وهم المؤمنون ظاهرا وباطنا، وحاشا لله أن

يرجع هؤلاء عن دينهم ويرتدوا، فإن الإيمان -إذا خالطت بشاشته القلوب- لم يعدل به صاحبه غيره، ولم يبغ به بدلا.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي: مستجيبون ومقلدون لرؤسائهم، المبني أمرهم على الكذب والضلال والغي. وهؤلاء الرؤساء المتبعون ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ بل أعرضوا عنك، وفرحوا بما عندهم من الباطل وهو تحريف الكلم عن مواضعه، أي: جلب معان للألفاظ ما أرادها الله ولا قصدها، لإضلال الخلق ولدفع الحق، فهؤلاء المنقادون للدعاة إلى الضلال، المتبعين للمحال، الذين يأتون بكل كذب، لا عقول لهم ولا همم. فلا تبال أيضا إذا لم يتبعوك، لأنهم في غاية النقص، والناقص لا يؤبه له ولا يبالى به.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ أي: هذا قولهم عند محاكمتهم إليك، لا قصد لهم إلا اتباع الهوى.

يقول بعضهم لبعض: إن حكم لكم محمد بهذا الحكم الذي يوافق أهواءكم، فاقبلوا حكمه، وإن لم يحكم لكم به، فاحذروا أن تتابعوه على ذلك، وهذا فتنة واتباع ما تهوى الأنفس.

﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: فلذلك صدر منهم ما صدر.

فدل ذلك على أن من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتباع هواه، وأنه إن حكم له رضي، وإن لم يحكم له سخط، فإن ذلك من عدم طهارة قلبه، كما أن من حاكم وتحاكم إلى الشرع ورضي به، وافق هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب، ودل على أن طهارة القلب، سبب لكل خير، وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد وعمل سديد.

﴿لَهُم فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أي: فضيحة وعار {وَلَهُم فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} هو: النار وسخط الجبار." انتهى.

والله أعلم.

***

٤١_ أجوبة من دخل في الإسلام على السؤال المتبادر " لماذا أسلمتَ "؟

السؤال:

يسألني أحد زملاء العمل " لماذا أسلمت؟ " فقلت له: إن هذا هو الطريق الذي كان يجب أن أسلكه، لا أعرف أحيانًا ما يجب أن أقوله، وعندما أحاول: أشعر أن ردي غير صحيح، كيف أرد على مثل هذا السؤال؟.

الجواب:

الحمد لله

أولاً:

نسأل الله تعالى أن يتقبل إسلامك، وأن يثبتك على الحق، ويهديك لما يحب ويرضى.

واعلمي أيتها الأخت الفاضلة أنك سلكتِ الطريق الصحيح، فالإسلام دين الفطرة، ودين الأمن، والسعادة، يشعر بذلك كل من انتسب لهذا الدين العظيم، وقد يشعر بذلك أكثر من كان غارقاً في ظلمات الجهل والضلال والكفر، ويشعر الناطق بالشهادتين بشيء في قلبه لا يستطيع وصفه لأحدٍ، ولذلك تغلب أكثرهم دموع الفرح والسعادة، ولا شك أن الله تعالى قد جعل للإسلام طعماً، وللإيمان حلاوة، وهو ما نصَّت عليه نصوص شريعتنا، ويشعر بذلك الطعم، ويتذوق تلك الحلاوة من آمن بالله ربّاً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً.

ثانياً:

إن الذي يكرمه الله تعالى بدخول الإسلام يجد من الأسباب لدخوله فيه ما لا يجده غيره، ويرى فيه من الجوانب ما لا يراه غيره، وما ذلك إلا لعظمة هذا الدين، وكثرة جوانب الخير فيه، وصلاحيته لجميع طبقات الناس وبيئاتهم وثقافاتهم، ومن هنا فإن

من يدخل في هذا الدين العظيم يذكر من الأسباب لإسلامه ما لا يذكره غيره غالباً، وكلها إجابات صحيحة تحكي واقعهم وواقع الإسلام ذاته، ويمكنك الوقوف على بعض تلك الإجابات، والاستفادة منها، ونحن نفضل أن تذكري شعورك أنت، والسبب الذي دفعك أنت للدخول في هذا الدين، فهو تعبير عن واقعك الذي تعيشين، وأنت أبلغ من يستطيع التعبير عنه.

ولا مانع من ذِكر بعض تلك الأسباب عند غيرك ممن دخل في الإسلام؛ فقد يكون ثمة اشتراك في بعضها بينك وبينهم.

١. سئل أعرابي: لماذا أسلمتَ؟ قال: لم أرَ شيئاً من قول، أو فعل يستحسنه العقل، وتستطيبه الفطرة: إلا وحثَّ عليه الإسلام، وأمر به، وأحلَّه رب العزة سبحانه، ولم أجد شيئاً يستقبحه العقل، وتستقذره الفطرة: إلا ونهى الله عنه، وحرَّمه على عباده.

٢. قال " روبرت ديكسن " رئيس جمعية المحامين الأمريكيين: جوابي لمن سألني لماذا أسلمت: هو: أن الإسلام دين التوحيد، والسعادة، والراحة النفسية، والعيشة الهانئة، إذا التزمت به، وطبقت تعاليمه، وهو دين العدل الإلهي.

٣. قال " محمد أسد " - السياسي، والمؤلف النمساوي -: لم يكن هناك شيء بعينه من تعاليم الإسلام هو الذي أخذ بمجامع قلبي، إنه المجموع المتكامل المتناسب والمتماسك من هذه التعاليم الروحية من جانب، والتي ترسم برنامجاً عمليّاً للحياة من الجانب الآخر.

٤ . قالت الفرنسية المهتدية " سيلفي فوزي: لقد وجدت في الإسلام منهاج حياة يجيب عن كل التساؤلات، وينظم للإنسان حياته وفق ما ينفعه، ويتناسب مع فطرته، ملبسه، ومأكله، وعمله، ونظام زواجه، اختياراته في الحياة، علاقاته بالآخرين، ومن ثم فلا عجب أن من يلتزم بالإسلام يستشعر الاطمئنان، والأمان النفسي، الذي هو في رأيي أهم العناصر لاستمرار الحياة.

٥. قالت أم عبد الملك – الأمريكية المسلمة -: أذهلني الإسلام الذي رفع من مقدار الوالدين.

٦. قال الشيخ محمد بن إبراهيم -: -: إن أَحد فلاسفة الهنود درس تاريخ الأَديان كلها، وبحث فيها بحثَ مستقلٍّ منصفٍ، وأَطال البحث في النصرانية؛ لما للدول المنسوبة إليها من الملك، وسعة السلطان، والتبريز في الفنون، والصناعات، ثم نظر في الإسلام، فعرف أَنه الدين الحق، فأَسلم، وأَلف كتاباً باللغة الإنجليزية سماه " لماذا أَسلمت "، بيَّن فيه ما ظهر له من مزايا الإسلام على جميع الأَديان، وكان أَهمها عنده: أَن الإسلام هو الدين الوحيد الذي له تاريخ صحيح محفوظ، فالآخذ به يعلم أَنه هو الدين الذي جاء به محمد بن عبد الله، النبي الأمي العربي، المدفون في المدينة المنورة من بلاد العرب، وقد كان من مثار العجب عنده أَن ترضى أُوربا لنفسها دينًا ترفع من تنسبه إليه عن مرتبة البشر، فتجعله إلهاً وهي لا تعرف من تاريخه شيئًا يعتد به، فإن هذه الأناجيل الأربعة على عدم ثبوت أَصلها، وعدم الثقة بتأْريخها، ومؤلفيها: لا تذكر من تاريخ المسيح إلا وقائع قليلة، حدثت - كما تقول - في أَيام معدودة، ولا يذكر فيها شيء يعتد به عن نشأَة هذا الرجل، وتربيته، وتعليمه، وأَيام صباه، وشبابه، ولله في خلقه شئون.

" فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم " (١ / ٤٨).

٧. قال " يوسف خطَّاب " – المتحول من اليهودية إلى الإسلام – لما سئل لماذا أسلمت -: لأن الإسلام دين التوحيد، قرأت عنه كثيراً، وأخيراً اقتنعت بأنه هو السبيل للجنة.

والكلمات كثيرة، ويجمعها أن الإسلام دين الفطرة، والأمن، والسعادة، والأحكام الحكيمة، والأخلاق الرفيعة، ومن رام المقارنة بين الإسلام وغيره من الأديان

المحرَّفة، أو الأنظمة والقوانين البشرية: فسيتبين له بجلاء أوجه الاختلاف، وأنه ليس ثمة مجال للمقارنة أصلاً.

٨. وتصف " ميري واتسون " – الأمريكية الحاصلة على ثلاث درجات علمية، وبعضها في علم اللاهوت لحظة تسلل نور الإيمان إلى قلبها فتقول: شعرت في ليلة – وأنا مستلقية على فراشي وكاد النوم يقارب جفوني – بشيء غريب استقر في قلبي، فاعتدلت من فوري، وقلت: يا رب أنا مؤمنة بك وحدك، ونطقت بالشهادة، وشعرت بعدها باطمئنان، وراحة تعم كل بدني، والحمد لله على الإسلام، ولم أندم أبداً على هذا اليوم الذي يعتبر يوم ميلادي.

انتهى

ونصحك – أختنا الفاضلة – بقراءة كتاب: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للشيخ أبي الحسن الندوي، وكتاب: الإسلام على مفترق الطرق، والطريق إلى الإسلام، وهما للأستاذ محمد أسد، والثلاثة متوفرة باللغة الإنجليزية.

كما ننصحك بقراءة قصص واقعية لمن اهتدوا إلى الطريق المستقيم، وأسلموا لله تعالى، وفيها بيان: كيف اهتدوا، وما هي خطواتهم الأولى نحو الهداية، وذلك تحت هذا الرابط:

http://www.themwl.com/AlDaawa/default.aspx?ct=1&cid=7&l=AR

ونسأل الله لك الثبات على الحق، والتوفيق للعلم النافع، والعمل الصالح.

والله الموفق

***

٤٢_ يرتكب المعاصي ويقول: الإيمان في القلب!

السؤال:

بعض الناس يرتكب المحرمات كحلق اللحية وشرب الدخان وإذا نصح بترك ذلك يقول: الإيمان في القلب، وليس الإيمان في تربية اللحية وترك الدخان، ويقول: إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم؟ فكيف نجيب عليه؟

الجواب:

الحمد لله

هذه الكلمة كثيراً ما يقولها بعض الجهال أو المغالطين، وهي كلمة حق يراد بها باطل. لأن قائلها يريد تبرير ما هو عليه من المعاصي؛ لأنه يزعم أنه يكفي الإيمان الذي في القلب عن عمل الطاعات وترك المحرمات، وهذه مغالطة مكشوفة، فإن الإيمان ليس في القلب فقط، بل الإيمان كما عرفه أهل السنة والجماعة: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

قال الإمام الحسن البصري رضي الله عنه: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

وعمل المعاصي وترك الطاعات دليل على أنه ليس في القلب، إيمان أو فيه إيمان ناقص. والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا﴾ آل عمران/ ١٣٠، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة/ ٣٥. ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ المائدة/ ٦٩، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ البقرة/ ٢٧٧، ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ البقرة/ ٦٢، فالإيمان لا يسمى إيماناً كاملاً إلا مع العمل الصالح وترك المعاصي. ويقول الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ العصر/ ١-٣، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ النساء/ ٥٩، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال/ ٢٤، فلا يكفي العمل الظاهر بدون إيمان بالقلب؛ لأن هذه صفة المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار.

ولا يكفي الإيمان بالقلب دون نطق باللسان وعمل بالجوارح؛ لأن هذا مذهب المرجئة من الجهمية وغيرهم، وهو مذهب باطل، بل لا بد من الإيمان بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح، وفعل المعاصي دليل على ضعف الإيمان الذي في القلب ونقصه، لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

"المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان" (١/ ١٩).

وهذا الحديث الذي أشار إليه ذلك المجادل «**ولكن ينظر إلى قلوبكم**» قد جاء في صحيح مسلم (٢٥٦٤) بلفظ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» وهو نص صريح أن إصلاح القلوب وإصلاح الأعمال كلاهما مقصود، يؤمر به الإنسان، فلا يجوز لمسلم أن يقصر في الأعمال أو يرتكب المحرمات، ثم يقول: إن الله ينظر إلى القلوب، بل ينظر إلى القلوب والأعمال، ويحاسب على ما في القلوب والأعمال.

والله أعلم.

***

٤٣_ الحذر من وسوسة الشيطان في ذات الله

السؤال:

منذ أسبوعين وهذا السؤال يراودني، ولم أفلح في الإجابة عليه، ولكن بإذن الله ستكون الإجابة لديكم: ما الدليل على أن الله لا يكذب، أو ما الدليل على أنه صادق دائما، ولم، ولن يكذب أبدا؟ أعرف أنه سؤال غريب، وقد استحييت لفترة من سؤال أحد فيه، ولكن احترت في الإجابة عليه، وأُصبت بنوع من الضيق حتى في أثناء الصلاة.

الجواب:

الحمد لله:

والله ما ندري ـ يا عبد الله ـ من أي أمريك نعجب؛ أمن استرسالك وراء وساوس الشيطان، حتى بلغ بك إلى حافة الهاوية، لتسقط فيها، أو تكاد؟!! أم من استصعابك لهذا السؤال، وعدم قدرتك على الإجابة عنه؟!!

فماذا عرفت من دينك يا عبد الله، إن جهلت هذا؟!!

وماذا تظن بربك، إن كنت تبحث في هذا؟!!

يا عبد الله، لقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لما قال لها مولاها مَسْرُوقٍ: يَا أُمَّتَاهْ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟!!

فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعَرِي مِمَّا قُلْتَ.. !!

وإذا كان شعر أم المؤمنين قد قف، أي: قام من شدة فزعها، لأجل من سألها هذا السؤال: هل رأى محمد ﷺ ربه، يعني: وهو في الدنيا، مع أن المؤمنين يرونه في الجنة، وهو أعظم نعيمهم، لا حرمنا الله منه، فكيف بسؤالك يا عبد الله؟!!

أهذا الحد تركت قلبك فارغا، حتىٰ يتلاعب به الشيطان، وينتهي به ذلك المنتهىٰ؟!!

هل سمعت يا عبد الله بما رواه مسلم في صحيحه (٢٢٦٨) عَنْ جَابِرٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قُطِعَ؟!!

قَالَ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ فَلَا يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ !!».

فإذا كان مثل هذا المنام لعبا من الشيطان، فبالله عليك ماذا كان يجيب النبي ﷺ لو رأىٰ راء في منامه ما رأيت؟ فبالله عليك ماذا كان يقول لو كان ذلك اللعب في اليقظة، لا في المنام؟!!

لقد حُق لك ـ والله ـ أن يطول حياؤك، بل وبكاؤك علىٰ نفسك ـ أن ظفر الشيطان منك بهذا !!

نعم، نفهم أن الشيطان قد يتلاعب بمثل ذلك بالعبد، لكنه لا يسترسل مع وحي الشيطان، ويؤصل له، ويبحث له عن أدلة، وإنما إيمانه الراسخ يدفعه، فالشيطان خبيث، وكيده ضعيف: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾النساء: ٦٧.

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا مَنْ خَلَقَ كَذَا حَتَّىٰ يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ» متفق عليه.

أرأيت كيف كان جواب النبي ﷺ عن هذا السؤال المعضل (!!) للعدو اللعين؟!!

أن يستعيذ بالله من تلك الوساوس، وأن ينتهي عن التفكير فيها، والاسترسال وراءها؛ لأن اللعين لا يحتاج بسؤاله هذا جوابا، وهو يعلم أن سؤاله مغالطة محضة، فالخالق لا يصلح أن يكون له خالق، وإلا كان مخلوقا آخر من المخلوقين !!

وإنما هدفه التشكيك والزعزعة، حتى يظفر بمن يموت وهو على تلك الحال، إن استطاع.

قال الحافظ ابن حجر:، في شرحه للحديث السابق:

قَوْلُهُ: (مَنْ خَلقَ رَبّك فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهَّ وَلْيَنْتَهِ) أَيْ عَنْ الِاسْتِرْسَال مَعَهُ فِي ذَلِكَ ، بَلْ يَلْجَأ إِلَى اللهَّ فِي دَفْعه ، وَيَعْلَم أَنَّهُ يُرِيد إِفْسَاد دِينه وَعَقْله بِهَذِهِ الْوَسْوَسَة ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَجْتَهِد فِي دَفْعهَا بِالِاشْتِغَالِ بِغَيْرِهَا.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَجْه هَذَا الْحَدِيث أَنَّ الشَّيْطَان إِذَا وَسْوَسَ بِذَلِكَ فَاسْتَعَاذَ الشَّخْص بِاللهَّ مِنْهُ وَكَفّ عَنْ مُطَاوَلَته فِي ذَلِكَ اِنْدَفَعَ... فَلَيْسَ لِوَسْوَسَتِهِ اِنْتِهَاء ، بَلْ كُلَّمَا أُلْزِمَ حُجَّة زَاغَ إِلَى غَيْرهَا إِلَى أَنْ يُفْضِيَ بِالْمَرْءِ إِلَى الْحِيرَة ، نَعُوذ بِاللهَّ مِنْ ذَلِكَ... عَلَى أَنَّ قَوْله مَنْ خَلَقَ رَبّك كَلَام مُتَهَافِت يَنْقُض آخِرُهُ أَوَّلَهُ لِأَنَّ الْخَالِق يَسْتَحِيل أَنْ يَكُون مَخْلُوقًا.

وَقَالَ الطِّيبِيُّ: إِنَّمَا أَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ وَالِاشْتِغَال بِأَمْر آخَر وَلَمْ يَأْمُر بِالتَّأَمُّلِ وَالِاحْتِجَاج لِأَنَّ الْعِلْم بِاسْتِغْنَاءِ اللهَّ جَلَّ وَعَلَا عَنْ الْمُوجِد أَمْر ضَرُورِيّ لَا يَقْبَل الْمُنَاظَرَة ، وَلِأَنَّ الِاسْتِرْسَال فِي الْفِكْر فِي ذَلِكَ لَا يَزِيد الْمَرْء إِلَّا حَيْرَة ، وَمَنْ هَذَا حَاله فَلَا عِلَاج لَهُ إِلَّا الْمَلْجَأ إِلَى اللهَّ تَعَالَى وَالِاعْتِصَام بِهِ.

و فِي الْحَدِيث إِشَارَة إِلَى ذَمّ كَثْرَة السُّؤَال عَمَّا لَا يَعْنِي الْمَرْء وَعَمَّا هُوَ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ ، وَفِيهِ عِلْم مِنْ أَعْلَام النُّبُوَّة لِإِخْبَارِهِ بِوُقُوعِ مَا سَيَقَعُ فَوَقَعَ. انتهى كلامه:، مختصرا.

وإذا كان النبي ﷺ، قد أمر بالانتهاء عن تلك الوساوس، وعدم الخوض فيها، فإن المؤمن، إذا غُلب على شيء منها، وألقاها العدو اللعين في صدره؛ فإن إيمانه يُعظم ذلك البلاء، أن يقع شيء منه في صدره.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: (جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ؟!! قَالَ: «وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟!!»قَالُوا: نَعَمْ !! قَالَ:« ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ !!» رواه مسلم (١٣٢).

قال النووي::

مَعْنَاهُ اِسْتِعْظَامُكُمْ الْكَلَام بِهِ هُوَ صَرِيح الْإِيمَان ، فَإِنَّ اِسْتِعْظَام هَذَا وَشِدَّة الْخَوْف مِنْهُ وَمِنْ النُّطْق بِهِ فَضْلًا عَنْ اِعْتِقَاده إِنَّمَا يَكُون لِمَنْ اِسْتَكْمَلَ الْإِيمَان اِسْتِكْمَالًا مُحَقَّقًا وَانْتَفَتْ عَنْهُ الرِّيبَة وَالشُّكُوك.

يا عبد الله: إن الحر من الرجال، ومن له مقام بين الناس، يأنف أن يكذب، أو يُنسب إليه الكذب، وقصة أبي سفيان مع هرقل في هذا مشهورة معروفة، فكيف لو كان هذا الحر الكريم مؤمنا: إن الكذب مجانب للإيمان !!

فكيف لو كان هذا رسول الله ﷺ، إن توهم الظِّنة فيه، وهو الصادق المصدوق، تقشعر له الجلود، وتقِفُّ الرؤوس !!

فكيف..؟!!

يا عبد الله؛ إن أغلب الظن أنك أُتيت من أمرين اثنين، تسلط الشيطان عليك بالوساوس لأجلهما:

فأما أولها: أنك أعرضت عن الانشغال بذكر الرحمن تبارك وتعالى، ومطالعة آياته، والعيش مع ما في كتابه الكريم من أسمائه الحسنى وصفاته العليا، والتعرف على عظمته وجلاله، وجماله وكماله، بما عرفك في كتابه، وفي سنة نبيه ﷺ.

وأما الأمر الثاني، وربما كان عقوبة من الله لك على الأمر الأول، فهو: مصاحبتك لشياطين الإنس، الذين يُظاهرون شياطين الجن، وينصرونهم عليك.

وليس بالضروري من تلك المصاحبة أن يكون صديقا لك، يذهب ويجيء معك؛ بل ربما كانت تلك المصاحبة عن طريق شبكة الإنترنت، حيث يجرك الفضول، أو فراغ القلب إلى الدخول في بعض المنتديات الإلحادية: اللادينيين، فأرسل الواحد منهم سهما من شبهته، فاستقر في فؤادك، فأورثك الداء الذي تشكوه !!

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

عبد الله؛ أقبل على قلبك فأصلحه، وأقبل على ربك فتعرف عليه كما عرفك في كتابه، وأقبل على كتابه فاتله وتدبره، وعليك بذكره فاجعل لسانك رطبا منه، فإنه حصنك:

«وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ.. !!» رواه الترمذي (٢٨٦٣) وصححه الألباني.

والله أعلم.

***

٤٤_هل يقرن بين حمد الله وشكره وشكر الوالدين؟

السؤال:

هل يجوز لي القول: الحمد والشكر لله رب العالمين، والشكر لوالدي، عملا بقوله تعالى: (أن اشكر لي ولوالديك الي المصير)

الجواب:

الحمد للهَّ

بر الوالدين من أعظم القربات، وأولى الطاعات، وهو حق معظم لهما في شريعة الإسلام، حتى قرن الله ﷻ في أكثر من موضع طاعته بطاعتهما، وحقَّه بحقِّهما.

يقول الله ﷻ:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ لقمان/ ١٤

قال القرطبي: في تفسيره (٥/ ١٧١): " قال العلماء: فأحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة له والإذعان من قرن الله الإحسان إليه بعبادته وطاعته وشكره بشكره وهما الوالدان فقال تعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ لقمان: ١٤.

...عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ:« رضى الرب في رضى الوالدين وسخطه في سخط الوالدين»[قال الألباني: حسن لغيره].

والتصريح بشكر الوالدين والاعتراف بفضلهما وقدرهما لا شك أنه داخل في معنى الآية، ولكن لا ينبغي فهم الآية على ذلك فقط، فيظن أن من قال "الشكر لوالدي" قد أدى ما عليه، بل حقيقة الشكر أعظم وأعلى من ذلك، بل المراد بالشكر

ما هو أعم من ذلك؛ أن يقوم العبد بحق ربه عليه بقلبه ولسانه وجوارحه، وهكذا يقوم بحق والديه عليه من ذلك.

قال ابن القيم: في "مدارج السالكين" (٢/ ٢٤٤-٢٤٦):

" والشكر مبني على خمس قواعد:

خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره.

فهذه الخمس: هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فمتى عدم منها واحدة: اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع وعليها يدور.

والشكر يكون: بالقلب خضوعا واستكانة، وباللسان ثناء واعترافا، وبالجوارح طاعة وانقيادا " انتهى.

وفي تفسير هذه الآية، يقول الشيخ السعدي:: " ولما أمر بالقيام بحقه، بترك الشرك الذي من لوازمه القيام بالتوحيد، أمر بالقيام بحق الوالدين فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: عهدنا إليه، وجعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، وهل حفظها أم لا؟ فوصيناه ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ وقلنا له: ﴿اشْكُرْ لِي﴾ بالقيام بعبوديتي، وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمي على معصيتي. ﴿وَلِوَالِدَيْكَ﴾ بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، [وإكرامهما] (٥) وإجلالهما، والقيام بمئونتهما واجتناب الإساءة إليهما من كل وجه، بالقول والفعل.

فوصيناه بهذه الوصية، وأخبرناه أن ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ أي: سترجع أيها الإنسان إلى من وصاك، وكلفك بهذه الحقوق، فيسألك: هل قمت بها، فيثيبك الثواب الجزيل؟ أم ضيعتها، فيعاقبك العقاب الوبيل؟ " انتهى [التفسير ٦٤٨].

فلا حرج على من قرن شكر الله تعالى بشكر الوالدين، وجمع بينهما في مقام واحد، لكن لا ينبغي أن يلتزم ذلك دائما كما يلتزم الذكر الوارد بلفظه عن النبي ﷺ، لعدم وروده عن النبي ﷺ.

والله أعلم.

***

٤٥_ تسلط الشيطان عليه بالشهوات المحرمة، والشبهات الباطلة !!

السؤال:

في رمضان الماضي مارستُ العادة السرية حوالى ٤ أيام في نهار رمضان، وأكلتُ بعدها لتأكدي من فساد صيامي، والأكثر من ذلك أنني أصبحتُ وفي رمضان الحالي أمارسها بعد الإفطار، لا أعرف كيف أصبر في نهار رمضان وأفعلها في ليله، وصرت أسمع الغناء كذلك في رمضان.

كانت تأتيني بعض الوساوس والشبهات التي تدور في ذهني دون أن أسمعها من أحد، ولكنني أتجاهلها؛ ليقيني بأن هذا هو الدين الحق؛ لما قرأت عنه في الإعجاز العلمي ، وأحاديث صدق نبوة الرسول ﷺ، بينما لا توجد بشارات أو إعجاز في الأديان الأخرى، ولم نسمع مطلقاً بذلك إلا في الإسلام ، ولكن دون جدوى، أحياناً أسمع حديثاً ما، وعقلي لايصدقه، ويرفضه، كالحديث الذي يخبر أن الجنة تفتح أبوابها كل يوم إثنين وخميس، فقلت في نفسي كيف ذلك؟! هناك بعض الدول البعيدة عنا والتي تختلف معنا في الأيام، فمثلا اليوم عندنا الإثنين، وفي نيوزيلندا وتلك البلاد قد يكون عندهم الثلاثاء، أعني عدم توافق الزمن، وهكذا ، عقلي أجده يفكر في أشياء وحده من هذا النوع.

آسف جدّاً على الإطالة، إفادتي فيما يجب عليَّ فعله، وجزاكم الله خيراً.

الجواب:

الحمد لله

أولاً:

أما حكم العادة السرية: فالصحيح من أقوال أهل العلم أنها محرمة، لذا فالواجب عليك التوبة والاستغفار من هذه الفعلة، والكف عنها، وعدم الرجوع لفعلها.

ثانياً:

قد اتفق الأئمة الأربعة على أن من فعل ذلك فقد بطل صومه، ووجب عليه القضاء.

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين

في رمضان السابق وأنا صائم وقعت في العادة السرية، فماذا يجب عليَّ؟.

فأجاب فضيلته:

عليك أن تتوب إلى الله من هذه العادة؛ لأنها محرمة على أصح القولين لأهل العلم؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذَالِكَ فَأُوْلَائِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾؛ ولقول النبي ﷺ: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)، فأرشد النبي ﷺ الشباب الذين لا يستطيعون الباءة إلى الصوم، والصوم فيه نوع من المشقة بلا شك، ولو كانت العادة السرية جائزة لأرشد النبي ﷺ إليها؛ لأنها أهون على الشباب؛ ولأن فيها شيئاً من المتعة، وما كان النبي ﷺ يعدل عن الأسهل إلى الأشق لو كان الأسهل جائزاً؛ لأنه كان من عادته ﷺ أنه ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فعدول النبي ﷺ عن الأيسر في هذه المسألة يدل على أنه ليس بجائز.

أما بالنسبة لعمله إياها وهو صائم في رمضان: فإنه يزداد إثماً؛ لأنه بذلك أفسد صومه، فعليه أن يتوب إلى الله توبتين، توبة من عمل العادة السرية، وتوبة لإفساد صومه، وعليه أن يقضي هذا اليوم الذي أفسده.

" فتاوى الشيخ العثيمين " (١٩ / السؤال ١٩١).

ولم يكن لك أن تأكل بعد أن أفسدتَ صيامك بالعادة السرية، وليس لمن أبطل صومه بفعل مباحٍ في الأصل كالجماع، أو فعل محرَّم كالاستمناء أن يأكل ويشرب؛ بل يجب عليه الإمساك بقية يومه، وإن كان إمساكه لا يعدُّ صياماً، وإنما الذي يجوز له الأكل والشرب والجماع هو من أفطر برخصة من الشرع، وبعذر شرعي.

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين

إذا أفطر الإنسان لعذرٍ وزال العذر في نفس النهار فهل يواصل الفطر أم يمسك؟.

فأجاب:

الجواب: أنه لا يلزمه الإمساك؛ لأن هذا الرجل استباح هذا اليوم بدليل من الشرع، فحرمة هذا اليوم غير ثابتة في حق هذا الرجل، ولكن عليه أن يقضيه، وإلزامنا إياه أن يمسك بدون فائدة له شرعاً، ليس بصحيح، ومثال ذلك: رجل رأى غريقاً في الماء، وقال: إن شربت أمكنني إنقاذه، وإن لم أشرب لم أتمكن من إنقاذه، فنقول: اشرب وأنقذه، فإذا شرب وأنقذه فهل يأكل بقية يومه؟ نعم، يأكل بقية يومه؛ لأن هذا الرجل استباح هذا اليوم بمقتضى الشرع، فلا يلزمه الإمساك.

ولهذا لو كان عندنا إنسان مريض، هل نقول لهذا المريض: لا تأكل إلا إذا جعت ولا تشرب إلا إذا عطشت؟ لا؛ لأن هذا المريض أبيح له الفطر، فكلُّ مَن أفطر في رمضان بمقتضى دليل شرعي: فإنه لا يلزمه الإمساك، والعكس بالعكس، لو أن رجلاً أفطر بدون عذر، وجاء يستفتينا: أنا أفطرت وفسد صومي هل يلزمني الإمساك أو لا يلزمني؟ قلنا: يلزمك الإمساك؛ لأنه لا يحل لك أن تفطر، فقد انتهكت حرمة اليوم بدون إذن من الشرع، فنلزمك بالبقاء على الإمساك، وعليك القضاء؛ لأنك أفسدت صوماً واجباً شرعت فيه.

" فتاوى ابن عثيمين " (١٩ / السؤال رقم ٥٧).

ثالثاً:

أما سماعك الغناء: فهو فعل محرَّم

ربعاً:

أما عن الشبهات التي تطرأ على قلبك أخي الفاضل: فاعلم أنها من مكائد الشيطان، واعلم أن مثل هذه الشبهات لا تطرأ على صاحب العلم واليقين، فكن من أهلهما، واحرص على زيادتهما لترى أنه لا مكان للشبهات عند أصحابهما.

واجعل في صحابة نبيك ﷺ خير أسوة لك، فعندما أخبرهم نبيهم ﷺ أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من كل ليلة – كما جاء في الصحيحين – هل استشكلوا ذلك؟ هل قالوا كيف ذلك وهنا ثلث ليل وهناك في أقصى الأرض نهار في الوقت نفسه؟ لم يكن من ذلك شيء؛ لما عندهم من علم بالكتاب والسنَّة، ويقين بصدق نبيهم، وأن ما قاله وحي من ربه تعالى، فماذا فعلوا؟ سارعوا إلى الدعاء والصلاة في ثلث الليل الآخر، وهذا هو المطلوب من كل مسلم، أن يسلِّم بصدق النبي ﷺ، ويستجيب لأوامره، وإلا كان مشابهاً للكفار الذين أنكروا إسراءه لبيت المقدس، ومعراجه للسماء في جزء من الليل، ومن كان مصدِّقاً لما أخبر به النبي ﷺ: كان مشابهاً للصدِّيق أبي بكر رضي الله عنه.

وعندما أخبرهم نبيهم ﷺ أن الدجال يمكث في الأرض أربعين يوماً، يوم كسنَة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وسائر أيامه كأيامكم – كما رواه مسلم –، فماذا فعل الصحابة رضي الله عنهم؟ هل توقفوا؟ هل استشكلوا؟ هل ردوا الخبر؟ كل ذلك لم يكن، وإنما سألوا عن صلاتهم في اليوم الذي يكون كسنَة !! وهذا هو موقف أهل العلم واليقين من الأخبار الصادقة عن النبي ﷺ.

وما ذكرته من أن الجنة تفتح أبوابها يوم الاثنين والخميس: هو حديث صحيح، رواه مسلم وغيره، فهل علمتَ ماذا حوىٰ من علم وتوجيه للمسلمين؟ اقرأ الحديث وتمعن فيه جيداً:

روىٰ مسلم في صحيحه (٢٥٦٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهَّ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا».

انظر في الحديث وما حوىٰ من عظم الشرك وخطره، وانظر إلىٰ عظم القطيعة والشحناء بين المسلمين، ثم انظر لنفسك تترك ذلك كله لتستشكل ما استشكلت، وليس الأمر عجزاً عن الرد، بل هو لتأصيل موقف المسلم من صحيح السنَّة، وموقفه مما يطرأ علىٰ قلبه من الشبهات، ومعرفة سبب ذلك، وكيف يدفعه.

واعلم أنك لو تراجع نفسك في اعتقادك بربك تعالىٰ فإنك ستجد نفسك تؤمن بما هو أعظم وأعلىٰ من ذلك بكثير، فأنت تؤمن أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور لكل خلقه في اللحظة نفسها، وأنت تؤمن أن الله تعالىٰ يسمع كلام خلقه علىٰ اختلاف لغاتهم في اللحظة نفسها، فأين هذا مما يجيء به الشيطان للمسلم من استعظامه لبعض صفات الرب تعالىٰ، أو لبعض الأحكام؟!.

وقد رأينا للإمام ابن القيم كلاماً متيناً حول هذا الموضوع بعينه، نرجو أن يكون كافياً لكل أحدٍ يقرؤه في قطع كل شبهة ترد علىٰ القلب مما ليس أساس من العلم، وفي كلامه: بيان أسباب ورود الشبهات، وطريقة دفعها.

قال ابن القيم

وقوله – أي: علي بن أبي طالب ﵁ – " ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة ": هذا لضعف علمه، وقلة بصيرته، إذا وردت علىٰ قلبه أدنىٰ شبهة:

قدحت فيه الشك والريب، بخلاف الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبَه بعدد أمواج البحر ما أزالت يقينه، ولا قدحت فيه شكّاً لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه: ردها حَرَسُ العلم، وجيشه، مغلولةً، مغلوبةً، والشبهة وارد يرد على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له، فمتى باشر القلب حقيقة العلم: لم تؤثر تلك الشبهة فيه، بل يقوى علمه ويقينه بردها ومعرفة بطلانها، ومتى لم يباشر حقيقة العلم بالحق قلبه: قدحت فيه الشك بأول وهلة، فإن تداركها وإلا تتابعت على قلبه أمثالها حتى يصير شاكّاً مرتاباً، والقلب يتوارده جيشان من الباطل: جيش شهوات الغي، وجيش شبهات الباطل، فأيما قلب صغا إليها، وركن إليها: تشرَّبها، وامتلأ بها، فينضح لسانه وجوارحه بموجبها، فإن أُشرب شبهات الباطل تفجرت على لسانه الشكوك والشبهات والإيرادات، فيظن الجاهل أن ذلك لسعة علمه، وإنما ذلك من عدم علمه ويقينه.

وقال لي شيخ الاسلام -أي: ابن تيمية - وقد جعلت أُورد عليه إيراداً بعد إيراد -: لا تجعل قلبَك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها: صار مقرّاً للشبهات، أو كما قال، فما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك.

وإنا سميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها؛ فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس أصحاب حُسن ظاهر، فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس: فيعتقد صحتها، وأما صاحب العلم واليقين: فإنه لا يغتر بذلك، بل يجاوز نظره إلى باطنها، وماتحت لباسها، فينكشف له حقيقتها، ومثال هذا: الدرهم الزائف، فإنه يغتر به الجاهل بالنقد نظراً إلى ما عليه من لباس الفضة، والناقد البصير يجاوز نظره إلى ما وراء ذلك، فيطَّلع على زيفه.

" مفتاح دار السعادة " (١ / ١٣٩، ١٤٠).

ونسأل الله تعالى أن يهديك لما يحب ويرضى، وأن يوفقك لكل خير، وأن يثبت قلبك على الإيمان، وأن يزيدك هدى وعلماً وتوفيقاً.

٤٦_ أخفى إسلامه ودُفن في مقابر الكفار فهل يكون كافراً؟

السؤال:

لنفرض أن هناك نصرانيّاً قد أسلم ولم يخبر أهله، فبعد فترة توفي، ولكن أهله لا يعرفون أنه قد أسلم فسيصلون عليه في الكنيسة ويدفنونه على الطريقة النصرانية، أريد أن أعرف ما حكم هذا؟ هل يموت على الإسلام أم على الكفر؟.

الجواب:

الحمد لله

اعلم أخي الكريم ـ أولا ـ أن الفقهاء اتفقوا على أنه لا يجوز أن يدفن المسلم في مقابر الكفار، ولا الكافر في مقابر المسلمين، إلا لضرورة [انظر: الموسوعة الفقهية: ٢١/ ٢٠، أحكام المقابر في الشريعة الإسلامية، د عبد الله السحيباني، ص:٢٣١-٢٣٢].

وإذا مات المسلم في بلاد الكفار، فإنه يجب على وليه، أو من علم به من المسلمين، أن ينقله إلى بلاد المسلمين حتى يدفن فيها.

وهذا النقل والتحويل إلى بلاد الإسلام حسب الاستطاعة، فإن تعذر نقله فيدفن في بلاد الكفار، لكن في غير مقابرهم. [انظر: أحكام المقابر ص: ٢٢٥-٢٢٦].

قال شيخ الإسلام:: " وهذا آكد من التمييز بينهم حال الحياة، بلبس الغيار ونحوه؛ فإن مقابر المسلمين فيها الرحمة، ومقابر الكفار فيها العذاب " [الاختيارات ص ٩٤].

ثانيا: الصورة التي سألت عنها، وهي حالة تتكرر لكثير من المسلمين المستضعفين في بلاد الكفر، الذين لا يتمكنون من الهجرة إلى بلد يعلنون فيه إسلامهم، ويأمنون فيه على دينهم وأنفسهم، ولا يستطيعون ـ أيضا ـ إظهار إسلامهم في البلاد التي

يعيشون فيها، إما خشية على أنفسهم من بطش أقربائهم بهم، كما هو الحال في سؤالك، أو لغير ذلك من الأسباب؛ فهؤلاء يبعثون على نياتهم، وحكم في الآخرة حكم ما عندهم من الإيمان والعمل الصالح، وليس حكم الأرض التي ماتوا فيها، أو القبر الذي دفنوا فيه؛ عَنْ جَابِر بنِ عَبْدِ الله قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **«يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»** رواه مسلم (٢٨٧٨)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهَّ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِسْلامِ اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ».

رواه أبو داود (٣٢٠١) وصححه الألباني في "صحيح أبي داود ".

قال الشيخ محمد الصالح العثيمين :

" اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِسْلامِ) الحياة ذكر معها الإسلام، وهو الاستسلام الظاهر، ومع الموت ذكر الإيمان؛ لأن الإيمان أفضل، ومحله القلب، والمدار على ما في القلب عند الموت وفي يوم القيامة "

" شرح رياض الصالحين " (٢ / ١٢٠٠).

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عما يقول بعض الناس: إن لله ملائكة ينقلون من مقابر المسلمين إلى مقابر اليهود والنصارى، وينقلون من مقابر اليهود والنصارى إلى مقابر المسلمين؛ ومقصودهم: أن من ختم بشر في علم الله، وقد مات في الظاهر مسلما، أو كان كتابيا وختم له بخير، فمات مسلما في علم الله، وفي الظاهر مات كافرا، فهؤلاء ينقلون؛ فهل ورد في ذلك خبر أم لا؟ وهل لذلك حجة؟ أم لا؟

فقال:: أما الأجساد فإنها لا تنقل من القبور، لكن نعلم أن بعض من يكون ظاهره الإسلام، ويكون منافقا: إما يهوديا أو نصرانيا أو مرتدا..، فمن كان كذلك فإنه يكون يوم القيامة مع نظرائه، كما قال تعالى: (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أي أشباههم ونظراءهم. وقد يكون بعض من مات، وظاهره الكفر، قد آمن بالله قبل أن يغرغر، ولم يكن عنده مؤمن، وكتم عن أهله ذلك؛ إما لأجل ميراث أو لغير ذلك، فيكون مع المؤمنين، وإن كان مقبورا مع الكفار.

وأما الأثر في نقل الملائكة فما سمعت في ذلك أثرا. انتهى من الفتاوى الكبرى (٣/ ٢٧) بتصرف يسير.

والله أعلم.

***

٤٧_ الجواب عن سؤال أهل الإلحاد " هل يستطيع الله أن يخلق صخرة لا يمكنه رفعها؟ "

السؤال:

هذا السؤال قد يُطرح من قبل أحد دعاة التنصير: " هل يستطيع الله أن يخلق صخرة لا يمكنه رفعها؟ " كيف نرد على ذلك؟.

الجواب:

الحمد لله

هذا السؤال – وأمثاله – فيه مغالطة كبيرة، ويحاول كثير من الملحدين أن يستعمله في حواراته مع المسلمين، وهم يريدون الإلزام للمجيب فإن قال: لا يستطيع. قالوا: كيف يكون إلها وهو عاجز عن الخلق؟! وإن قال: يستطيع. قالوا: كيف يكون إلهاً وهو عاجز عن الحمل والرفع لهذه الصخرة؟!

والجواب:

أن هذا السؤال غير صحيح في الأصل، فقدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيلات؛ فكيف يكون إلهاً وهو عاجز عن رفع " صخرتهم " ومن صفات الله تعالى القدرة؟! وهل سيوجد في صفات المخلوقات ما هو أعظم من صفات خالقها؟!

وقد أجاب الأستاذ سعد رستم عن هذا السؤال بجواب علمي رصين ننقله بنصه، إذ قال:

قدرة الله – التي هي بلا شك مطلقة وغير محدودة – إنما تتعلق بالممكنات العقلية لا بالمستحيلات العقلية، فالقدرة مهما كانت مطلقة ولا حدود لها تبقى في دائرة

ممكنات الوجود، ولا تتعلق بالمستحيلات، وليس هذا بتحديد لها، ولتوضيح هذه النقطة نضرب بعض الأمثلة:

نسأل جميع هؤلاء الأساقفة واللاهوتيين: هل يستطيع الله تعالى أن يخلق إلـهاً آخر مثله؟ إن قالوا: نعم. قلنا لهم: هذا المخلوق كيف يكون إلـهاً وهو مخلوق؟ وكيف يكون مثل الله مع أنه حادث في حين أن الله أزلي قديم؟ في الحقيقة إن عبارة " خلق إله " سفسطة وتناقض عقلي لأن الشيء بمجرد أن يُخلَق فهو ليس بإله، فسؤالنا هذا بمثابة سؤالنا هل يستطيع الله تعالى أن يخلق " إلـها غير إله "؟! وبديهي أن الجواب لا بد أن يكون: إن قدرة الله لا تتعلق بذلك؛ لأن كون الشيء إلـهاً وغير إله تناقض عقلي مستحيل الوجود، وقدرة الله لا تتعلق بالمستحيلات.

مثال آخر: نسألهم أيضاً: هل يستطيع الله تعالى أن يخرِج أحداً حقيقة من تحت سلطانه؟

إن أجابوا بالإيجاب حددوا نفوذ الله تعالى وسلطانه، وإن أجابوا بالنفي - وهو الصحيح - وافقونا بأن قدرة الله المطلقة لا تتعلق بالمستحيلات؛ لأنه مستحيل عقلاً أن يخرج أي مخلوق من سلطان ونفوذ خالقه وموجِده.

مثال ثالث: سألني مرة أحد الملحدين فقال: " هل يستطيع ربكم أن يخلق صخرة هائلة تكون من الضخامة بحيث يعجز هو نفسه عن تحريكها "؟ وأضاف متهكِّماً: " إن قلت لي نعم يستطيع: فقد أثبت لربك العجز عن تحريك صخرة، وهذا دليل على أنه ليس بإلهٍ، وإن قلت لي: كلا، لا يستطيع، اعترفت بأنه لا يقدر على كل شيء، و بالتالي فهو ليس بإلهٍ " !.

فأجبت هذا الملحد بكل بساطة: نعم، لا يدخل ضمن قدرة الله أن يخلق صخرة يعجز عن تحريكها؛ لأن كل ما يخلقه الله يقدر على تحريكه، ولكن عدم إمكان تعلق قدرة الله تعالى بخلق مثل هذه الصخرة المفترضة ليس دليلا على عجزه بل - على

العكس تماماً – هو دليل على كمال قدرته ! لأن سؤالك هذا بمثابة من يسأل: هل يستطيع الله تعالى أن يكون عاجزاً عن شيء ممكن عقلا؟ وبديهي أن الإجابة بالنفي لا تفيد تحديد قدرة الله بل تفيد تأكيد كمال قدرته تعالى وتمامها؛ لأن عدم العجز عين القدرة وليس عجزاً، تماماً كما أنه لو قلنا إن الله لا يمكن أن يجهل أو ينسى شيئاً، لا يكون في قولنا هذا إثباتٌ لعجز فيه تعالى أو نقص، بل يكون تأكيداً على كماله تعالى وكلية قدرته وعلمه.

" الأناجيل الأربعة ورسائل بولس ويوحنا تنفي ألوهية المسيح كما ينفيها القرآن "

للأستاذ " سعد رستم "

والله أعلم.

***

٤٨_ الحكمة مِن خَلْق البشر

السؤال:

لما خُلق البشر؟.

الجواب:

الحمد لله

أولاً:

من عظيم صفات الله تعالى " الحكمة "، ومن أعظم أسمائه تعالى " الحكيم "، وينبغي أن يُعلم أنه ما خلق شيئاً عبثاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما يخلق لحِكَمٍ بالغة عظيمة، ومصالح راجحة عميمة، عَلِمَها من عَلِمها، وجَهِلها من جهلها، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه الكريم، فبيَّن أنه لم يخلق البشر عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض عبثاً، فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ. فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ المؤمنون/ ١١٥،١١٦، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ الأنبياء/ ١٦، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ الدخان/ ٣٨، ٣٩، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ* مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ الأحقاف/ ١ – ٣.

وكما أن ثبوت الحكمة في خلق البشر ثابت من ناحية الشرع ، فهو ثابت – أيضاً – من ناحية العقل، فلا يمكن لعاقل إلا أن يسلِّم أنه قد خلقت الأشياء لحكَمٍ،

والإنسان العاقل ينزه نفسه عن فعل أشياء في حياته دون حكمة، فكيف بالله تعالى أحكم الحاكمين؟!

ولذا أثبت المؤمنون العقلاء الحكمة لله تعالى في خلقه، ونفاها الكفار، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل عمران/ ١٩٠، ١٩١، وقال تعالى – في بيان موقف الكفار من حكمة خلقه -: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ص/ ٢٧.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي:

" يخبر تعالى عن تمام حكمته في خلقه السموات والأرض، وأنه لم يخلقهما باطلاً، أي: عبثاً ولعباً، من غير فائدة ولا مصلحة.

(ذلك ظن الذين كفروا) بربهم، حيث ظنوا ما لا يليق بجلاله.

(فويل للذين كفروا من النار) فإنها التي تأخذ الحق منهم، وتبلغ منهم كل مبلغ، وإنما خلق الله السموات والأرض بالحق وللحق، فخلقهما ليعلم العباد كمال علمه وقدرته، وسعة سلطانه، وأنه تعالى وحده المعبود، دون من لم يخلق مثقال ذرة من السموات والأرض، وأن البعث حق، وسيفصل الله بين أهل الخير والشر، ولا يظن الجاهل بحكمة الله، أن يسوي الله بينهما في حكمه، ولهذا قال: (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) هذا غير لائق بحِكمَتنا وحُكْمنا " انتهى.

" تفسير السعدي " (ص ٧١٢).

ثانياً:

ولم يخلق الله تعالىٰ الإنسان ليأكل ويشرب ويتكاثر، فيكون بذلك كالبهائم، وقد كرَّم الله تعالىٰ الإنسان، وفضَّله علىٰ كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً، ولكن أبىٰ أكثر الناس إلا كفوراً فجهلوا أو جحدوا الحكمة الحقيقية من خلقهم، وصار كل هَمِّهم التمتع بشهوات الدنيا ، وحياة هؤلاء كحياة البهائم ، بل هم أضل، قال تعالىٰ:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًىٰ لَهُمْ﴾ محمد/ ١٢، وقال تعالىٰ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الحجر/ ٣ ، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ الأعراف/ ١٧٩ . ومن المعلوم عند عقلاء الناس أن الذي يصنع الشيء هو أدرىٰ بالحكمة منه من غيره، ولله المثل الأعلىٰ فإنه هو الذي خلق البشر، وهو أعلم بالحكمة من خلقه للناس، وهذا لا يجادل فيه أحد في أمور الدنيا، ثم إن الناس كلهم يجزمون أن أعضاءهم خُلقت لحكمة، فهذه العين للنظر، وهذه الأذن للسمع، وهكذا، أفيُعقل أن تكون أعضاؤه مخلوقةً لحكمة، ويكون هو بذاته مخلوقاً عبثاً؟! أو أنه لا يرضى أن يستجيب لمن خلقه عندما يخبره بالحكمة من خلقه؟!

ثالثاً:

وقد بيّن الله تعالىٰ أنه خلق السموات والأرض، والحياة والموت للابتلاء والاختبار، ليبتلي الناس ، مَنْ يطيعه ليثيبه، ومَنْ يعصيه ليعاقبه، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّام وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ هود/ ٧، وقال ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ الملك/ ٢.

وبهذا الابتلاء تظهر آثار أسماء الله تعالى وصفاته، مثل اسم الله تعالى " الرحمن "، و " الغفور " و " الحكيم " و " التوَّاب " و " الرحيم " وغيرها من أسمائه الحسنى.

ومن أعظم الأوامر التي خلق الله البشر من أجلها – وهو من أعظم الابتلاءات – : الأمر بتوحيده سبحانه وتعالى وعبادته وحده لا شريك له، وقد نصَّ الله تعالى على هذه الحكمة في خلق البشر فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات/ ٥٦.

قال ابن كثير:

" أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: إلا ليعبدون، أي: إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً، وهذا اختيار ابن جرير، وقال ابن جريج: إلا ليعرفون، وقال الربيع بن أنس: إلا ليعبدون، أي: إلا للعبادة " انتهى.

" تفسير ابن كثير " (٤ / ٢٣٩).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي:

" فالله تعالى خلق الخلق لعبادته، ومعرفته بأسمائه وصفاته، وأمرهم بذلك، فمن انقاد، وأدى ما أمر به، فهو من المفلحين، ومن أعرض عن ذلك، فأولئك هم الخاسرون، ولا بد أن يجمعهم في دار، يجازيهم فيها على ما أمرهم به ونهاهم، ولهذا ذكر الله تكذيب المشركين بالجزاء، فقال: (ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) أي: ولئن قلتَ لهؤلاء، وأخبرتهم بالبعث بعد الموت، لم يصدقوك، بل كذبوك أشد التكذيب، وقدحوا فيما جئت به، وقالوا: (إن هذا إلا سحر مبين) ألا وهو الحق المبين " انتهى.

" تفسير السعدي " (ص ٣٣٣).

والله أعلم.

٤٩_ تحمّل المسئولية فأصيب بالقلق والاكتئاب

السؤال:

أولاً أنا شاب أبلغ من العمر ٢٠ سنة، أدرس في كلية الطب، توفي والدي في الفترة الأخيرة، وأصبح جُلّ المسؤوليات على عاتقي، علماً بأن لي أخاً أكبر مني لكنه عاجز، أصبت قبل أيام بحالات اضطراب نفسي، وأصبحت أخاف من المرض والموت وتأتيني حالات بأني سأموت اليوم وما شابه ذلك من الأفكار الغريبة، ذهبت إلى دكتور نفسي وقال لي: إنك تعانى من القلق والاكتئاب، أعطاني دواء ولكن لم آخذه.

التزمت - والحمد لله - والتجأت إلى الله ﷻ، والحمد لله أنا الآن أحسن بكثير مع قراء ة القرآن والصلاة في المسجد، سؤالي هو: هل حالتي تتطلب الدواء أو لا؟ وهل هذا من الشيطان أم مرض عضوي؟.

الجواب:

الحمد لله

لا غنى للمؤمن عن ربه ﷻ، فهو ﷻ الذي يجلب النفع ويدفع الضر، فلجوؤك إلى الله ﷻ هو الفعل الصحيح.

الموت حق، وقد كتبه الله تعالى على كل نفسٍ، كما قال y: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) آل عمران/ ١٨٥، ومهما بذل الإنسان من أسباب فإنها لن تدفع عنه قدر الله ﷻ وقضاءه ومنه الموت.

لا ينبغي للخوف أن يصد العبدَ عن الطاعة بل العكس هو الصواب، فالخوف هو الذي يقوده للطاعة ويحثه على العبادة، والخوف – كما يقول ابن قدامة – " سوط الله تعالى يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل، لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى ".

وقد يؤدي الخوف بصاحبه إلىٰ همٍّ وغمٍّ ومرض، وقد يؤدي به إلىٰ اليأس من رحمة الله تعالىٰ، وهنا يكون خوفه غير محمود بل مذموم.

وينبغي أن يُعلم أن كثيراً من الهموم والضغوط النفسية سببها عدم الرضا، فقد لا نحصل علىٰ ما نريد، وحتىٰ لو حصلنا علىٰ ما نريد فقد لا يعطينا ذلك الرضا التام الذي كنا نأمله، فالصورة التي كنا نتخيلها قبل الإنجاز كانت أبهىٰ من الواقع.

وحتىٰ بعد حصولنا علىٰ ما نريد فإننا نظل نعاني من قلق وشدة خوفا من زوال النعم، فلا علاج لهذا إلا بالرضا بقدر الله تعالىٰ والشكر علىٰ نعمه والصبر علىٰ ما يقدره الله تعالىٰ من الشدائد والمصائب

وقد تكون حالتك بحاجة لطبيب، لكن لتعلم أن أكثر أمراض الناس ليست أمراضاً عضوية بل هي نفسية تؤثر علىٰ الأعضاء.

يقول الدكتور الفاريز: لقد اتضح أن أربعة من كل خمسة مرضى ليس لعلتهم أساس عضوي البتة، بل مرضهم ناشئ من الخوف، والقلق، والبغضاء والأثرة المستحكمة، وعجز الشخص عن الملاءمة بين نفسه والحياة ".

فانظر كيف أن بكاء يعقوب عليه السلام علىٰ ابنه يوسف عليه السلام أفقده بصره، وكيف أن الغم بلغ مداه بعائشة رضي الله عنها عندما تطاول عليها أهل الإفك فظلت تبكي حتىٰ قالت: " ظننت أن الحزن فالق كبدي " متفق عليه.

قال الدكتور حسَّان شمسي باشا:

وفي حالات القلق يزداد إفراز مادة في الدم تدعىٰ " الأدرينالين "، فيرتفع ضغط الدم، ويتسرع القلب، ويشكو الإنسان من الخفقان، أو يشعر وكأن شيئا ينسحب إلىٰ الأسفل داخل صدره.

ويظن بقلبه الظنون، ويهرع من طبيب إلىٰ طبيب، وما به من علة في قلبه، ولا مرض في جسده إلا أنه يظل يشكو من ألم في معدته واضطراب في هضمه، أو انتفاخ في بطنه، واضطراب في بوله أو صداع في رأسه. اهـ

انتهىٰ

فعليك بالإيمان والتقوىٰ والمحافظة علىٰ الأذكار والأوراد الشرعيَّة فهي من أعظم أنواع العلاجات لإزالة ما يتكدر به الخاطر، وما تحزن من أجله النفوس.

ومن الأدعية النبوية في هذا الباب:

١. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضَلَع الدين وغلبة الرجال ».

رواه البخاري (٦٠٠٨).

ضَلع الدَّين: غلبته وثقله.

٢. عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « ما أصاب أحداً قط همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي: إلا أذهب الله همَّه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً».

قال: فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: **« بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»**.

رواه أحمد (٣٧٠٤).

والحديث: صححه الشيخ الألباني في " السلسلة الصحيحة " (١٩٩).

٣. عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: « دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت " لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له».

رواه الترمذي (٣٥٠٥).

والحديث: صححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع " (٣٣٨٣).

والله أعلم.

***

٥٠_ معنى الإيمان بالله

السؤال:

قرأت وسمعت كثيراً عن فضائل تحقيق الإيمان بالله تعالىٰ، وأريد منكم أن تفصلوا لي من معنىٰ الإيمان بالله بما يساعدني علىٰ تحقيقه، وعلىٰ البعد عما يخالف منهج نبينا محمد ﷺ ومنهج أصحابه؟.

الجواب:

الحمد لله

الإيمان بالله هو الاعتقاد الجازم بوجوده ﷻ، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور، فمن آمن بها فهو المؤمن حقاً.

الأول: الإيمان بوجود الله تعالىٰ

ووجود الله تعالىٰ قد دل عليه العقل والفطرة، فضلاً عن الأدلة الشرعية الكثيرة التي تدل علىٰ ذلك.

١ ـ أما دلالة الفطرة علىٰ وجوده: فإن كل مخلوق قد فطر علىٰ الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضىٰ هذه الفطرة إلا من طرأ علىٰ قلبه ما يصرفه عنها، ولذلك قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ» رواه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

٢ ـ وأما دلالة العقل علىٰ وجود الله تعالىٰ؛ فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لا بد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن توجِدَ نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

فهي لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يَخلق نفسَه، لأنه قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقاً؟!

ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لا بد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع المحكم، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقائه؟!

وإذا لم يمكن أن تُوجِد هذه المخلوقات نفسَها بنفسها، ولا أن توجَد صدفة، تعين أن يكون لها موجِدٌ وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ الطور / ٣٥.

يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون*أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون*أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون﴾ الطور / ٣٥-٣٧. وكان جبير يومئذ مشركاً قال: (كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي) رواه البخاري في عدة مواضع.

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك:

فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفُرُش والأَسِرّة، وزُيِّن بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهاً من القول، أفيجوز بعد ذلك

أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، البديعُ الباهرُ، المحكَم المتقَنُ قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟!

وقد فهم هذا الدليل العقلي أعرابي يعيش في البادية، وعَبَّر عنها بأسلوبه، فلما سُئِل: بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟!!

ثانياً: الإيمان بربوبيته تعالى

أي: بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب: هو من له الخلق، والملك، والتدبير، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا الله، ولا مدبر للأمور إلا الله، قال الله تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ الأعراف / ٤٥. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ يونس/ ٣١. وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ السجدة / ٥. وقال: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ فاطر/ ١٣.

وتأمل قول الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة / ٤. وفي قراءة متواترة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وإذا جمعت بين القراءتين ظهر معنى بديع، فالملك أبلغ من المالك في السلطة والسيطرة، لكن الملك أحياناً يكون ملكاً بالاسم فقط لا بالتصرف، أي أنه لا يملك شيئاً من الأمر، وحينئذٍ يكون ملكاً ولكنه غير مالك، فإذا اجتمع أن الله تعالى ملكٌ ومالكٌ تم بذلك الأمر، بالملك والتدبير.

الثالث: الإيمان بألوهيته

أي: بأنه الإله الحق لا شريك له.

و(الإله) بمعنى (المألوه) أي: (المعبود) حباً وتعظيماً، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله) أي: لا معبودَ حقٌّ إلا الله. قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة / ١٦٣. وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران / ١٨.

وكل ما اتخذ إلهاً مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَّ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ الحج / ٦٢.

وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية. قال الله تعالى في (اللات والعزى ومناة): ﴿إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُّ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ النجم/ ٢٣.

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال لصاحبي السجن: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُّ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُّ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ يوسف / ٤٠.

فلا يستحق أحد أن يعبد، ويفرد بالعبادة إلا الله سبحانه وتعالى ، لا يشاركه في هذا الحق أحدٌ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولهذا كانت دعوة الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم هي الدعوة إلى قول (لا إله إلا الله) قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ الأنبياء / ٣٥. وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَّ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل/ ٣٦.

ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم ويستغيثون.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته

أي: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به سبحانه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف / ١٨٠.

فهذه الآية دليل على إثبات الأسماء الحسنى لله تعالى. وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الروم / ٢٧. وهذه الآية دليل على إثبات صفات الكمال لله تعالى، لأن (المثل الأعلى) أي: الوصف الأكمل. فالآيتان تثبتان الأسماء الحسنى والصفات العلى لله تعالى على سبيل العموم. وأما تفصيل ذلك في الكتاب والسنة فكثير.

وهذا الباب من أبواب العلم، أعني: أسماء الله تعالى وصفاته من أكثر الأبواب التي حصل فيها النـزاع والشقاق بين أفراد الأمة، فقد اختلفت الأمة في أسماء الله تعالى وصفاته فرقاً شتى.

وموقفنا من هذا الاختلاف هو ما أمر الله به في قوله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ النساء / ٥٩.

فنحن نرد هذا التنازع إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ مسترشدين في ذلك بفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهذه الآيات والأحاديث، فإنهم أعلم الأمة بمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ. ولقد صدق عبد الله بن مسعود وهو يصف أصحاب النبي ﷺ فقال: (من كان منكم مستنا، فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبر هذه الأمة قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لإقامة دينه، وصحبة نبيه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

وكل من حاد عن طريق السلف في هذا الباب فقد أخطأ وضل واتبع غير سبيل المؤمنين واستحق الوعيد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ النساء / ١١٥.

والله تعالى قد اشترط للهداية أن يكون الإيمان بمثل ما آمن به أصحاب النبي ﷺ وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ البقرة / ١٣٧.

فكل من بَعُدَ وحاد عن طريق السلف فقد نقص من هدايته بمقدار بعده عن طريق السلف.

وعلى هذا فالواجب في هذا الباب إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وإجراء نصوص الكتاب والسنة على ظاهرها، والإيمان بها كما آمن أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم، الذين هم أفضل هذه الأمة وأعلمها.

ولكن يجب أن يعلم أن هناك أربعة محاذير من وقع في واحد منها لم يحقق الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته كما يجب، ولا يصح الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته إلا بانتفاء هذه المحاذير الأربعة وهي: التحريف، والتعطيل، والتمثيل، والتكييف.

ولذلك قلنا في معنى الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته هو (إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل).

وهذا هو بيان هذه المحاذير الأربعة باختصار:

١- التحريف:

والمراد به تغيير معنى نصوص الكتاب والسنة من المعنى الحق الذي دلت عليه، والذي هو إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى لله تعالى إلى معنى آخر لم يرده الله تعالى ورسوله ﷺ.

مثال ذلك:

تحريفهم معنى صفة اليد الثابتة لله تعالى والواردة في كثير من النصوص بأن معناها النعمة أو القدرة.

٢- التعطيل:

والمراد بالتعطيل نفي الأسماء الحسنى والصفات العلى أو بعضها عن الله تعالى.

فكل من نفى عن الله تعالى اسماً من أسمائه أو صفة من صفاته مما ثبت في الكتاب أو السنة فإنه لم يؤمن بأسماء الله تعالى وصفاته إيماناً صحيحاً.

٣- التمثيل:

وهو تمثيل صفة الله تعالى بصفة المخلوق، فيقال مثلاً: إن يد الله مثل يد المخلوق. أو إن الله تعالى يسمع مثل سمع المخلوق. أو إن الله تعالى استوى على العرش مثل استواء الإنسان على الكرسي... وهكذا.

ولا شك أن تمثيل صفات الله تعالى بصفات خلقه منكر وباطل، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى / ١١.

٤- التكييف:

وهو تحديد الكيفية والحقيقة التي عليها صفات الله تعالى، فيحاول الإنسان تقديراً بقلبه، أو قولاً بلسانه أن يحدد كيفية صفة الله تعالى.

وهذا باطل قطعاً، ولا يمكن للبشر العلم به، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ طـه / ١١٠.

فمن استكمل هذه الأمور الأربعة فقد آمن بالله تعالىٰ إيماناً صحيحاً.

نسأل الله تعالىٰ أن يثبتنا علىٰ الإيمان يتوفانا عليه.

والله تعالىٰ أعلم.

انظر: رسالة شرح أصول الإيمان للشيخ ابن عثيمين.

***

٥١_رحمة الله بعباده

السؤال:

الله رحيم جداً، فقد سمعت بأن الله يحبنا أكثر من محبة ٧٠ أم لطفلها، هل هذا صحيح؟ أرجو الشرح.

الجواب:

الحمد لله

الله ﷻ هو الرحمن الرحيم وهو أرحم الراحمين الذي وسعت رحمته كل شيء، قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ الأعراف / ١٥٦

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة» مسلم / ٦٩٠٨.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (قدم على رسول الله ﷺ بسبي، فإذا امرأة من السبي تبتغي، إذا وجدت صبيا في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟»، قلنا: لا، والله ! وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ « لله أرحم بعباده من هذه بولدها»متفق عليه، البخاري (٥٦٥٣) ومسلم (٦٩١٢١).

ومن رحمة الله بعباده إرسال الرسل وإنزال الكتب والشرائع لتستقيم حياتهم على سنن الرشاد بعيدا عن الضنك والعسر والضيق ، قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾الأنبياء / ١٠٧

ورحمته تعالى هي التي تدخل عباده المؤمنين الجنة يوم القيامة ولن يدخل أحد الجنة بعمله كما قال عليه الصلاة والسلام: «لن يُدخل أحداً عمله الجنة». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت،: إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب» رواه البخاري (٥٣٤٩) ومسلم (٧٠٤٢).

وعلى المؤمن أن يبقى بين رجاء رحمة الله والخوف من عقابه، فهو القائل: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم، وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ الحجر / ٤٩-٥٠.

وأما قولك " بأن الله يحبنا أكثر من محبة سبعين أم لطفلها " فالله أعلم بذلك، ويكفينا أنّ نعلم بأن رحمة الله وسعت كل شيء، فاللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

٥٢_ تقلقه الوساوس والخطرات ويريد أن يخشع في صلاته

السؤال:

عندما أصلي أو أنوي فعل أمر طيب تخطر لي أفكار شيطانية. عندما أركز في الصلاة وأحاول أن أركز على معاني الكلمات تدخل الأفكار الشيطانية إلى عقلي وتكون لي اقتراحات سيئة عن كل شيء بما في ذلك الله. أشعر بالغضب من أجل ذلك. أعلم أنه لا أحد يقبل التوبة إلا الله وحده، ولكن بسبب أفكاري أشعر أنه لا يوجد أسوأ من أن يخطر ببالي أفكار سيئة عن الله. أسأل الله المغفرة بعد الصلاة ولكني أشعر بالضيق لأني أريد أن أوقف هذه الأفكار السيئة ولكني لا أستطيع. هذه الأفكار تفقدني التمتع بالصلاة وتشعرني بأني مشؤوم. أرجو منكم نصحي.

الجواب:

الحمد لله

الوساوس السيئة في الصلاة وغيرها من الشيطان، وهو حريص على إضلال المسلم، وحرمانه من الخير وإبعاده عنه، وقد اشتكى أحد الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الوسواس في الصلاة فقال: إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا قَالَ فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللَّهُ عَنِّي " رواه مسلم (٢٢٠٣)

والخشوع في الصلاة هو لبها، فصلاة بلا خشوع كجسد بلا روح، وإن مما يعين على الخشوع " شيئان:

الأول: اجتهاد العبد في أن يعقل ما يقوله ويفعله، وتدبر القراءة والذكر والدعاء، واستحضار أنه مناجٍ لله تعالى كأنه يراه، فإن المصلي إذا كان قائماً فإنما يناجي ربه،

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ثم كلما ذاق العبد حلاوة الصلاة كان انجذابه إليها أوكد، وهذا يكون بحسب قوة الإيمان – والأسباب المقوية للإيمان كثيرة – ولهذا كان النبي ﷺ يقول: " حبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة ". وفي حديث آخر أنه قال: " أرحنا يا بلال بالصلاة " ولم يقل أرحنا منها.

الثاني: الاجتهاد في دفع ما يُشغل القلب من تفكر الإنسان فيما لا يعنيه، وتدبر الجواذب التي تجذب القلب عن مقصود الصلاة، وهذا في كل عبدٍ بحسبه، فإن كثرة الوسواس بحسب كثرة الشبهات والشهوات، وتعلق القلب بالمحبوبات التي ينصرف القلب إلى طلبها، والمكروهات التي ينصرف القلب إلى دفعها ". انتهى من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢/ ٦٠٥).

وأما ما ذكرته من أن الوساوس بلغت بك مبلغاً عظيماً بحيث أصبحتَ توسوس في ذات الله بما لا يليق بالله، فإن هذا من نزغات الشيطان، وقد قال الله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ فصلت / ٣٦.

وقد اشتكى بعض الصحابة من الوساوس التي تنغص عليهم، فجَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلُوهُ إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ قَالَ وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ قَالُوا نَعَمْ قَالَ ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ " رواه مسلم (١٣٢) من حديث أبي هريرة.

قال النووي في شرح هذا الحديث: " قوله ﷺ: (ذَلِكَ صَرِيح الإِيمَان) مَعْنَاهُ اِسْتِعْظَامُكُمْ الْكَلام (بهذه الوساوس) هُوَ صَرِيح الإِيمَان ، فَإِنَّ اِسْتِعْظَام هَذَا وَشِدَّة الْخَوْف مِنْهُ وَمِنْ النُّطْق بِهِ فَضْلا عَنْ اِعْتِقَاده إِنَّمَا يَكُون لِمَنْ اِسْتَكْمَلَ الإِيمَان اِسْتِكْمَالا مُحَقَّقًا وَانْتَفَتْ عَنْهُ الرِّيبَة وَالشُّكُوك.

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أَنَّ الشَّيْطَان إِنَّمَا يُوَسْوِس لِمَنْ أَيِسَ مِنْ إِغْوَائِهِ فَيُنَكِّد عَلَيْهِ بِالْوَسْوَسَةِ لِعَجْزِهِ عَنْ إِغْوَائِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِر فَإِنَّهُ يَأْتِيه مِنْ حَيْثُ شَاءَ وَلا يَقْتَصِر فِي حَقّه عَلَى الْوَسْوَسَة بَلْ يَتَلاعَب بِهِ كَيْف أَرَادَ. فَعَلَى هَذَا مَعْنَى الْحَدِيث: سَبَب الْوَسْوَسَة مَحْض الإِيمَان ، أَوْ الْوَسْوَسَة عَلامَة مَحْض الإِيمَان " انتهى

إذاً " فكراهة ذلك وبغضه، وفرار القلب منه، هو صريح الإيمان... والوسواس يعرض لكل من توجه إلى الله تعالى بذكر أو غيره، لابد له من ذلك، فينبغي للعبد أن يثبت ويصبر، ويلازم ما هو فيه من الذكر والصلاة، ولا يضجر فإنه بملازمة ذلك ينصرف عنه كيد الشيطان {إن كيد الشيطان كان ضعيفاً}، كلما أراد العبد توجهاً إلى الله تعالى بقلبه جاء من الوسواس أمور أُخرى، فإن الشيطان بمنزلة قاطع الطريق، كلما أراد العبد السير إلى الله تعالى أراد قطع الطريق عليه، ولهذا قيل لبعض السلف: إن اليهود والنصارى يقولون: لا نوسوس، فقال: صدقوا، وما يصنع الشيطان بالبيت الخراب " انتهى من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢/ ٦٠٨)

* العلاج..

١- إذا شعرت بهذه الوساوس فقل آمنت بالله ورسوله، فعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَكَ فَيَقُولُ اللَّهُ فَيَقُولُ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقْرَأْ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ عَنْهُ " رواه أحمد (٢٥٦٧١) وحسنه الألباني في الصحيحة ١١٦

٢- محاولة الإعراض عن التفكير في ذلك بقدر الإمكان والاشتغال بما يلهيك عنه.

وختاماً نوصيك بلزوم اللجوء إلى الله في كل حال، وطلب العون منه، والتبتل إليه، وسؤاله الثبات حتى الممات، وأن يختم لك بالصالحات.. والله أعلم.

***

٥٣_ حكم إطلاق لفظة نحن أبناء الله

السؤال:

ما حكم من قال من المسلمين "نحن نؤمن أن كلنا أبناء الله" مستشهداً بالحديث الضعيف " الخلق كلهم عيال الله ".؟.

الجواب:

الحمد لله

فالحديث المذكور رواه البزار وأبو يعلى من حديث أنس، ولفظه: " الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله". وهو حديث ضعيف جدا كما قال الألباني في ضعيف الجامع (حديث رقم ٢٩٤٦).

ومن قال من المسلمين: نحن نؤمن بأننا جميعا أبناء الله، وجب أن يُستفصل عن مراده قبل أن يُحكم عليه:

١- فإن أراد بالبنوة المعنى المجازي، وهو كون الناس محتاجين مفتقرين إلى الله تعالى، واستعمل هذه العبارة في غرض مشروع كالرد على النصارى القائلين بأن المسيح ابن الله، فلا حرج عليه في إلزامه النصارى بهذا لإبطال عقيدتهم - مع عدم التسليم باستعماله مع غيرهم لما يورثه من لبس ومعانٍ باطلة – وذلك لأن من وسائل إبطال اعتقاد النصارى في عيسى عليه السلام إيقافهم على عبارات وردت في كتابهم المقدس تثبت البنوة لغير عيسى بما يدل بصورة واضحة على أن معنى النبوة في كل نصوص الإنجيل ليس المراد به البنوة الحقيقة التي زعموها لعيسى بما أدخله القسيس بولس لحرفهم عن عقيدة التوحيد، معتمداً على اللبس الذي توحيه كلمة (الأب) و (الابن) ومن هذه النصوص التي ترد عليهم ما جاء في إنجيل لوقا (٢٠/ ٣٦) قال

عيسىٰ عن المؤمنين به (هم مثل الملائكة، لا يموتون، وهم أبناء الله لأنهم أبناء القيامة).

وكما في سفر أشعيا (٤٣/ ٦) (ائت ببني من بعيد وبناتي من أقصىٰ الأرض).

وكما في إنجيل يوحنا (١/ ١٢) (وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنين باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله).

وهكذا ما جاء في وصف الله بالأب، كما في إنجيل متىٰ (٦/ ١) من كلام المسيح لتلاميذه (وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات).

وفي إنجيل لوقا (١١/ ٢) (متىٰ صليتم فقولوا: أبانا الذي في السموات).

وفي إنجيل يوحنا (٢٠/ ١٧) (إني أصعد إلىٰ أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم).

فالنصارىٰ لا يقولون بأن الملائكة وبني إسرائيل والحواريين أبناء الله حقيقة، كما لا يقولون بأن الله أب لهؤلاء حقيقة، وإنما يحملون ذلك علىٰ المعنىٰ المجازي، أي أب لهم في النعمة والإحسان والحفظ والرعاية، وهم أبناؤه في العبادة والحاجة والافتقار.

وبهذا يبطل استدلالهم علىٰ بنوة عيسىٰ لله بكونه وصف في الإنجيل بأنه ابن الله.

٢- وإن أراد أن الناس جميعا أبناء الله كبنوة المسيح لله، علىٰ نحو ما يعتقده النصارىٰ، فهذا كفر فوق كفر النصارىٰ.

٣- وإن أراد أن الجميع أبناء الله أو عياله فلا فرق بين المسلم والكافر، وأراد بذلك عدم تكفير اليهود والنصارىٰ وعباد الأوثان، فهذه ردة منه عن الإسلام؛ فإن من شك في كفر اليهود والنصارىٰ أو صحح مذهبهم كفر إجماعاً.

٤- وإن أراد من ذلك تسويغ إطلاق لفظ " الأخ " على اليهودي والنصراني لأن الجميع عيال الله، فهذا باطل، فإنه لا أخوة بين المؤمنين والكافرين، والحديث لم يصح، ولو صح لما كان فيه مستند لهذا الإطلاق.

وينبغي الحذر من إطلاق الألفاظ الموهمة، التي قد توقع الإنسان في المحظور، وتدعو إلى إساءة الظن به لاسيما ما يتعلق منها بتوحيد الله تعالى، وإفراده في أسمائه وصفاته إذ حق الله تعالى هو أولى ما يراعى ويجنب ما يخدشه، لاسيما وأن هذه اللفظة قد استعملها اليهود وساقها الله تعالى في القرآن عنهم في سياق الذم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ ٱللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ المائدة / ١٨

والله أعلم.

***

٥٤_ الأدلة على وجود الله، والحكمة من خلقه للعباد

السؤال:

سألني صديقي وهو على غير الإسلام أن أثبت له وجود الله، ولماذا وهبنا الحياة، وما هو المقصود من وراء ذلك. لكن إجابتي لم تقنعه، فأرجو أن تخبرني بالأمور التي يجب علي إخباره بها

الجواب:

الحمد لله

أيها الأخ المسلم.. إنّ ما قمت به من الدعوة إلى الله ومحاولة إيضاح حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى وهو أمر يجلب السرور حقاً، إن معرفة الله تتفق مع الفطر السليمة والعقول المستقيمة ، وكم هم أولئك الذين إذا ظهرت لهم الحقيقة سرعان ما يسلم أحدهم ، فلو أن كل واحد منا قام بواجبه تجاه دينه لحصل خير كثير ، فهنيئاً لك أيها الأخ المسلم أن تقوم بمهمة الأنبياء والمرسلين، وبشراك بما أنت موعود به من الأجر العظيم الذي جاء على لسان نبيك ﷺ حيث يقول (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) رواه البخاري٣/ ١٣٤ ومسلم ٤/ ١٨٧٢، و(حمر النعم) هي الإبل الحمراء وهي أحسن أنواع الإبل.

ثانياً:

وأما عن أدلة وجود الله فهي واضحة لمن تأملها ولا تحتاج لكثرة بحث وطول نظر، وعند التأمل نجد أنها تنقسم إلى ثلاثة أنواع: الأدلة الفطرية، والأدلة الحسية، والأدلة الشرعية، وسوف تتضح لك بإذن الله تعالى.

أولاً:

الأدلة الفطرية:

قال الشيخ ابن عثيمين:

دلالة الفطرة على وجود الله أقوى من كل دليل لمن لم تجتله الشياطين، ولهذا قال الله تعالى ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾ الروم/ ٣٠، بعد قوله: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾ فالفطرة السليمة تشهد بوجود الله ولا يمكن أن يعدل عن هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين، ومن اجتالته الشياطين فقد يمنع هذا الدليل. انتهى من شرح السفارينية

فإن كل إنسان يحسّ من تلقاء نفسه أنّ له رباً وخالقاً ويشعر بالحاجة إليه وإذا وقع في ورطة عظيمة اتجهت يداه وعيناه وقلبه إلى السماء يطلب الغوث من ربه.

الأدلة الحسية:

وجود الحوادث الكونية، وذلك أن العالم من حولنا لابد وأن تحصل فيه حوادث فمن أول تلك الحوادث حادثة الخلق، خلق الأشياء، كل الأشياء من شجر وحجر وبشر وأرض وسماء وبحار وأنهار......

فإن قيل هذه الحوادث وغيرها كثير من الذي أوجدها وقام عليها؟

فالجواب إما أن تكون وجدت هكذا صدفة من غير سبب يدعو لذلك فيكون حينها لا أحد يعلم كيف وجدت هذه الأشياء هذا احتمال، وهناك احتمال آخر وهو أن تكون هذه الأشياء أوجدت نفسها وقامت بشؤونها ، وهناك احتمال ثالث و هو أن لها موجداً أوجدها وخالقاً خلقها، وعند النظر في هذه الاحتمالات الثلاث نجد أنه يتعذر ويستحيل الأول والثاني فإذا تعذر الأول والثاني لزم أن يكون الثالث هو الصحيح الواضح وهو أن لها خالقاً خلقها وهو الله، وهذا ما جاء ذكره في القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾ الطور/ ٣٥

ثم هذه المخلوقات العظيمة منذ متى وهي موجودة؟ كل هذه السنين من الذي كتب لها البقاء في هذه الدنيا وأمدها بأسباب البقاء؟

الجواب هو الله، أعطى كل شيء ما يصلحه ويؤمن بقاءه، ألا ترى ذلك النبات الأخضر الجميل إذا قطع الله عنه الماء هل يمكن أن يعيش؟ كلا بل يكون حطاماً يابساً وكل شئ إذا تأملته وجدته متعلقاً بالله، فلولا الله ما بقيت الأشياء.

ثم إصلاح الله لهذه الأشياء، كل شيء لما يناسبه؛ فالإبل مثلاً للركوب، قال الله تعالى: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون* وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون﴾ يس/ ٧٢ انظر إلى الإبل كيف خلقها الله قوية مستوية الظهر لكي تكون مهيئة للركوب وتحمل المشاق الصعبة التي لا يتحمله من الحيوانات غيرها.

وهكذا إذا قلبت طرفك في المخلوقات وجدتها متناسبة مع ما خلقت من أجله فسبحان الله تعالى.

ومن أمثلة الأدلة الحسية:

النوازل التي تنزل لأسباب دالة على وجود الخالق مثل دعاء الله ثم استجابة الله للدعاء دليل على وجود الله قال الشيخ ابن عثيمين: لما دعا النبي ﷺ أن يغيث الخلق، قال اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، ثم نشأ السحاب، وأمطر قبل أن ينزل من المنبر، هذا يدل على وجود الخالق. انتهى من شرح السفارينية

الأدلة الشرعية:

وجود الشرائع ، قال الشيخ ابن عثيمين:

جميع الشرائع دالة على وجود الخالق وعلى كمال علمه وحكمته ورحمته لأن هذه الشرائع لابد لها من مشرع والمشرع هو الله سبحانه وتعالى. انتهى من شرح السفارينية

وأما سؤالك، لماذا خلقنا الله؟

فالجواب من أجل عبادته وشكره وذكره، والقيام بما أمرنا به سبحانه، وأنت تعلم أن الخلق فيهم الكافر وفيهم المسلم ، وهذا لأن الله أراد أن يختبر العباد ويبتليهم هل يعبدونها من يعبدون غيره، وذلك بعد أن أوضح الله السبيل لكل أحد، قال الله تعالى ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ تبارك/ ٢ وقال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ الذاريات/ ٥٦

نسأل الله أن يوفقنا وإياك لما يحب ويرضى، والمزيد المزيد من الدعوة والعمل للدين وصلى الله على النبي ﷺ.

***

٥٥_ القرآن مُنَزَّل من الله تعالى غير مخلوق

السؤال:

هل لكم أن تخبرونا عن كتاب بالإنجليزية يتكلم على أن القرآن ليس مخلوقاً وما يجب أن نعتقده كمسلمين؟.

الجواب:

الحمد لله

الذي يجب علينا أن نَعْتَقِده نحن المسلمين، هو ما جاءنا من الله سبحانه وتعالى، وما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أَخْبَرنا الله سبحانه وتعالى أنه يتكلم قال تعالى: ﴿ومن أَصْدَق من الله حديثا﴾ النساء/ ٨٧ وقال تعالى: ﴿ومن أَصْدَق من الله قِيلاً﴾ النساء / ١٢٢.

ففي هاتين الآيتين إثبات أن الله يَتَكَلَّم، وأنّ كلامَه صِدْقٌ، وحَقٌّ، ليس فيه كَذِبٌ بِوَجْهٍ من الوجوه.

وقال تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ المائدة / ١٦٦ ففي هذه الآية أن الله يقول، وأن قوله مَسْمُوع فيكون بصوت، وأن قوله كَلِمات وجمل، والدليل على أنه بحرف قول الله تعالى: ﴿يا موسى إني أنا ربُّك﴾ طه/ ١١-١٢ فإن هذه الكلمات حروف وهي من كلام الله. والدليل على أنه بصوت قوله تعالى: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقرَّبناه نجياً﴾ مريم/ ٥٢، والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت.

انظر شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص ٧٣.

ولهذا كانت عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله يتكلم بكلام حقيقي متى وكيف شاء بما شاء بحرف وصوت لا يُماثِل أصوات المخلوقين، والدليل على أنه لا يُماثِل أَصْوَاتَ المَخْلُوقين، قوله تعالى: (ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهو السَمِيعُ البَصِير)

الشورى/ ١١، فَعُرِفَ ابْتِداءً أن هذه العقيدة هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وأهل السنة والجماعة يَعْتَقِدون أن القرآن كلام الله، ومن الأدلة على هذا الاعتقاد قول الله تعالى: ﴿وإنْ أحَدٌ من المشْرِكين استجارك فأجِرْه حتى يَسْمَع كلام الله﴾ التوبة / ٦ والمراد القرآن بالاتفاق، وأضاف الكلام إلى نفسه فدل على أن القرآن كلامه.

وعقيدة أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

والأدلة على أنه منزل ما يأتي:

قول الله ﷻ: ﴿شَهْرُ رمضان الذي أنزل فيه القُرآن﴾ البقرة/ ١٨٥، وقوله تعالى: ﴿إنّا أنْزَلناه في ليلة القدر﴾ القدر / ١، وقوله: ﴿وقُرْآناً فَرَقْناه لِتَقْرَأَه على الناس على مُكْثٍ ونَزَّلنَاه تَنْزِيلاً﴾ الإسراء / ١٠٦، قوله: ﴿وإذا بَدَّلنا آية مكان آية والله أعلم بما يُنَزِّل قالوا إنما أنت مُفْتَرٍ بل أكثرهم لا يعلمون قل نَزَّله رُوح القُدُسِ من ربك بالحق ليُثَبِّت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنّما يُعَلِّمُه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعْجَمِي وهذا لسان عربي مبين﴾ النحل / ١٠١-١٠٣. و الذي يبدل آية مكان آية هو الله ﷻ.

والأدلة على أنه غير مخلوق قوله تعالى: (ألا له الخلق والأمر) فجعل الخلق شيئاً والأمر شيئا آخر

لأن العطف يقتضي المغايرة والقرآن من الأمر بدليل قوله تعالى: (وكذلك أوْحَيْنَا إليك روحا من أمرنا

ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نَهْدِي به من نَشَاءُ من عبادنا) الشورى / ٥٢، فإذا كان القرآن أمراً وهو قسيم للخلق، صار غير مخلوق، لأنه لو كان مخلوقاً ما صح التقسيم فهذا هو الدليل من القرآن.

والدليل العقلي أن نقول القرآن كلام الله والكلام ليس عينا قائمة بنفسها حتى يكون بائنا من الله ولو كان عينا قائمة بنفسها بائنة من الله لقلنا إنه مخلوق لكن الكلام صفة للمتكلم فإذا كان صفة للمتكلم به وكان من الله كان غير مخلوق لأن صفات الله سبحانه وتعالى كلها غير مخلوقة. شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١/ ٤١٨-٤٢٦ - ٤٤١

فيجب علينا أن نعتقد ذلك ونوقن به، ولا نُحَرِّف آيات الله سبحانه وتعالى عن مرادها، فإنها صريحة الدلالة على أن القرآن مُنَزَّل من عند الله، ولذلك قال الإمام الطحاوي:: " وإنّ القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذَمَّه الله وعَابَهُ وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سأُصلِيه سَقَر﴾ المدثر/ ٢٦، فلما أَوْعَدَ بِسَقَر لمن قال ﴿إنّ هذا إلا قول البشر﴾ المدثر / ٢٥ عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنَه قولَ خالقِ البَشَر ولا يُشْبِه قول البشر. أهـ شرح العقيدة الطحاوية ١٧٩.

***

٥٦_ شروط لا إله إلا الله

السؤال:

أرجوا توضيح شروط لا إله إلا الله (العلم واليقين...الخ).

الجواب:

الحمد لله

قال الشيخ حافظ الحكمي في منظومته سلم الوصول:

العلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

الشرط الأول: (العلم) بمعناها المراد منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك، قال الله تعالى: ﴿فاعلم أنه لاإله إلا الله ﴾ وقال تعالى: ﴿ إلا من شهد بالحق ﴾ أي بلا إله إلا الله " وهم يعلمون " بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم. وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة ".

الشرط الثاني (اليقين) بأن يكون قائلها مستيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال الله Y: " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون " فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين. وفي الصحيح من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة " وفي رواية لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيُحجب عن الجنة ". وفيه عنه رضي الله عنه من حديث طويل أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه بنعليه

فقال " من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة " الحديث، فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

الشرط الثالث (القبول) لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قص الله ﷻ علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قَبِلها وانتقامه ممن ردها وأباها قال تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم* وقفوهم إنهم مسؤلون﴾ إلى قوله ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ فجعل الله علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكاراً واستكباراً ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عجاب. وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيءٌ يُراد* ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾ فكذبهم الله ﷻ ورد ذلك عليهم على لسان رسوله ﷺ فقال ﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾... ثم قال في شأن من قبلها (إلا عباد الله المخلصين. أولئك لهم رزقٌ معلوم. فواكه وهم مكرمون. في جنات النعيم) وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وأصاب منها طائفة أُخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تُنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذللك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به ».

الشرط الرابع (الانقياد) لما دلت عليه المنافي لترك ذلك، قال الله ﷻ ﴿ومن يُسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي بلا إله إلا الله ﴿وإلى الله عاقبة الأُمور﴾ ومعنى يُسلم وجهه أي ينقاد، وهو محسن موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسناً فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو المعني بقوله ﷻ بعد

ذلك ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره، إلينا مرجعهم فننبؤهم بما عملوا﴾ وفي حديث صحيح أن رسول الله ﷺ قال « لا يُؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جِئت به» وهذا هو تمام الانقياد وغايته.

والخامس (الصدق) فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطىء قلبه لسانه، قال الله ﷻ ﴿الم ۞أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ وقال في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)

وفي الصحيحين من حديث معاذ بن جبل رضي لله عنه عن النبي ﷺ « ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار».

والسادس(الإخلاص) وهوتصفية العمل عن جميع شوائب الشرك قال تبارك وتعالى: (ألا لله الدين الخالص) وقال (قل الله أعبد مخلصاً له ديني) وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه "...

والسابع (المحبة) لهذه الكلمه ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك، قال الله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) فأخبر الله تعالى أن الذين آمنوا أشد حباً لله؛ وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدا كما فعل مدعوا محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونهم كحبه، وفي الصحيحين من حديث

أنس قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ".

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

***

٥٧_عاني من وساوس الشيطان في ذات الله

السؤال:

رجل يوسوس له الشيطان بوساوس عظيمة فيما يتعلق بالله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - وهو خائف من ذلك جداً فماذا يفعل؟.

الجواب:

الحمد لله

ما ذكر من جهة مشكلة السائل التي يخاف من نتائجها ، أقول له: أبشر بأنه لن يكون لها نتائج إلا النتائج الطيبة ، لأن هذه وساوس يصول بها الشيطان على المؤمنين، ليزعزع العقيدة السليمة في قلوبهم، ويوقعهم في القلق النفسي والفكري ليكدر عليهم صفو الإيمان ، بل صفو الحياة إن كانوا مؤمنين.

وليست حاله بأول حال تعرض لأهل الإيمان، ولا هي آخر حال، بل ستبقى ما دام في الدنيا مؤمن. ولقد كانت هذه الحال تعرض للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء أناس من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألوه: إنّا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، فقال: «أو قد وجدتموه؟». قالوا: نعم ، قال: «ذاك صريح الإيمان». رواه مسلم وفي الصحيحين عنه أيضاً أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟! فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته».

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءه رجل فقال: إني أحدث نفسي بالشيء لأن أكون حممة أحب إلي من أن أتكلم به، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الحمد لله الذي رد أمره إلى الوسوسة». رواه أبو داود.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: في كتاب الإيمان: والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان بوساوس الكفر التي يضيق بها صدره. كما قالت الصحابة يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به. فقال (ذاك صريح الإيمان). وفي رواية ما يتعاظم أن يتكلم به. قال: (الحمد الله الذي رد كيده إلى الوسوسة). أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له، ودفعه عن القلوب هو من صريح الإيمان، كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه، فهذا عظيم الجهاد، إلى أن قال: (ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعباد من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيرهم، لأنه (أي الغير) لم يسلك شرع الله ومنهاجه، بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه، وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة ، فإنه عدوهم يطلب صدهم عن الله تعالى) أ.هـ المقصود منه ذكره في ص ١٤٧ من الطبعة الهندية.

فأقول لهذا السائل: إذا تبين لك أن هذه الوساوس من الشيطان فجاهدها وكابدها ، واعلم أنها لن تضرك أبداً مع قيامك بواجب المجاهدة والإعراض عنها، والانتهاء عن الانسياب وراءها، كما قال النبي ﷺ «**إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلم**». متفق عليه.

وأنت لو قيل لك: هل تعتقد ما توسوس به؟ وهل تراه حقاً؟ وهل يمكنك أن تصف الله سبحانه به؟ لقلت: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، ولأنكرت ذلك بقلبك ولسانك، وكنت أبعد الناس نفوراً عنه، إذن فهو مجرد وساوس وخطرات تعرض لقلبك ، وشباك شرك من الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم، ليرديك ويلبس عليك دينك.

ولذلك تجد الأشياء التافهة لا يلقي الشيطان في قلبك الشك فيها أو الطعن ، فأنت تسمع مثلاً بوجود مدن مهمةٍ كبيرة مملوءة بالسكان والعمران في المشرق

والمغرب ولم يخطر ببالك يوماً من الأيام الشك في وجودها أو عيبها بأنها خراب ودمار لا تصلح للسكنى ، وليس فيها ساكن ونحو ذلك ، إذا لا غرض للشيطان في تشكك الإنسان فيها ولكن الشيطان له غرض كبير في إفساد إيمان المؤمن ، فهو يسعى بخيله ورجله ليطفئ نور العلم والهداية في قلبه ، ويوقعه في ظلمة الشك الحيرة ، والنبي ﷺ بين لنا الدواء الناجع الذي فيه الشفاء ، وهو قوله: (فليستعذ بالله ولينته). فإذا انتهى الإنسان عن ذلك واستمر في عبادة الله طلباً ورغبة فيما عند الله زال ذلك عنه بحول الله ، فأعرض عن جميع التقديرات التي ترد على قلبك في هذا الباب وها أنت تعبد الله وتدعوه وتعظمه ، ولو سمعت أحداً يصفه بما توسوس به لقتلته إن أمكنك ، إذن فما توسوس به ليس حقيقة واقعة بل هو خواطر ووساوس لا أصل لها.

ونصيحة تتلخص فيما يأتي:

١. الاستعاذة بالله والانتهاء بالكلية عن هذه التقديرات كما أمر بذلك النبي ﷺ.

٢. ذكر الله تعالى وضبط النفس عن الاستمرار في هذه الوساوس.

٣.الانهماك الجدي في العبادة والعمل امتثالاً لأمر الله ، وابتغاء لمرضاته، فمتى التفت إلى العبادة التفاتاً كلياً بجدٍّ وواقعية نسيت الاشتغال بهذه الوساوس إن شاء الله.

٤. كثرة اللجوء إلى الله والدعاء بمعافاتك من هذا الأمر.

وأسال الله تعالى لك العافية والسلامة من كل سوء ومكروه.

مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ج/ ١ ص ٥٧ – ٦٠

٥٩_الأدلة على علوّ الله تعالى على خلقه وأنّه سبحانه فوق السموات

السؤال:

بعض الناس يقولون أن الله فوق السموات، وبعض العلماء يقولون أن الله ليس له مكان، فما هو القول الصحيح في هذه المسألة؟.

الجواب:

الحمد لله

استدلّ أهل السنة على علو الله تعالى على خلقه علواً ذاتياً بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة:

أولا: فأما الكتاب فقد تنوعت دلالته على علو الله، فتارة بذكر العلو، وتارة بذكر الفوقية، وتارة بذكر نزول الأشياء من عنده، وتارة بذكر صعودها إليه، وتارة بكونه في السموات...

فالعلو مثل قوله: ﴿وهو العلي العظيم﴾ البقرة/ ٢٥٥، (سبح اسم ربك الأعلى) الأعلى/ ١.

والفوقية: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ الأنعام/ ١٨، ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ النحل/ ٥٠.

ونزول الأشياء منه، مثل قوله: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ السجدة/ ٥، ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ الحجر/ ٩ وما أشبه ذلك.

وصعود الأشياء إليه، مثل قوله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ فاطر/ ١٠ ومثل قوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ المعارج/ ٤.

كونه في السماء، مثل قوله: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ الملك /١٦.

ثانياً: وأما السنة فقد تواترت عن النبي ﷺ من قوله وفعله وإقراره:

فمما ورد في قوله ﷺ في ذكر العلو والفوقية قوله (سبحان ربي الأعلىٰ) كما كان يقول في سجوده وقوله في الحديث: (والله فوق العرش).

(٢) وأما الفعل، فمثل رفع أصبعه إلىٰ السماء، وهو يخطب الناس في أكبر جمع، وذلك في يوم عرفه، عام حجة الوداع فقال علية الصلاة والسلام (ألا هل بلغت؟). قالوا: نعم (ألا هل بلغت؟) قالوا: نعم (ألا هل بلغت؟) قالوا: نعم. وكان يقول: (اللهم ! أشهد)، يشير إلىٰ السماء بأصبعه، ثم يُشير إلىٰ الناس. ومن ذلك رفع يديه إلىٰ السماء في الدعاء كما ورد في عشرات الأحاديث. وهذا إثبات للعلو بالفعل.

(٣) وأما التقرير، كما جاء في حديث الجارية التي قال لها النبي ﷺ: أين الله؟ قالت: في السماء. فقال: (من أنا؟) قالت: رسول الله. فقال لصاحبها: (أعتقها، فإنها مؤمنة).

فهذه جارية غير متعلمة كما هو الغالب علىٰ الجواري، وهي أمة غير حرة، لا تملك نفسها، تعلم أن ربها في السماء، وضُلّال بني آدم ينكرون أن الله في السماء، ويقولون: إنه لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال بل يقولون: إنه في كل مكان !!.

ثالثاً: وأما دلالة الإجماع، فقد أجمع السلف علىٰ أن الله تعالىٰ بذاته في السماء، كما نقل أقوالهم أهل العلم كالذهبي: في كتابه: " العلوّ للعليّ الغفار ".

رابعاً: وأما دلالة العقل فنقول إن العلو صفة كمال باتفاق العقلاء، وإذا كان صفة كمال، وجب أن يكون ثابتاً لله لأن كل صفة كمال مطلقة، فهي ثابتة لله.

خامساً: وأما دلالة الفطرة: فأمر لا يمكن المنازعة فيها ولا المكابرة، فكل إنسان مفطور على أن الله في السماء، ولهذا عندما يفجؤك الشيء الذي لا تستطيع دفعه، وتتوجه إلى الله تعالى بدفعه، فإن قلبك ينصرف إلى السماء وليس إلى أيّ جهة أخرى، بل العجيب أنّ الذين ينكرون علو الله على خلقه لا يرفعون أيديهم في الدعاء إلا إلى السماء.

وحتى فرعون وهو عدو الله لما أراد أن يجادل موسى في ربه قال لوزيره هامان: (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى.. الآية). وهو في حقيقة أمره وفي نفسه يعلم بوجود الله تعالى حقّا كما قال ﷻ: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا).

فهذه عدّة من الأدلة على أن الله في السماء من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة بل ومن كلام الكفار نسأل الله الهداية إلى الحق.

***

٦٠_ نصراني يسأل لماذا خلق الله البشر

السؤال:

وفقا للقرآن و/ أو السنة، لماذا خلق الله البشر؟.

الجواب:

الحمد لله

خلق الله الجن والبشر لعبادته وتوحيده، وامتثال أمره واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، أي يوحدونه فيفردونه بالعبادة دون غيره، ومن شرط صحة عبادته الإيمان برسوله ﷺ، والإقتداء به لأنه هو القدوة والأسوة، قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾.

الشيخ عبد الكريم الخضير

***

٦١_ الله مستو على عرشه وهو قريب منا بعلمه

السؤال:

يقول الله ﷻ في القرآن: "تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة". فهل يدل ذلك على أن الله يتحكم في الأمور الدنيوية وهو جالس (مستو) على العرش؟ وعليه فكيف يكون الله أقرب إلينا من أوردتنا؟.

الجواب:

الحمد لله

فقد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن الله سبحانه وتعالى فوق سمواته على عرشه وأنه العلي الأعلى، وأنه فوق كل شيء، وليس فوقه شيء، قال تعالى: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾

وقال تعالى: ﴿ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر﴾

وقال تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾، وقال تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾. وقال عليه الصلاة والسلام: « **وأنت الظاهر فليس فوقك شيء** ». والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ومع ذلك فقد أخبر الله سبحانه أنه مع عباده أينما كانوا: (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا). بل قد جمع الله سبحانه بين ذكر علوّه على عرشه ومعيّته لعباده في آية واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها

وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم﴾.   وليس معنى كونه معنا أنه مختلط بالخلق بل هو مع عباده بعلمه، وهو فوق عرشه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم وأما قوله سبحانه: (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)، فقد قال أكثر المفسرين أن المراد هو قربه سبحانه بملائكته الموكّلين بحفظ أعمال العباد. ومن قال المراد بقربه تعالى فسّره بقربه بعلمه، كما قيل في المعيّة.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة يثبتون علوّ الله على خلقه، ومعيّته لعباده، وينزهونه تعالى عن الحلول في المخلوقات، وأما المعطلة كالجهمية ومن تبعهم فإنهم ينفون علوّه بذاته فوق المخلوقات واستواءه على عرشه ويقولون أنه حالٌّ في كل مكان، نسأل الله تعالى الهداية للمسلمين.

الشيخ عبد الرحمن البراك

***

٦٢_ شروط قبول الشهادتين

السؤال:

وسؤالي يتعلق بموضوع إحدى الخطب. فقد تكلم الإمام عن الكلمة. وقال بأن لها شروط، ذكر العلماء أنها ٩ أو نحو ذلك، حتى يتمكن الإنسان من دخول الجنة. وقال إن مجرد التلفظ بالكلمات لا يكفي. وكنت أرغب في معرفة هذه الشروط. وذكر بعضها، منها: أولا، العلم بالكلمة. ثانيا، اليقين. فهل تعلم عن ذلك شيئا؟ وهل يمكنك تقديم باقي الشروط؟ وسأقدر لك مساعدتك إن شاء الله.

الجواب:

الحمد لله

لعلك تعني بالكلمة كلمة التوحيد وهي الشهادتان (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وهذا ما عناه الخطيب أيضا.

وللشهادتين عدة شروط، وهي:

الأول: العلم

وهو العلم بمعناها المراد منها نفيا وإثباتا المنافي للجهل بذلك، قال الله ﷻ: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾(محمد: ١٩) وقال تعالى: ﴿ إلا من شهد بالحق﴾(الزخرف: ٨٦) أي بلا إله إلا الله " وهم يعلمون " بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم. وفي الصحيح عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة ».

الثاني: اليقين

وهو اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك،

قال الله ﷻ : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ (الحجرات: ١٥)، فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين – والعياذ بالله –.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عنه الجنة ».

الثالث: القبول

وهو القبول بما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، قال تعالى في شأن من قبلها: ﴿إلا عباد الله المخلصين، أولئك لهم رزق معلوم، فواكه وهم مكرمون*في جنات النعيم ﴾ (الصافات: ٤٠ – ٤٣) إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ﴾ (النمل: ٨٩) وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »

الرابع: الانقياد

وهو الإنقياد لما دلت عليه، المنافي لترك ذلك، قال الله ﷻ: ﴿ وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ﴾ (الزمر: ٥٤)، وقال تعالى: ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجه لله وهو محسن ﴾(النساء: ١٢٥)، وقال تعالى: ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد

استمسك بالعروة الوثقى ﴾ (لقمان: ٢٢) أي بلا إله إلا الله " وإلى الله عاقبة الأمور " ومعنى يسلم وجهه أي ينقاد، وهو محسن: موحد.

الخامس: الصدق

وهو الصدق فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطئ قلبه لسانه، قال الله ﷻ: ﴿ الم* أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (العنكبوت: ١-٣) إلى آخر الآيات، وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: « ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار ».

السادس: الإخلاص

وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ألا لله الدين الخالص ﴾ (الزمر: ٣)، وقال تعالى: ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ (البينة: ٥) الآية، وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه ».

السابع: المحبة

وهي المحبة لهذه الكلمة وما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها، الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك، قال الله ﷻ: ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ (البقرة: ١٦٥)، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه. وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها. وقال رسول الله ﷺ: « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاة الإيمان: أن

يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار » (أخرجاه من حديث أنس بن مالك).

وزاد بعضهم شرطا ثامنا وهو الكفر بما يعبد من دون الله (الكفر بالطاغوت)، قال ﷺ: « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز جل » رواه مسلم. فلا بد لعصمة الدم والمال مع قوله (لا إله إلا الله) من الكفر بما يعبد من دون الله كائنا من كان.

مختصر معارج القبول لمحمد بن سعيد القحطاني ص ١١٩ – ١٢٢

***

٦٣_ ما معنى لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر

السؤال:

هل الحديث لا تسبوا الوقت فإن الله هو الوقت يصح عن الرسول ﷺ؟ وإذا كان صحيحا، فكيف تفسره؟ فقد أشكل علي هذا الموضوع.

الجواب:

الحمد لله

الحديث ليس بهذا اللفظ " لا تسبوا الوقت فإن الله هو الوقت "، وإنما هو بلفظ " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر " (وقد يكون اللفظ المذكور جاء بسبب طريقة ترجمة السؤال)، وقد رواه مسلم عن أبي هريرة (٥٨٢٧)، وفي لفظ آخر: " لا يسب أحدكم الدهر فإن الله هو الدهر "، وفي لفظ آخر: " لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر "، وفي لفظ: " قال الله ﷻ: يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن يا خيبة الدهر فأنا الدهر أقلب الليل والنهار فإذا شئت قبضتهما ".

و أما معنى الحديث فقد قال النووي:

قالوا: هو مجاز وسببه أن العرب كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك فيقولون " يا خيبة الدهر " ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر فقال النبي ﷺ: " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر " أي: لا تسبوا فاعل النوازل فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلها، وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى.

ومعنى " فإن الله هو الدهر " أي: فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات والله أعلم.

" شرح مسلم " (١٥ / ٣).

وينبغي أن يعلم أنه ليس من أسماء الله اسم " الدهر " وإنما نسبته إلى الله تعالى نسبة خلق وتدبير، أي: أنه خالق الدهر، بدليل وجود بعض الألفاظ في نفس الحديث تدل على هذا مثل قوله تعالى: " بيدي الأمر أقلِّب ليلَه ونهارَه " فلا يمكن أن يكون في هذا الحديث المقلِّب - بكسر اللام - والمقلَّب - بفتح اللام - واحداً، وإنما يوجد مقلِّب - بكسر اللام - وهو الله، ومقلَّب - بفتح اللام - وهو الدهر، الذي يتصرف الله فيه كيف شاء ومتى شاء.

انظر " فتاوى العقيدة " للشيخ ابن عثيمين (١ / ١٦٣).

قال الحافظ ابن كثير - عند قول الله تعالى: {وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر} [الجاثية / ٢٤] -:

قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما في تفسير قوله ﷺ: " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر " كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا: " يا خيبة الدهر " فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه وإنما فاعلها هو الله تعالى فكأنهم إنما سبوا الله Y لأنه فاعل ذلك في الحقيقة فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله تعالى هو الدهر الذي يصونه ويسندون إليه تلك الأفعال.

وهذا أحسن ما قيل في تفسيره، وهو المراد. والله أعلم

" تفسير ابن كثير " (٤ / ١٥٢).

وسئل الشيخ ابن عثيمين حفظه الله عن حكم سب الدهر:

فأجاب قائلا:

سب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول: أن يقصد الخبر المحض دون اللوم: فهذا جائز مثل أن يقول " تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده " وما أشبه ذلك لأن الأعمال بالنيات واللفظ صالح لمجرد الخبر.

القسم الثاني: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل كأن يقصد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلِّب الأمور إلى الخير أو الشر: فهذا شرك أكبر لأنه اعتقد أن مع الله خالقا حيث نسب الحوادث إلى غير الله.

القسم الثالث: أن يسب الدهر ويعتقد أن الفاعل هو الله ولكن يسبه لأجل هذه الأمور المكروهة: فهذا محرم لأنه مناف للصبر الواجب وليس بكفر؛ لأنه ما سب الله مباشرة، ولو سب الله مباشرة لكان كافراً.

" فتاوى العقيدة " (١ / ١٩٧).

ومن منكرات الألفاظ عند بعض الناس أنه يلعن الساعة أو اليوم الذي حدث فيه الشيء الفلاني (مما يكرهه) ونحو ذلك من ألفاظ السّباب فهو يأثم على اللعن والكلام القبيح وثانيا يأثم على لعن ما لا يستحقّ اللعن فما ذنب اليوم والسّاعة؟ إنْ هي إلا ظروف تقع فيها الحوادث وهي مخلوقة ليس لها تدبير ولا ذنب، وكذلك فإنّ سبّ الزمن يعود على خالق الزّمن، فينبغي على المسلم أن ينزّه لسانه عن هذا الفحش والمنكر. والله المستعان.

الشيخ محمد صالح المنجد

***

٦٤_ الكفّار يسألون من خلق الله

السؤال:

عندما أقول للكفار بأن الله خلق كل شيء حينها يسألونني ومن خلق الله؟

وكيف كان الله موجوداً منذ البداية؟

كيف أرد على هذا؟.

الجواب:

١. هذا السؤال الموجَّه إليك من الكفار: باطل من أصله، متناقض في نفسه!

ذلك لو أننا فرضنا - جدلا - أن هناك خالقاً لله تعالى! فسيقول السائل: من خلق خالق الخالق؟؟! ثم من خلق خالق خالق الخالق؟؟! وهكذا يتسلسل إلى ما لا نهاية.

وهذا محال في العقول.

أما أن المخلوقات تنتهي إلى خالقٍ خلق كل شيء، ولم يخلقه أحد، بل هو الخالق لما سواه: فإن هذا هو الموافق للعقل والمنطق، وهو الله ﷻ.

٢. أما من حيث الشرع والدين عندنا: فإن النبي ﷺ، قد أخبرنا عن هذا السؤال، من أين مصدره، وما هو علاجه والرد عليه:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق اللهُ الخلقَ، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله ".

وقال رسول الله ﷺ: " يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول من خلق السماء؟ من خلق الأرض؟ فيقول: الله، - ثم ذكر بمثله - وزاد: " ورسله ".

وقال رسول الله ﷺ: " يأتي الشيطانُ أحدَكم فيقول من خلق كذا وكذا؟ حتىٰ يقول له من خلق ربَّك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته ".

وقال رسول الله ﷺ: " يأتي العبد الشيطان فيقول من خلق كذا وكذا؟..".

رواها جميعاً الإمام مسلم (١٣٤).

ففي هذه الأحاديث:

بيان مصدر هذا السؤال، وهو: الشيطان.

وبيان علاجه ورده، وهو:

١. أن ينتهي عن الانسياق وراء الخطرات وتلبيس الشيطان.

٢. وأن يقول " آمنتُ بالله ورسله ".

٣. وأن يستعيذ بالله من الشيطان.

وورد أيضا التفل عن الشِّمال ثلاثا وقراءة سورة قل هو الله أحد (انظر كتاب "شكاوىٰ وحلول " في زاوية الكتب من هذا الموقع)

٣. أما عن وجود الله أولاً، فعندنا في ذلك أخبار من نبينا ﷺ، ومنها:

١. قوله ﷺ: " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ". رواه مسلم (٢٧١٣).

٢. قوله ﷺ: " كان الله ولم يكن شيء غيره "، وفي رواية " ولم يكن شيء قبله ". رواهما البخاري، الأولىٰ (٣٠٢٠)، والثانية (٦٩٨٢). بالإضافة لما في الكتاب العزيز من الآيات، فالمؤمن يُؤمن ولا يشكّ والكافر يجحد والمنافق يشكّ ويرتاب، نسأل الله أن يرزقنا إيمانا صادقا ويقينا لاشكّ فيه والله الموفق.

٦٥_ من هو معبود المسلمين

السؤال:

من يعبد المسلمون؟

الجواب:

الحمد لله

قبل الإجابة نريد أن نسجّل إعجابنا باهتمامك - أيتها السائلة على صغر سنك - بدين الإسلام ولعل الله أن يفتح لك باب خير عظيم من جراء هذا السؤال ويكتب لك هداية لم تكن بحسبانك قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) سورة الأنعام ٨٨، وقال: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ سورة الأنعام ١٢٥

أما بالنسبة للسؤال العظيم: من يعبد المسلمون؟ فالجواب عليه من القرآن الكريم وهو كتاب الإسلام ومن كلام نبي الإسلام محمد ﷺ الموحى إليه من ربه.

قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* ﴾سورة الفاتحة

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سورة البقرة

وقال: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ سورة الأنعام

وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا﴾ سورة الإسراء

المسلمون يعبدون الله الذي عبده جميع الأنبياء: قال تعالىٰ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ سورة البقرة

المسلمون يعبدون الله ويدعون غيرهم من أصحاب الأديان إلىٰ عبادة الله وحده كما قال ﷻ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾سورة آل عمران

الله وحده الذي دعا نوح عليه السلام قومه إلىٰ عبادته، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾سورة الأعراف

الله وحده الذي نادىٰ المسيح عليه السلام إلىٰ عبادته كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾سورة المائدة

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ءأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(١١٧) سورة المائدة

ولما كلّم الله نبيه موسىٰ عليه السلام قال له: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ سورة طه

وأمر الله سبحانه تعالى نبيه محمدا ﷺ بما يلي: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾سورة يونس

وهو وحده لا شريك له تعبده الملائكة ولا تعبد معه غيره كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ سورة الأنبياء

وكل معبود من دون الله فلا يضر ولا ينفع ولا يخلق ولا يرزق، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾سورة المائدة وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ سورة العنكبوت

وبعد هذا الجواب نريد إكمال الموضوع بالسؤال التالي لماذا نعبد الله وحده لا شريك له والجواب:

أولا: لأنه لا يستحق العبادة في الكون أحد غيره لأنه هو الخالق الرازق الموجد من العدم الذي أمدنا بالنعم، قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ* وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ* يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ *وَمِنْ ءايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ*وَمِنْ ءايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* وَمِنْ ءايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ* وَمِنْ ءايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ* وَمِنْ ءايَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ

الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ*وَمِنْ ءايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ* وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ* وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ سورة الروم

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ* أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ*أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ* أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ* أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ سورة النمل

فهل هناك أحد غير الله يستحقّ العبادة؟

ثانيا: إن الله لم يخلقنا إلا لعبادته فقال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة الذاريات

ثالثا: إنه لن ينجو أحد يوم القيامة إلا من كان يعبد الله حقّا، وبعد الموت سيبعث الله العباد ليحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم فلا ينجو يومئذ إلا من كان يعبد الله وحده ويحشر البقية إلى جهنم وبئس المصير، قال نبي الإسلام محمد ﷺ: مجيبا أصحابه لما سألوه: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا قُلْنَا لا قَالَ فَإِنَّكُمْ لا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا ثُمَّ قَالَ يُنَادِي مُنَادٍ لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ

صَلِيبِهِمْ وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ قَالُوا كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا فَيُقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ فَيَقُولُونَ كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ فَيُقَالُ كَذَبْتُمْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ وَلا وَلَدٌ فَمَا تُرِيدُونَ فَيَقُولُونَ نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا فَيُقَالُ اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ فَيُقَالُ لَهُمْ مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ فَيَقُولُونَ فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا قَالَ فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ.. فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَلا يُكَلِّمُهُ إِلا الأَنْبِيَاءُ.. فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ) رواه البخاري رقم ٦٨٨٦ وهؤلاء المؤمنون هم أهل الجنة الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون خالدين فيها إلى الأبد

نرجو أن تكون هذه القضية قد اتضّحت، وبعد هذا لا نقول إلا كما قال الله تعالى ﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ سورة الإسراء،

الشيخ محمد صالح المنجد

***

٦٦_شبهات لملحد، حول الله ﷻ.

السؤال:

الملحد، إذا طلب دليلا على: أن الله يعلم ما في السرائر، وأن الله لا يكذب، وأن الله لم يلد ولم يولد؛ كيف أجيبه؟

أرجوكم، أنجدوني من مسائله الخبيثة، فإنا أخاف على ديني، قبل أن أخاف عليه؟

الجواب:

الحمد لله

أولا:

لاشك أن الدليل العقلي الصحيح، يوافق الدليل النقلي، ويدل عليه، ومن لم تنتكس فطرته، ولم يرتد على عقبيه: يجد أن الكون كله يشهد بربوبية الرب تعالى، وألوهيته، وصدق رسوله، وتمام رسالته، وصحة كتابه، وجلاله وعظمته، قال ابن القيم:

" وَللهَّ سُبْحَانَهُ فِي كل صنع من صنائعه، وَأمر من شرائعه: حِكْمَة باهرة، وَآيَة ظَاهِرَة، تدل على وحدانيته، وحكمته، وغناه وقيوميته وَملكه، لَا تنكرهَا إِلَّا الْعُقُول السخيفة، وَلَا تنبو عَنْهَا إِلَّا الْفطر المنكوسة:

وَللهَّ فِى كـــل تســكينة ... وتحريكــة أبــدا شَــاهد
وَفِى كـــل شَيْء لَــهُ آيَــة ... تــدل عــلى أَنــه وَاحِــد ".

انتهى من "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٦٦).

" فَلَا ريب أَن خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض من أعظم الْأَدِلَّة على وجود فاطرهما وَكَمَال قدرته وَعلمه وحكمته وانفراده بالربوبية والوحدانية، وَالله سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَدْعُو

عباده إلى النّظر والفكر فِي مخلوقاته الْعِظَام، لظُهُور أثر الدّلَالَة فِيهَا وبديع عجائب الصَّنْعَة وَالْحكمَة فِيهَا، واتساع مجَال الْفِكر وَالنَّظَر فِي أرجائها ".

انتهى من "مفتاح دار السعادة" (٢/ ١٩٨).

فالأدلة على إثبات الخالق ظاهرة متكاثرة، ويكفي أن يقال:

هذه المخلوقات المتقنة الصنع: إما أن تكون خلقت نفسها، أو وجدت من غير خالق، أو خلقها خالق عليم قدير.

أما الاحتمال الأول والثاني فباطلان، معلوم بطلانهما ببدائه العقول؛ فلا يقول عاقل إن شيئا صنع نفسه، وأوجدها من العدم، أو أن شيئا صُنع من غير صانع، ولأجل تقرر ذلك في الفطر، قال الله تعالى: تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ الطور/ ٣٥.

ثانيا:

إذا ثبت بالاضطرار وجود الخالق المدبر الحكيم العليم، ثبت باللزوم أنه يعلم السرائر ويطلع على الخفايا، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك/ ١٤، قال السعدي::

" ثم قال - مستدلا بدليل عقلي على علمه -: (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) فمن خلق الخلق وأتقنه وأحسنه، كيف لا يعلمه؟! " انتهى من "تفسير السعدي" (ص ٨٧٦).

وهذا دليل عقلي يجب التسليم به؛ لأن العبد إذا أتقن شيئا، أو صنع صناعة، أو اخترع اختراعا: فبالضرورة أن يكون عالما بكل تفاصيله وخباياه، لا يخفى عليه من أمره شيء، لأنه صانعه ومبتكره ومكونه، فما بالك بالله تعالى خالق الخلق من العدم، وموجدهم على غير مثال سبق؛ أليس أولى وأحرى أن يكون عالما بخلقه، محيطا بهم.

ومما يدل على ذلك أيضا: أن الله تعالى أخبر نبيه ﷺ بكثير من أمور الغيب التي لا يعلمها أحد من العالمين، فظهر مصداق ما أخبر، سواء في حياته أو بعد مماته، بل أخبر نبيه ببعض ما يستسر به المشركون، أو يكنونه في صدورهم.

روى البخاري (٤٨١٧)، ومسلم (٢٧٧٥): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: " اجْتَمَعَ عِنْدَ البَيْتِ قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ - أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ - كَثِيرَةٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، قَلِيلَةٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتُرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَا نَقُولُ؟ قَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا وَلاَ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا فَإِنَّهُ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ﴾ فصلت/ ٢٢ الآيَةَ.

وينظر قصة أخرى في: "سيرة ابن هشام" (٢/ ٢٢٠)، "سير أعلام النبلاء" (١/ ٣٤٨)، "البداية والنهاية" (٥/ ٢١٠).

ثالثا:

كيف يكذب الخلاق العليم العزيز الحكيم؟! وما الذي يحمله على الكذب ويحوجه إليه؟! ومن أبر من الله، وأولى بالصدق منه جل جلاله؟! ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)؛ (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾؟!

لقد كان أولى ما يظهر فيه نقص القول، وتفاوته واضطرابه: هو كتابه الذي تحدى به الكفار: أن يأتوا بمثله، أو بشيء منه، أو أن يجدوا فيه تفاوتا، أو تناقضا؛ قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) النساء/ ٨٢، قال الطبري:

" يعني: أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجّة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتِّساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضًا بالتصديق، وشهادة بعضه

لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض " انتهى من "تفسير الطبري" (٨/ ٥٦٧).

فكل ما أخبر به من الصدق، وكل ما جاء به من الحق، ولم يستطع المعارضون له المخالفون لأمره أن يعثروا على قول يناقض قول، أو خبر يخالف الحس والواقع، بل كل ما جاء به جاء ما يدل على صدقه بالبرهان المبين والحجة البالغة.

ثم تأمل يا عبد الله؛ هذا الحديث، لتعلم أن القادر، المالك: أبعد ما يكون عن الكذب:

روى مسلم (١٠٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ).

قال الشيخ ابن عثيمين:

" وذلك لأن الملك لا يحتاج أن يكذب، كلمته هي العليا بين الناس، فلا حاجة إلى أن يكذب، فإذا كذب صار يعدُ الناس ولكن لا يوفي، يقول سأفعل كذا ولكن لا يفعل، سأترك كذا ولكن لا يترك، ويحدث الناس يلعب بعقولهم ويكذب عليهم، فهذا والعياذ بالله داخل في هذا الوعيد، لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

والكذب حرامٌ من الملك وغير الملك، لكنه من الملك أعظم وأشد؛ لأنه لا حاجة إلى أن يكذب، كلمته بين الناس هي العليا فيجب عليه أن يكون صريحاً، إذا كان يريد الشيء، يقول نعم، يوافق عليه ويفعل، وإذا كان لا يريده، يقول لا، يرفضه ولا يفعل، الواحد من الرعية قد يحتاج إلى الكذب فيكذب، ولكن الملك لا يحتاج " انتهى من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٥٥١).

ثالثا:

من الأدلة العقلية على أن الله تعالى لم يلد: أنه لا صاحبة له، ومعلوم لدى كل ذي عقل أن الإنسان يلد إنسانا، وأن البهيمة تدل بهيمة، وأن الطائر يلد طائرا، فالمولود يتولد من شيئين متناسبين، فلا بد للمولود من أب وأم متناسبين.

قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الأنعام/ ١٠١.

قال الطبري::

" الولد إنما يكون من الذكر والأنثى، ولا ينبغي أن يكون لله سبحانه صاحبة، فيكون له ولد، وذلك أنه هو الذي خلق كل شيء، يقول: فإذا كان لا شيء إلا اللهُ خلقه، فأنّى يكون لله ولد، ولم تكن له صاحبة فيكون له منها ولد؟ ".

انتهى من "تفسير الطبري" (١١/ ١١).

وقال ابن كثير:

" أَيْ: كَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ؟ أَيْ: وَالْوَلَدُ إِنَّمَا يَكُونُ مُتَوَلِّدًا عَنْ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ، وَاللهُ لَا يُنَاسِبُهُ وَلَا يُشَابِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا صَاحِبَةَ لَهُ وَلَا وَلَدَ " انتهى من "تفسير ابن كثير" (٣/ ٣٠٨).

وقال ابن عاشور::

" مَنْ يُصْمَدُ إِلَيْهِ: لَا يَكُونُ مِنْ حَالِهِ أَنْ يَلِدَ لِأَنَّ طَلَبَ الْوَلَدِ لِقَصْدِ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ فِي إِقَامَةِ شؤون الْوَالِدِ وَتَدَارُكِ عَجْزِهِ، وَلِذَلِكَ اسْتُدِلَّ عَلَى إِبْطَالِ قَوْلِهِمْ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً، بِإِثْبَاتِ أَنَّهُ الْغَنِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ﴾ يُونُس/ ٦٨، فَبَعْدَ أَنْ أَبْطَلَتِ الْآيَةُ الْأُولَى مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ

تَعَدُّدَ الْإِلَهِ بِالْأَصَالَةِ وَالِاسْتِقْلَالِ، أَبْطَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ تَعَدُّدَ الْإِلَهِ بِطَرِيقِ تَوَلُّدِ إِلَهٍ عَنْ إِلَهٍ، لِأَنَّ الْمُتَوَلِّدَ مُسَاوٍ لِمَا تَوَلَّدَ عَنْهُ.

وَالتَّعَدُّدُ بِالتَّوَلُّدِ: مُسَاوٍ فِي الِاسْتِحَالَةِ لِتَعَدُّدِ الْإِلَهِ بِالْأَصَالَةِ، لِتَسَاوِي مَا يَلْزَمُ عَلَى التَّعَدُّدِ فِي كِلَيْهِمَا مِنْ فَسَادِ الْأَكْوَانِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا) الْأَنْبِيَاء/ ٢٢ وَهُوَ بُرْهَانُ التَّمَانُعِ، وَلِأَنَّهُ لَوْ تَوَلَّدَ عَنِ اللَّهِ مَوْجُودٌ آخَرُ لَلَزِمَ انْفِصَالُ جُزْءٍ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ مُنَافٍ لِلْأَحَدِيَّةِ، لِأَن البنوّة لِلْإِلَهِ تَقْتَضِي إِلَهِيَّةَ الِابْنِ " انتهى من "التحرير والتنوير" (٣٠/ ٦١٨).

رابعا:

أما كونه سبحانه لم يولد، فمعلوم بالاضطرار أيضا؛ لأنه لو كان له والد: لكان هذا الوالد إلها عظيما، ولكان أولى من ولده بتدبير الملكوت، وتسيير الأمور، وهذا شأن الملك في الناس كلهم: أن الولد يرث الملك عن أبيه.

قال أبو سعيد الصنعاني:

" ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله جلّ ثناؤه لا يموت ولا يورث " انتهى من "تفسير الطبري" (٢٤/ ٦٩١).

ولأنا لو أثبتنا له الوالد لنسبناه، إلى العدم قبل أن يولد، وهذا محال؛ فإن من خلق من العدم: لا يكون إلها، بل يكون الذي خلقه هو الإله، وهنا يرد عليه نفس السؤال، حتى ينتهي الأمر إلى السفسطة المحضة، أو إبطال وجود الإله الخالق من أصله، وقد تكلمنا عن هذا الفرض سابقا.

قال ابن عاشور:

" مَنْ يَكُونُ مَوْلُودًا مِثْلَ عِيسَى لَا يَكُونُ إِلَهًا؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْإِلَهُ مَوْلُودًا لَكَانَ وُجُودُهُ مَسْبُوقًا بِعَدَمٍ لَا مَحَالَةَ، وَذَلِكَ مُحَالٌ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مَسْبُوقًا بِعَدَمٍ لَكَانَ مُفْتَقِرًا إِلَى

مَنْ يُخَصِّصُهُ بِالْوُجُودِ بَعْدَ الْعَدَمِ، فَحَصَلَ مِنْ مَجْمُوعِ جُمْلَةِ: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) إِبْطَالُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَالِدًا لِمَوْلُودٍ، أَوْ مَوْلُودًا مِنْ وَالِدٍ بِالصَّرَاحَةِ. وَبَطَلَتْ إِلَهِيَّةُ كُلِّ مَوْلُودٍ بِطَرِيقِ الْكِنَايَةِ، فَبَطَلَتِ الْعَقَائِدُ الْمَبْنِيَّةُ عَلَى تَوَلُّدِ الْإِلَهِ ".

انتهى من"التحرير والتنوير" (٣٠/ ٦١٩).

خامسا:

الذي ننصحك به ألا تشغل نفسك بشبهات الملاحدة وأباطيلهم، فليس عليك من شأنهم شيء، وإنما حوراهم والرد على شبهاتهم: للمتخصصين، العارفين بمآخذ القول، وكيفية الرد والنقاش والجدال.

وعليك بتلاوة القرآن وتدبره، وصحبة أهل الخير، الذين يحرصون عليه، ويدعون إليه، وهذه الصحبة من أعظم ما يثبت به الله عبده على دينه، ويصرف عنه به السوء.

والله تعالى أعلم.

***

٦٧_ ما هي الحكمة الإلهية من تكريم بني آدم على سائر الخلق؟

السؤال:

ما الحكمة الإلهية من تكريم بني آدم علىٰ سائر الخلق؟ وهل التكريم علىٰ جميع الخلق أم أكثرهم؟ وإن كان علىٰ أكثرهم، فمن الذين هم أكرم من بني آدم - جزاكم الله خيرًا -؟

الجواب:

الحمد لله

أولا:

يقول الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء/ ٧٠

قال ابن كثير:

" يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنْ تَشْرِيفِهِ لِبَنِي آدَمَ، وَتَكْرِيمِهِ إِيَّاهُمْ، فِي خَلْقِهِ لَهُمْ عَلَىٰ أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ وَأَكْمَلِهَا كَمَا قَالَ: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) التِّينِ/ ٤، أَيْ: يَمْشِي قَائِمًا مُنْتَصِبًا عَلَىٰ رِجْلَيْهِ، وَيَأْكُلُ بِيَدَيْهِ - وَغَيْرُهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ وَيَأْكُلُ بِفَمِهِ - وَجَعَلَ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا وَفُؤَادًا، يَفْقَهُ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَيَنْتَفِعُ بِهِ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ، وَيَعْرِفُ مَنَافِعَهَا وَخَوَاصَّهَا وَمَضَارَّهَا فِي الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ.

(وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ) أَيْ: عَلَىٰ الدَّوَابِّ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ، وَفِي الْبَحْرِ أَيْضًا عَلَىٰ السُّفُنِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ.

(وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) أَيْ: مِنْ زُرُوعٍ وَثِمَارٍ، وَلُحُومٍ وَأَلْبَانٍ، مِنْ سَائِرِ أَنْوَاعِ الطُّعُومِ وَالْأَلْوَانِ، الْمُشْتَهَاةِ اللَّذِيذَةِ، وَالْمَنَاظِرِ الْحَسَنَةِ، وَالْمَلَابِسِ الرَّفِيعَةِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ، عَلَىٰ

اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا وَأَلْوَانِهَا وَأَشْكَالِهَا، مِمَّا يَصْنَعُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَيَجْلِبُهُ إِلَيْهِمْ غَيْرُهُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَقَالِيمِ وَالنَّوَاحِي.

(وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا) أَيْ: مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ " انتهى من "تفسير ابن كثير" (٥/ ٩٧).

وينظر: "تفسير السعدي" (ص ٤٦٣).

ثانيا:

ينبغي أن يُعْلم: أن الله ﷻ: هو المتفرد باختيار ما يختاره، واصطفاء ما يصطفيه، كما أنه المتفرد بخلق ذلك كله، سواء بدا لنا حكمته في خلقه واصطفائه، أو لم يبد؛ فلله سبحانه الحكمة البالغة في خلقه وتدبيره.

قال ابن القيم:

" فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ وَالِاخْتِيَارِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} [القصص: ٦٨] [الْقَصَصِ: ٦٨]...؛ فَكَمَا أَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ، فَهُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالِاخْتِيَارِ مِنْهُ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْلُقَ، وَلَا أَنْ يَخْتَارَ سِوَاهُ.

فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَوَاقِعِ اخْتِيَارِهِ، وَمَحَالِّ رِضَاهُ، وَمَا يَصْلُحُ لِلِاخْتِيَارِ مِمَّا لَا يَصْلُحُ لَهُ، وَغَيْرُهُ لَا يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ بِوَجْهٍ..."

قال:

" وَإِذَا تَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ هَذَا الْخَلْقِ، رَأَيْتَ هَذَا الِاخْتِيَارَ وَالتَّخْصِيصَ فِيهِ: دَالًّا عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ تَعَالَى، وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَكَمَالِ حِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ يَخْلُقُ كَخَلْقِهِ، وَيَخْتَارُ كَاخْتِيَارِهِ، وَيُدَبِّرُ كَتَدْبِيرِهِ، فَهَذَا الِاخْتِيَارُ وَالتَّدْبِيرُ وَالتَّخْصِيصُ، الْمَشْهُودُ أَثَرُهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ مِنْ أَعْظَمِ آيَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَأَكْبَرِ شَوَاهِدِ

وَحْدَانِيَّتِهِ، وَصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَصِدْقِ رُسُلِهِ.." انتهى من "زاد المعاد" (١/ ٤٠) وما بعدها.

ثالثا:

من حكمة الله ﷻ في تكريم بني آدم، والله أعلم: أنهم المحل الذي قبل أمانة الرحمن، والتي هي تكليفه وامتثاله للأمر والنهي باختياره؛ فبعد أن عرضها على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان؛ أهله الله ﷻ لهذا المقام السني، فاجتباه، واختاره واصطفاه، وفضله على كثير ممن خلقه سواه.

ثم كان من مقتضى ذلك: أن فيهم صفوة خلقه، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فيهم العلماء العاملون، وفيهم المجاهدون، وفيهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وفيهم القائمون بأمر الله، والدعوة إليه.

قال ابن القيم:

" خلق الله سبحانه عباده المؤمنين وخلق كل شيء لأجلهم، كما قال تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)

وكرمهم وفضلهم على كثير ممن خلق، فقال: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَم وحملناهم فِى الْبرِّ وَالْبَحْرِ وَرزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) وقال لصالحيهم وصفوتهم: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآل إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِين) وقال لموسى: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي)، واتخذ منهم الخليلين، والخلة أعلى درجات المحبة...

والله سبحانه لا يصطفى لنفسه إلا أعز الأشياء وأَشْرَفَهَا وأعظمها قيمة.

وإذا كان قد اختار العبد لنفسه، وارتضاه لمعرفته ومحبته، وبنى له داراً في جواره وقربه، وجعل ملائكته خدَمه يسعون في مصالحه في يقظته ومنامه وحياته وموته، ثم إنَّ العبد أبق عن سيده ومالكه، معرضاً عن رضاه، ثم لم يكفه ذلك حتى خامر عليه، وصالح عدوه ووالاه من دونه، وصار من جنده مؤثراً لمرضاته على مرضاة وليه ومالكه، فقد باع نفسه- التي اشتراها منه إلهه ومالكه وجعل ثمنها جنته والنظر إلى وجهه- من عدوه وأبغض خلقه إليه، واستبدل غضبه برضاه ولعنته برحمته ومحبته.

فأي مقت خلى هذا المخدوع عن نفسه لم يتعرض له من ربه؟ قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْملائِكَةِ اسْجُدُوا لآدم فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنْ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُو، بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدلاً) " انتهى من "طريق الهجرتين" (ص ٢٤٠-٢٤١).

ثانيا:

تكريم جنس بني آدم إنما هو على كثير ممن خلق الله، وأفادت لفظة (كثير) أن هناك أجناسا لا يمكن القطع بتفضيل جنس الآدميين عليهم، كالملائكة مثلا، إذ لا يمكن القول بأن الآدمي الكافر أفضل عند الله من الملائكة.

فالملائكة أفضل من الكفار من بني آدم بلا شك، وكذا مؤمنو الجن أفضل من كفار بني آدم وفساقهم.

قال ابن عاشور::

" وَلَا شَكَّ أَنَّ إِقْحَامَ لَفْظِ (كَثِيرٍ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا) مُرَاد مِنْهُ التَّقْيِيد وَالِاحْتِرَازُ وَالتَّعْلِيمُ الَّذِي لَا غُرُورَ فِيهِ، فَيُعْلَمُ مِنْهُ أَنَّ ثَمَّ مَخْلُوقَاتٍ غَيْرَ مُفَضَّلٍ عَلَيْهَا بَنُو آدَمَ، تَكُونُ مُسَاوِيَةً، أَوْ أَفْضَلَ؛ إِجْمَالًا أَوْ تَفْصِيلًا.

وَتَبْيِينُهُ يُتَلَقَّىٰ مِنَ الشَّرِيعَةِ فِيمَا بَيَّنَتْهُ مِنْ ذَلِكَ، وَمَا سَكَتَتْ فَلَا نَبْحَثُ عَنْهُ " انتهىٰ من "التحرير والتنوير" (١٥/ ١٦٦).

فتحصل من ذلك:

أن المرد في معرفة التفضيل إنما هو للشرع، لا للعقل، وما يقضي به.

ثم لا يظهر من التكلف في تشقيق السؤال في ذلك ثمرة؛ بل علىٰ العبد أن يعلم أن لربه حكمة بالغة في خلقه، كما له الحكمة البالغة في أمره ونهيه، وأن يجعل همته مصروفة لمواقع رضى ربه منه، فينشغل بها عما سواها.

والله تعالىٰ أعلم.

***

١_هل "رضوان" اسم خازن الجنة ؟

السؤال :

هل اسم خازن الجنة رضوان؟ سمعت فتوى للشيخ ابن عثيمين رحمه- الله- قال: "اشتهرت الآثار أن رضوان اسم خازن الجنة لكني لا أعلم في هذا حديثا صحيحًا". فهل كلامه يعني إثبات الاسم؟

الجواب :

الحمد لله

اشتهر عند العلماء أن خازن الجنة من الملائكة اسمه " رضوان " ، إلا أن هذه التسمية لم ترد في القرآن الكريم ، ولا في السنة النبوية الصحيحة ، وإنما ورد ذلك في بعض الآثار الضعيفة .

قال ابن القيم رحمه الله : "قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة (رضوان) ، وهو اسم مشتق من الرضا ، وسمى خازن النار مالكا ، وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه" انتهى من "حادي الأرواح" (١/ ٧٦) .

وقال المناوي : "سمي الموكل بحفظ الجنة خازنا ، لأنها خزانة الله تعالى أعدها لعباده ... وظاهره أن الخازن واحد ، وهو غير مراد ، بدليل خبر أبي هريرة : (من أنفق زوجين في سبيل الله ، دعاه خزنة الجنة ، كل خزنة باب : هلم) . فهذا وغيره من الأحاديث صريح في تعدد الخزنة ، إلا أن رضوان أعظمهم ومقدمهم ، وعظيم الرسل ، إنما يتلقاه عظيم الحفظة" انتهى من "فيض القدير" (١/ ٥٠) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عن الملائكة :

"وَمِنْهُمُ الْمُوَكَّلُونَ بِالْجِنَانِ ، وَإِعْدَادِ الْكَرَامَةِ لِأَهْلِهَا ، وَتَهْيِئَةِ الضِّيَافَةِ لِسَاكِنِيهَا ، مِنْ مَلَابِسَ وَمَصَاغٍ وَمَسَاكِنَ وَمَآكِلَ وَمَشَارِبَ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ . وَخَازِنُ الْجَنَّةِ مَلَكٌ يُقَالُ لَهُ (رِضْوَانُ) ، جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ " انتهىٰ من "البداية والنهاية" (١/ ٥٣) .

والثابت في الأحاديث الصحيحة لقبه (الخازن) ، لا اسمه ، فقد ثبت في حديث الشفاعة عن النبي ﷺ أنه قال : (آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ) رواه مسلم (١٩٧) .

لكن ورود هذا الاسم في بعض الأحاديث الضعيفة ، مع شهرته عند أهل العلم ، يجعل الأمر في إطلاقه واسعا محتملا ، إن شاء الله .

جاء في فتاوىٰ اللجنة الدائمة (٢٨/ ٣٥٣) :

" هل رضوان خازن الجنة وأين ورد اسمه ؟

الجواب : المشهور عند العلماء : أن اسم خازن الجنة رضوان ، وجاء ذكره في بعض الأحاديث التي في ثبوتها نظر . والله أعلم " انتهىٰ .

وقال الشيخ ابن عثيمين :

" وأما "رضوان" فموكل بالجنة ، واسمه هذا ليس ثابتا ثبوتا واضحا كثبوت مالك [يعني: خازن النار] لكنه مشهور عند أهل العلم بهذا الاسم " انتهىٰ من "مجموع فتاوىٰ العثيمين" (٣/ ١١٩) .

والخلاصة :

أن هذا الاسم لم يثبت في الأحاديث الصحيحة ، لكن توارد العلماء علىٰ إطلاقه ، والتسامح بذكره ، والأمر فيه سهل ، إن شاء الله .

٢_ إشكال حول سماع الملائكة للقرآن وهم في السماء

السؤال :

الملائكة تحبّ القرآن وسماعه ، ومنهم من يتنزل من السماء حين يقرأ القرآن ، هل هذا يدل على سماع الملائكة للأصوات من مسافات كبيرة ، لست من هواة البحث في الغيبيات ، لكن أخاف أن أشرك مع الله أحدا في صفاته، لأنني أعلم أن من دعا غائباً أو دعا ميتاً وهو بعيد عن قبره ، وهو يعتقد أن هذا المدعو يسمع كلامه، أو يعلم بحاله فقد وقع في الشرك الأكبر، سواء أكان هذا المدعو نبياً أو ولياً، أم عبداً صالحاً أم غيرهم ، فهل تسمع الملائكة القرآن وهي في السماء؟

الجواب :

الحمد لله

الحديث الذي سألت عنه هو :

عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ : " أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ ، إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ ، فَقَرَأَ ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَىٰ ، فقرَأَ ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا ، قَالَ أُسَيْدٌ : فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَىٰ ، فَقُمْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّىٰ مَا أَرَاهَا ، قَالَ : فَغَدَوْتُ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي ، إِذْ جَالَتْ فَرَسِي ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ » ، قَالَ : فَقَرَأْتُ ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ » ، قَالَ : فَقَرَأْتُ ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ » قَالَ : فَانْصَرَفْتُ ، وَكَانَ يَحْيَىٰ قَرِيبًا مِنْهَا ، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّىٰ مَا أَرَاهَا ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ »

رواه البخاري (٥٠١٨) ، ومسلم (٧٩٦) واللفظ له .

وهذا الحديث ، وما يشبهه ، ليس فيه أن الملائكة يسمعون تلاوة العبد ، وهم في السماء ، بل فيه أن الملائكة نزلوا ، حتى كانوا مثل الظلة ، وهو ما يستظل به الإنسان ، وهو يدل على أنهم صاروا قريبين منه جدا ، بحيث يسمعونه سماعا ، لا إشكال فيه ، ولا استبعاد له ، حتى لو كان من بشر ، في مثل مسافتهم ؛ فكيف إذا كانوا ملائكة الله .

ومن الملائكة من ينزل من السماء ، يغشى الناس في مجالسهم ، يلتمسون حلق الذكر ، ومجالس العلم .

عن أَبي هريرة - رضي الله عنه - ، قَالَ : قَالَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إنَّ للهِ تَعَالَى مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أهْلَ الذِّكْرِ ، فإذا وَجَدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللهَ - عز وجل - ، تَنَادَوْا : هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِم إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أعْلَم - : مَا يقولُ عِبَادي ؟ قَالَ : يقولون : يُسَبِّحُونَكَ ، ويُكبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، ويُمَجِّدُونَكَ ، فيقول : هَلْ رَأَوْنِي ؟ فيقولونَ : لا والله مَا رَأَوْكَ . فيقولُ : كَيْفَ لَوْ رَأَوْني ؟! قَالَ : يقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيداً ، وأكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً ، فَيَقُولُ : فَمَاذا يَسْألونَ ؟ قَالَ : يقُولُونَ : يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ ، قَالَ : يقولُ : وَهل رَأَوْها ؟ قَالَ : يقولون : لا والله يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا . قَالَ : يقول : فَكيفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يقولون : لَوْ أنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً ، وأشدَّ لَهَا طَلَباً ، وأعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ، قَالَ : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ : يقولون : يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ ؛ قَالَ : فيقولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يقولون : لا والله مَا رَأَوْهَا ، فيقولُ : كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟! قَالَ : يقولون : لَوْ رَأَوْهَا كانوا أشَدَّ مِنْهَا فِرَاراً ، وأشَدَّ لَهَا مَخَافَةً . قَالَ : فيقولُ : فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم ، قَالَ : يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ : فِيهم فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ ، إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » . متفق عَلَيْهِ .

وعنه وعن أَبي سعيدٍ رضي الله عنهما ، قالا : قَالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - : « لا يَقْعُدُ قَومٌ يَذكُرُونَ اللهَ - عز وجل - إلاَّ حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيهِمُ السَّكِينَةُ ؛ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ » رواه مسلم .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، معلومة .

وفي هذا كله : ما يدل على أنهم ينزلون من السماء ، يستمعون لمجالس الذكر والتلاوة .

والملائكة من عالم الغيب فلا يمكن القطع بكيفية سماعهم هذا ، فالله تعالى – يسمعهم الصوت من غير أن نعلم كيفيته –، ويشبه هذا علم الملائكة بما ينويه الإنسان من خير أو شر .

وإذا افترضنا أنهم يسمعون قراءة الناس ، وهم في السماء ؛ فليس هذا بأعجب من علمهم بما يهم العبد به ، فيكتبونه ، بأمر الله لهم بذلك .

فيقال هنا أيضا : إن الله قادر على أن يسمع الملائكة ما يقوله العبد كيف يشاء .

وقد سُئِل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" عن قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا هم العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ....) الحديث . فإذا كان الهم سرا بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليه ؟

فأجاب : "الحمد لله ، قد روي عن سفيان بن عيينة في جواب هذه المسألة قال : " إنه إذا هم بحسنة شم الملك رائحة طيبة ، وإذا هم بسيئة شم رائحة خبيثة " .

والتحقيق : أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء " .

انتهى من " مجموع الفتاوى " (٤ / ٢٥٣) .

ثانيا :

هناك فرق بين السماع الذي يثبته المشركون لمعبوداتهم ، وبين سماع الملائكة هذا :

الفرق الأول : أنه ، إذا افترضنا أن النص الشرعي يدل على هذا السماع ، فيكون سماع الملائكة ـ حينئذ ـ قد أثبته النص الشرعي ، أمّا السماع الذي يدعيه المشركون لمعبوداتهم من الغائبين والموتى ، فهو سماع نفاه الشرع والحس ، بل هو قول على الله بغير علم .

الفرق الثاني : سماع الملائكة هو تصرف من تصرفات الله تعالى في هذا الكون ، فإثباته إثبات لكمال ربوبية الله تعالى وألوهيته ، لأن الذي أسمعهم ذلك هو الله ، وتنزلت الملائكة لاستماع القرآن والذكر بأمر الله .

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ : " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ : «أَلاَ تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا ؟ » ، قَالَ : فَنَزَلَتْ : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ﴾ سورة مريم / ٦٤ ، رواه البخاري (٣٢١٨) .

أما السماع الذي يدّعيه المشركون لمعبوداتهم : فهو سماع شركي ، لأنهم ينسبون لهم ، بناء على هذا السماع ، بعض التصرفات التي هي خاصة بالله تعالى ، لا يشاركه فيها أحد من خلقه ، من العطاء والمنع ، والخفض والرفع ، وغفران الذنوب ، وكشف الكروب ، ونحو ذلك .

والغائب والميت ، حتى لو فرضنا ـ جدلا ـ أنه يسمع من يناديه ، فهو لا يملك إجابته ، لأن هذا من خصائص الربوبية .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ فاطر / ١٣ – ١٤ .

والله أعلم .

٣_هل يمكن للجن أن ترى الملائكة ؟

السؤال:

هل ترى الجنُ الملائكة ؟

الجواب :

الحمد لله

الملائكة - عليهم السلام - يمكن أن تتشكل على صورة أحد من البشر ، وأنه يمكن للإنسان أن يراهم على هذه الصورة ، أما صورهم التي خلقهم الله عليها : فلا يمكن لأحد من هذه الأمة أن يراهم عليها ، إلا رسول الله ﷺ .

أما الجن : فكذلك يمكن أن يروا الملائكة على تلك الهيئات المختلفة ، ولا يوجد في نصوص الشرع ما يمنع من ذلك فيما علمنا ، بل فيها ما يدل عليه في الجملة ، فقد رأى الشيطان الملائكة يوم بدر وفر هاربا ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ الأنفال/ ٤٨ .

روى الطبري رحمه الله في " تفسيره " (١٣/ ٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : " جاء إبليس يوم بدر في جُنْد من الشياطين ، معه رايته ، في صورة رجل من بني مُدلج ، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، فقال الشيطان للمشركين : (لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) ، فلما اصطف الناس ، أخذ رسول الله ﷺ قبضةً من التراب فرمى بها في وجوه المشركين ، فولّوا مدبرين . وأقبل جبريل إلى إبليس ، فلما رآه ، وكانت يده في يد رجل من المشركين ، انتزع . إبليس يده فولّى مدبرًا

هو وشيعته ، فقال الرجل : يا سراقة ، تزعم أنك لنا جار ؟ قال : (إني أرىٰ ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب) ، وذلك حين رأىٰ الملائكة " .

وروىٰ (١٣/ ١٠) عن الحسن قال : " سار إبليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده ، وألقىٰ في قلوب المشركين أن أحدًا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون علىٰ دين آبائكم ، ولن تغلبوا كثرةً ! فلما التقوا نكص علىٰ عقبيه – يقول : رجع مدبرًا – وقال : (إني بريء منكم إني أرىٰ ما لا ترون) ، يعني الملائكة " .

فهذه رؤية إبليس الذي هو أصل الجن للملائكة ، وهي رؤيا عذاب ، كرؤية الكافرين الملائكة وقت الاحتضار ويوم القيامة ، قال تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الفرقان: ٢٢ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ الأنفال: ٥٠ ، وقال : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنعام: ٩٣.

بخلاف رؤيا المؤمنين ، فإنها رؤيا رحمة وبشرىٰ ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ فصلت: ٣٠ – ٣٢ .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ :

" الْمَلَائِكَةَ فِي هَذَيْنَ الْيَوْمَيْنِ يَوْمِ الْمَمَاتِ وَيَوْمِ الْمَعَادِ تَتَجَلَّى لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْكَافِرِينَ ، فَتُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ ، وَتُخْبِرُ الْكَافِرِينَ بِالْخَيْبَةِ وَالْخُسْرَانِ ، فَلَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ " انتهىٰ من " تفسير ابن كثير" (٦/ ١٠٢) .

والحاصل : أننا لا نعلم من الأدلة الشرعية ما يمنع من رؤية الجن للملائكة ، بل ورد ما يدل على ثبوتها في الجملة .

والذي يحسن بالمسلم وينبغي له أن يهتم بما يعنيه من أمر دينه فيسأل عنه ويتعلمه ، أما التعمق والتكلف في السؤال عما لا يعنيه ولا يحتاج إليه ، فليس ذلك مما يحسن بالمسلم ، نسأل الله تعالى أن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح .

والله أعلم .

***

٤- هل يجوز للمسلم أن يسأل الله رؤية الملائكة ، أو التحدث إليهم ؟

السؤال:

في السؤال رقم : (٧٠٣٦٤) قلتم بأنه من الممكن أن يرى البشر الملائكة - عليهم السلام - إذا تمثلوا لهم على شكل بشر إن شاء الله تعالى ، بناء على ذلك ، هل يجوز شرعا أن يدعو المرء الله تعالى بأن يكلم أو يرى ملكا ؟

الجواب :

الحمد لله

أولا :

لا يمكن رؤية الملائكة عليهم السلام في صورتهم الحقيقية إلا لنبي ، ويجوز لسائر الناس أن يروهم على هيئات البشر ، كما سبق بيانه في الفتوى رقم : (٧٠٣٦٤) .

ثانيا :

رؤية الملائكة على سبيل الكرامة لا تكون إلا للمؤمنين ، أما غير المؤمنين فلا يرونهم إلا لعقوبتهم ونزول العذاب بهم ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الفرقان: ٢٢

قال السعدي رحمه الله :

" وذلك أنهم لا يرونها ، مع استمرارهم على جرمهم وعنادهم ، إلا لعقوبتهم وحلول البأس بهم " انتهى، من "تفسير السعدي" (ص ٥٨١)

وروى مسلم (٢٣٠٦) عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه ، قَالَ: " لَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم وَعَنْ يَسَارِهِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ ، يُقَاتِلَانِ عَنْهُ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ " ، وهذان الرجلان كانا من الملائكة .

قال النووي رحمه الله :

" فِيهِ أَنَّ رُؤْيَةَ الْمَلَائِكَةِ لَا تَخْتَصُّ بِالْأَنْبِيَاءِ ، بَلْ يَرَاهُمُ الصَّحَابَةُ وَالْأَوْلِيَاءُ " .

انتهى من "شرح النووي على مسلم" (١٥/ ٦٦) .

وروى أحمد (٢٠٣٥٠) عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: " خَرَجْتُ مِنْ أَهْلِي أُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَإِذَا أَنَا بِهِ قَائِمٌ ، وَرَجُلٌ مَعَهُ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ ، فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُمَا حَاجَةً ، قَالَ الْأَنْصَارِيُّ: وَاللهِ لَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى جَعَلْتُ أَرْثِي لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، لَقَدْ قَامَ بِكَ الرَّجُلُ حَتَّى جَعَلْتُ أَرْثِي لَكَ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ ، قَالَ : «وَلَقَدْ رَأَيْتَهُ ؟ » ، قُلْتُ: نَعَمْ ، قَالَ: « أَتَدْرِي مَنْ هُوَ؟ » ، قُلْتُ: لَا، قَالَ: « ذَاكَ جِبْرِيلُ ، مَا زَالَ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ » ، ثُمَّ قَالَ: « أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَلَّمْتَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ ».

فرؤية الملائكة لا تكون لكل أحد ، إنما هي فضيلة يختص بها الله تعالى من يشاء من عباده الصالحين .

ثالثا :

لا نعرف عن أحد من السلف طلب رؤية الملائكة أو طلب التحدث إليهم وسأل الله ذلك ، وإذا كان الرسول ﷺ لم يرشدنا إلى سؤال الله تعالى ذلك ، ولم يفعله السلف فإننا لا نفعله اقتداء بهم . فإن السلف الصالح لم يتركوا شيئا من الخير إلا سبقونا إليه .

قال ابن كثير رحمه الله :

" أهل السنة والجماعة يقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة : هو بدعة ؛ لأنه لو كان خيرا لسبقونا إليه ، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها " .

انتهى من " تفسير ابن كثير " (٧ / ٢٧٨-٢٧٩) .

وبناء على هذا ؛ فلا يشرع دعاء الله تعالى برؤية الملائكة أو التحدث إليهم .

ويتأكد ذلك بأمرين :

الأول :

أنه لا مصلحة شرعية في هذه الرؤية ، فلا يترتب عليها استحباب شيء ، ولا كراهته ، ولا غير ذلك من المصالح الشرعية الراجحة التي ينبغي أن يكون حرص المسلم على تحصيلها .

الثاني :

أن من يرى الملائكة ، لا يمكنه أن يراهم في صورتهم الملائكية الحقيقية ؛ بل يراهم في صورة بشرية يتمثلون فيها ؛ فإذا كان سيراهم كذلك ، فما فائدة التعني بطلب هذه الرؤية ، إذا كان إنما يرى صورة بشرية كغيرها من الصور التي يراها؟

وما الفارق الحقيقي أمامه بين هذه الصورة البشرية للملائكة ، والصور البشرية التي يراها أمامه ؟

وكيف سيأمن اللبس الحاصل بين الصورتين ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴾ ، قال الشيخ رشيد رضا ، رحمه الله : " أَيْ لَوْ جَعَلَ الرَّسُولَ مَلَكًا لَجَعَلَ الْمَلَكَ مُتَمَثِّلًا فِي صُورَةِ بَشَرٍ، لِتَمْكِينِهِمْ مِنْ رُؤْيَتِهِ وَسَمَاعِ كَلَامِهِ الَّذِي يُبَلِّغُهُ عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَلَوْ جَعَلَهُ مَلَكًا فِي صُورَةِ بَشَرٍ لَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ بَشَرٌ لِأَنَّهُمْ لَا يُدْرِكُونَ مِنْهُ إِلَّا صُورَتَهُ وَصِفَاتِهِ الْبَشَرِيَّةَ الَّتِي تَمَثَّلَ بِهَا، وَحِينَئِذٍ يَقَعُونَ فِي نَفْسِ اللَّبْسِ وَالِاشْتِبَاهِ الَّذِي يُلْبِسُونَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِاسْتِنْكَارِ جَعْلِ الرَّسُولِ بَشَرًا ، وَلَا يَنْفَكُّونَ يَقْتَرِحُونَ جَعْلَهُ مَلَكًا، وَقَدْ كَانُوا فِي غِنًى عَنْ هَذَا ، وَإِنَّمَا شَأْنُهُمْ فِيهِ شَأْنُ أَكْثَرِ

النَّاسِ حَتَّىٰ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ فِيمَا يُوقِعُونَ فِيهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْمُشْكِلَاتِ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ ، وَمَا يَخْتَرِعُونَهُ مِنَ الشُّبَهَاتِ بِسُوءِ فَهْمِهِمْ ، ثُمَّ يَحَارُونَ فِي أَمْرِ الْمَخْرَجِ مِنْهَا " .

انتهى من " تفسير المنار" (٧/ ٢٦٣) .

وينبغي للمسلم أن يشتغل بالعمل الصالح وبالأدعية التي علمنا إياها رسول الله ﷺ والتي تدور كلها حول دخول الجنة والنجاة من النار ، وأن يترك هذه الأماني التي لا عهد للسلف بها .

وليعلم العبد الناصح لنفسه : أن الكرامة الأعظم أن يرزق الله عبده الهداية والاستقامة ، وهذا هو الذي شرع لنا رسول الله ﷺ أن ندعو الله به ، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" غَايَةُ الْكَرَامَةِ لُزُومُ الِاسْتِقَامَةِ ، فَلَمْ يُكْرِمْ اللهُ عَبْدًا بِمِثْلِ أَنْ يُعِينَهُ عَلَىٰ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ ، وَيَزِيدُهُ مِمَّا يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ وَيَرْفَعُ بِهِ دَرَجَتَهُ " انتهى من "مجموع الفتاوى" (١١/ ٢٩٨) .

ولربما سأل العبد رؤية الملائكة فيريه الشيطان ما يوهمه به رؤيتهم والتحدث إليهم ، وهو في الحقيقة إنما رأى الشياطين وخاطبهم ، فيقع في الفتنة ، كما حصل لكثير من الناس ، ممن قل علمهم ودينهم ، وضعف عقلهم وفهمهم .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب ويرضى .

والله أعلم .

***

٥_هل يرى المحتضر ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ؟

السؤال:

هل كل شخص عندما يحتضر يرى ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب رؤيا العين وهل يتكلم معهم ويكلمونه ؟

الجواب :

الحمد لله

أولا :

إذا حضر الموت : فإن كان العبد من المؤمنين الصالحين ، نزلت عليه ملائكة الرحمة تبشره برحمة الله ، وإن كان من الكافرين العاصين ، نزلت عليه ملائكة العذاب ، تبشره بعذاب الله . فيراهم المؤمن والكافر جميعًا .

قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الفرقان: ٢٢.

قال ابن كثير رحمه الله :

" أي : هُمْ لَا يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ فِي يَوْمِ خَيْرٍ لَهُمْ ، بَلْ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ ، وَذَلِكَ يَصْدُق عَلَىٰ وَقْتِ الِاحْتِضَارِ حِينَ تُبَشِّرُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بِالنَّارِ ، وَغَضَبِ الْجَبَّار ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لِلْكَافِرِ عِنْدَ خُرُوجِ رُوحِهِ : اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَمومٍ وحَميم، وظلٍّ مِنْ يَحْمُوم. فَتَأْبَىٰ الْخُرُوجَ وَتَتَفَرَّقُ فِي الْبَدَنِ ، فَيَضْرِبُونَهُ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ الأنفال: ٥٠. وَقَالَ : و﴿لَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ ﴾ أَيْ : بِالضَّرْبِ ، ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

الأنعام: ٩٣ ؛ ولهذا قال في هذه الآية الْكَرِيمَةِ : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ ، وَهَذَا بِخِلَافِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ فِي وَقْتِ احْتِضَارِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ يُبَشَّرُونَ بِالْخَيْرَاتِ ، وَحُصُولِ الْمَسَرَّاتِ . قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) ﴾ فصلت: ٣٠ - ٣٢.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ ﴾ يَعْنِي : يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَهُ مُجَاهِد ، وَالضَّحَّاكُ ؛ وَغَيْرُهُمَا .

وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ يَوْم الْمَمَاتِ وَيَوْم الْمَعَادِ تَتَجَلَّى لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْكَافِرِينَ، فَتُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ، وَتُخْبِرُ الْكَافِرِينَ بِالْخَيْبَةِ وَالْخُسْرَانِ، فَلَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ " انتهى من "تفسير ابن كثير" (٦/ ١٠١-١٠٢).

وروى الإمام أحمد (١٨٥٣٤) عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، عليه السلام ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ، اخْرُجِي إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ ... وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ، اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ ، فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ ، فَيَأْخُذُهَا... » الحديث ، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (١٦٧٦).

وروىٰ الطبري في "تفسيره" (١٣/ ٦٦٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : " إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ شَهِدَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَبَشَّرُوهُ بِالْجَنَّةِ " .

وقال ابن القيم رحمه الله :

" تنزل الملائكة علىٰ المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدهم عيانا ويتحدثون عنده ، ومعهم الأكفان والحنوط ، إما من الجنة وإما من النار ، ويؤمنون علىٰ دعاء الحاضرين بالخير والشر ، وقد يسلمون علىٰ المحتضر ويرد عليهم تارة بلفظه وتارة بإشارته وتاره بقلبه ، حيث لا يتمكن من نطق ولا إشارة

وقد سُمع بعض المحتضرين يقول : أهلا وسهلا ومرحبا بهذه الوجوه .

وأخبرني شيخنا عن بعض المحتضرين ، فلا أدرىٰ أشاهده أم أخبر عنه ؟ أنه سُمع وهو يقول : عليك السلام ها هنا فاجلس ، وعليك السلام ها هنا فاجلس ....

ثم ذكر ابن القيم بعض ما ورد في ذلك ، ثم قال :

" وأبلغ وأكفىٰ من ذلك كله قول الله عز وجل : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ ﴾ الواقعة: ٨٣ - ٨٥. أي: أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا ، ولكنكم لا ترونهم ، فهذا أول الأمر ، وهو غير مرئي لنا ولا مشاهد ، وهو في هذه الدار .

ثم يمد الملك يده إلىٰ الروح فيقبضها ويخاطبها ، والحاضرون لا يرونه ولا يسمعونه ، ثم تخرج فيخرج لها نور مثل شعاع الشمس ورائحة أطيب من رائحة المسك ، والحاضرون لا يرون ذلك ولا يشمونه ، ثم تصعد بين سماطين من الملائكة والحاضرون لا يرونهم ... " انتهىٰ من "الروح" (ص ٦٤-٦٥).

فالمحتضر يرىٰ الملائكة ، وتكلمه الملائكة وتبشره إما بالجنة وإما بالنار .

أما كلامه معهم ، فقد يقع ذلك لبعض الناس كما ذكر ابن القيم رحمه الله .

٦_ الملائكة أجسام نورانية ، لا تقاس طبائعهم وأحوالهم بطبائع وأحوال البشر.

السؤال:

إذا كان للملائكة أحجام فلماذا تتنزل في يوم كان مقداره ألف سنة ؟

الجواب :

الحمد لله

أولا :

يقول الله ﷻ : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ السجدة: ٥ .

قال ابن كثير رحمه الله :

" أَيْ يَتَنَزَّلُ أَمْرُهُ مِنْ أَعْلَى السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَى تُخُومِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ ، وَتُرْفَعُ الْأَعْمَالُ إِلَى دِيوَانِهَا فَوْقَ سَمَاءِ الدُّنْيَا وَمَسَافَةُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ وَسُمْكُ السَّمَاءِ خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ : النُّزُولُ مِنَ الْمَلَكِ فِي مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ وَصُعُودُهُ فِي مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَلَكِنَّهُ يَقْطَعُهَا فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ " انتهى من "تفسير ابن كثير" (٦ / ٣٥٩) .

ثانيا :

روى مسلم (٢٩٩٦) عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » .

فالملائكة أجسام نورانية ، وليست – كما يزعم بعض الجهال – أرواحا بلا أجسام ، ولا هي أيضا : أنفس خيرة فارقت أجسادها ، أو قوىٰ علوية ، أو معان سامية ، أو هي هذه الكواكب ، وغير ذلك من الأقوال الباطلة .

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ :

" الملائكة أجسام ، وليست أرواحا، بلا أجسام ، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ حجبهم عنا، جعلهم عالما غيبيا، كما أن الجن أجسام ولكن الله عَزَّوَجَلَّ حجبهم فجعلهم عالما غيبيا.

وقد تظهر الملائكة في صورة إنسان ، كما جاء جبريل إلىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة بصورة دحية الكلبي، ومرة بصورة رجل غريب لا يرىٰ عليه أثر السفر ولا يعرفه الصحابة ، وعليه ثياب بيض ، شعره أسود ، وجلس إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأشراطها " .

انتهىٰ باختصار من " شرح رياض الصالحين " (٤/ ٣٩٢-٣٩٣) .

وقال الشيخ أيضا :

" الملائكة أجسام بلا شك ، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ ﴾ فاطر: ١ ، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أطت السماء » والأطيط: صرير الرحل ، أي إذا كان علىٰ البعير حمل ثقيل ، تسمع له صريراً من ثقل الحمل ، ويدل لهذا حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ : أن له ستمائة جناح قد سد الأفق ، والأدلة علىٰ هذا كثيرة .

وأما من قال: إنهم أرواح لا أجسام لهم ، فقوله منكر وضلال، وأشد منه نكارةً من قال: إن الملائكة كناية عن قوىٰ الخير التي في نفس الإنسان ، والشياطين كناية عن قوىٰ الشر، فهذا من أبطل الأقوال " .

انتهىٰ مختصرا من " شرح الأربعين النووية " (ص ٦١-٦٢) ، وينظر : " مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين " (٥/ ١١٨-١١٩) .

وقال الشيخ عمر الأشقر رحمه الله :

" ولما كانت الملائكة أجساماً نورانيَّة لطيفة ؛ فإن العباد لا يستطيعون رؤيتهم ، خاصة أن الله لم يُعطِ أبصارنا القدرة على هذه الرؤية ، ولم يرَ الملائكةَ في صُوَرهم الحقيقية من هذه الأمَّة إلا الرسول ﷺ ؛ فإنه رأى جبريل مرتين في صورته التي خلَقه الله عليها ، وقد دلَّت النصوص على أن البشر يستطيعون رؤية الملائكة إذا تمثَّلت الملائكة في صورة البشر " انتهى من "عالَم الملائكة الأبرار" (ص ١١) .

والخلاصة :

أن الملائكة عليهم السلام خلقوا من نور ، فهم أجسام نورانية ، ليست على طبيعة البشر ، يقومون على طاعة الله عز وجل وعبادته ، ولا تقاس أفعالهم وطبائعهم وأحوالهم بأفعال وطبائع وأحوال البشر ، فهم يتنزلون بالأمر من أمر ربهم ويعرجون إليه في لحظة ، وذلك في حساب بني آدم : كألف سنة مما يعدون .

وهذا من علم الغيب الذي يجب علينا أن نؤمن به ونسلم فيه لله رب العالمين .

ثم ، لا ندري ما وجه التعارض بين أن تكون الملائكة : أجساما ، وأحجاما ، أو : حتى لا تكون كذلك ، وبين أن تتنزل في يوم كان مقداره ألف سنة ، فلا كونها أجساما يمنع ذلك التنزل ، ولا عدم كونها كذلك يمنعه ، أو يوجبه أيضا .

والذي ينبغي على العبد أن يبحث عما ينفعه في دينه ، ويسأل عنه .

وينظر للفائدة : كتاب : " عالم الملائكة الأبرار " ، للشيخ عمر سليمان الأشقر ، رحمه الله ، ففيه أشياء كثيرة نافعة في هذا الباب .

والله تعالى أعلم .

٧ _ هل تؤمن الملائكة على ما يخطر على قلب المسلم من الدعاء على أخيه المسلم ؟

السؤال:

هل الملائكة تؤمن على ما تحدث به النفس ؟ أعلم لو أننا دعونا ونطقنا بالدعاء أنهم يؤمنون ولكن ماذا لو دعوت في نفسي ؟ فمثلا : لو أن شخصا أساء إلي تأتيني أفكار سيئة نحوه ولا أقصد له أي أذى و إنما هي أفكار (ردة فعل) .

الجواب :

الحمد لله

أولا :

لا يؤاخذ المسلم بما حدث به نفسه أو وسوس به إليه شيطانه ما لم يعمل به أو يتكلم ؛ لقوله ﷺ : « إِنَّ اللهَّ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ » رواه البخاري (٤٩٦٨) ، ومسلم (١٢٧) .

وعلى المسلم أن يدافع تلك الخواطر وأن لا ينساق وراءها .

وهذا يشمل جميع الخواطر التي ترد على النفس بلا استثناء .

قال النووي رحمه الله :

" الخواطر ، وحديث النفس ، إذا لم يستقرَّ ويستمرّ عليه صاحبُه فمعفوٌ عنه باتفاق العلماء ؛ لأنه لا اختيارَ له في وقوعه ، ولا طريقَ له إلى الانفكاك عنه .

وهذا هو المراد بما ثبتَ في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنَّ اللهَّ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي ما حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَها ما لَمْ تَتَكَلَّم بِهِ أَوْ تَعْمَلْ » .

قال العلماء : المراد به الخواطر التي لا تستقرّ .

قالوا : وسواءٌ كان ذلك الخاطِرُ غِيبة أو كفراً أو غيرَه ، فمن خطرَ له الكفرُ مجرّد خَطَرٍ من غير تعمّدٍ لتحصيله ، ثم صَرفه في الحال ، فليس بكافر ، ولا شئ عليه .

وسببُ العفو ما ذكرناه من تعذّر اجتنابه ، وإنما الممكن اجتناب الاستمرار عليه ؛ فلهذا كان الاستمرار وعقد القلب حراما . ومهما عرض لك هذا الخاطرُ بالغيبة وغيرها من المعاصي ، وجبَ عليك دفعُه بالإعراض عنه وذكر التأويلات الصارفة له عن ظاهره " انتهى من " الأذكار" (ص/ ٣٤٥) .

وقد تقدم في جواب السؤال رقم : (١٣٦٤١٥) أنه إذا وقع السب في القلب كحديث نفس ، ولم يقصده صاحبه ، ولم ينطق به ، أن ذلك من حديث النفس المعفو عنه .

فكذلك الدعاء عليه ، فإذا لم تقصد إليه ولم تتلفظ به ، ولم تتمن له الشر ، وإنما هي مجرد خواطر يوردها الشيطان على قلب المسلم ليفسد ما بينه وبين أخيه ، فإنه لا حرج عليك في شيء من ذلك ، وعليك أن تدفع عن نفسك هذه الخواطر ، ثم ادع لصاحبك بالخير حتى تراغم الشيطان وتذله .

وعلى هذا : فإن الملائكة تؤمن على من تدعو له من الخير ، ولا تؤمن على ما يورده الشيطان على قلبك من الوساوس والخطرات وحديث النفس .

والله أعلم .

***

٨_ دعاء الملائكة من أقرب الدعاء إجابة !!

السؤال :

علمنا من القرآن والسنة أن الملائكة تدعو للبشر في مناسبات مختلفة . والسؤال هو : ما أهمية دعاء الملائكة للبشر ؟ هل دعاؤهم أفضل من دعاء البشر ، وبالتالي إمكانية استجابته أكبر ؟ وما هو الاعتقاد الصحيح في هذه المسألة ؟

الجواب :

الحمد لله

الملائكة عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، فهم مطبوعون على السمع والطاعة المطلقة لله تعالى ، ومن ثَمّ كان دعاؤهم أقرب للإجابة .

قال ابن بطال رحمه الله :

" ومعلوم أن دعاء الملائكة مجاب " انتهى من " شرح صحيح البخارى " (٣/ ٤٣٩) .

وقال السندي رحمه الله :

" دُعَاءُ الْمَلَائِكَةِ يُرْجَى اسْتِجَابَتُهُ " انتهى من " حاشية السندي على سنن ابن ماجه " (٢/ ٢٢٤) .

وقال أبو الحسن المباركفوري رحمه الله :

" دعاء الملائكة مستجاب " انتهى من " مرعاة المفاتيح " (٥/ ٣٠٩) .

وانظر : " عمدة القاري " (٨/ ٣٠٧) ، " التيسير بشرح الجامع الصغير " (١/ ٩٤) .

وروى البخاري (٣٢٣٧) ، ومسلم (١٤٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" قَالَ ابن أَبِي جَمْرَةَ : وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى قَبُولِ دُعَاءِ المَلَائِكَةِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، لِكَوْنِهِ ﷺ خَوَّفَ بِذَلِكَ " انتهى من " فتح الباري " (٩/ ٢٩٥) ، وينظر : " دليل الفالحين " لابن علان (٣/ ١٠٩) .

والآيات والأحاديث الواردة في دعاء الملائكة لأصناف المؤمنين ، كدعائهم للتائبين ، ودعائهم لمن يدعو لإخوانه بظهر الغيب ، وصلاتهم على الماكثين في المسجد ، ونحو ذلك ، دليل على أن لدعائهم فضلا ، وأنه حري بالإجابة ، وخاصة إذا كثر وتكرر .

روى البخاري (٤٤٥) ومسلم (٦٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ ، مَا لَمْ يُحْدِثْ ، تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ » .

قال ابن بطال رحمه الله :

" فمن كان كثير الذنوب ، وأراد أن يحطها الله عنه بغير تعب : فليغتنم ملازمة مكان مصلاه بعد الصلاة ، ليستكثر من دعاء الملائكة ، واستغفارهم له، فهو مرجو إجابته لقوله : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) الأنبياء/ ٢٨ ، وقد أخبر عليه السلام أنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة : غفر له ما تقدم من ذنبه ، وتأمين الملائكة إنما هو مرة واحدة عند تأمين الإمام ، ودعاؤهم لمن قعد في مصلاه دائما أبدًا ، ما دام قاعدًا فيه، فهو أحرى بالإجابة " انتهى من " شرح صحيح البخارى " (٢/ ٩٥) .

وروىٰ أبو داود (٣٦٤١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ » .

قال ابن جماعة رحمه الله :

" اعلم أنه لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له وتضع له أجنحتها ، وإنه لينافَس في دعاء الرجل الصالح ، أو من يظن صلاحه ؛ فكيف بدعاء الملائكة ؟ " انتهىٰ من " تذكرة السامع " (ص٥٢) .

والله أعلم .

٩_ هل رأى السامري جبريل عليه السلام ؟

السؤال :

في قوله تعالى حكاية عن السامري : ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ ﴾ طه: ٩٦ ، قرأت أقوال المفسرين ، أن السامري رأى جبريل عليه السلام على فرسه ، وأنه أخذ ترابا من تحت الفرس ، واستفاد به في صناعة العجل .

سؤالي هو :

كيف رأى السامري جبريل عليه السلام وهو بشر ، والبشر لا يرون الملائكة على هيئتهم ، وهل ورد في أحد التفسيرات أن السامري هو المسيح الدجال ؟

الجواب :

الحمد لله

ينقل المفسرون عن جماعة من الصحابة والتابعين تفسيرهم هذه الحادثة بما ذكرته في السؤال ، وهو أن السامري رأى فرس جبرائيل فتناول قبضة من أثر حافره ، فألقاها على ما جمعه من ذهب بني إسرائيل فأصبح عجلا له خوار ، فذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ ﴾ طه: ٩٥ – ٩٦.

وقد أورد المفسرون على هذا التوجيه إشكالات عدة ، سيتبين بعضها فيما يأتي من جواب على إشكال السائل ، وهو كيف رأى السامري جبريل والمعلوم أن البشر لا يرون الملائكة .

والجواب على ذلك يمكن من وجوه عدة :

الأول :

أن الله y هو الذي جعل السامري فتنة ، فأراه جبريل عليه السلام ليستكمل الحكمة الإلهية في فتنة بني إسرائيل في هذا العجل الصنم ، ولا مانع من رؤية البشر للملائكة ، استثناء ، بتمكين من الله سبحانه وتعالى ، لحكمة يعلمها عز وجل ، فهو على كل شيء قدير ، ورؤية الملائكة ليست من المحالات في نفسها ، بل هي من الممكنات بإرادة الله سبحانه .

الثاني :

أن الآثار الواردة في تفسير الحادثة لا تتحدث عن رؤية السامري جبرائيل عليه السلام ، وإنما تتحدث عن رؤية أثر حافر فرسه ، وفرق ظاهر بين الأمرين ، إذ لا مانع أن يرى فرسا ، ويرى عليه هيئة ملائكية لا يتمكن من تمييزها ومشاهدة صورتها وحقيقتها ، وإنما يعلم أنه ملاك على فرس ، فيأخذ قبضة من أثر ذلك الفرس .

ولو تأملت معنا تفسير الصحابة والتابعين مرة أخرى أدركت هذا الفارق :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

" لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار ، وتكسرت ، ورأى السامري أثر فرس جبرائيل عليه السلام ، فأخذ ترابا من أثر حافره ، ثم أقبل إلى النار فقذفه فيها ، وقال : كن عجلا جسدا له خوار ، فكان للبلاء والفتنة " .

وعن مجاهد قال :

" من تحت حافر فرس جبرائيل ، نبذه السامريّ على حلية بني إسرائيل ، فانسبك عجلا جسدا له خوار " .

وعن قتادة : ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ " يعني : فرس جبرائيل عليه السلام ، وقوله : ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ يقول : قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرائيل "

رواها الطبري بأسانيده في " جامع البيان " (١٨/ ٣٦٢) ، ورواها غيره من المفسرين . فكلها دلالتها واضحة أنه " رأي أثر فرس جبريل " ، وليس جبريل نفسه .

الثالث :

لماذا نفترض أن رؤية جبريل عليه السلام تمت على هيئته الحقيقية ، وليس على صورة تشكل بها ، كما تشكل في صورة أعرابي جاء يسأل النبي محمدا صلى الله عليه وسلم عن أركان الإسلام والإيمان ؛ أليس هذا هو الأقرب ؟! فصورة جبريل الحقيقية تسد الأفق ، ولا يناسبها الركوب على الفرس ، بل الغالب أن هيئة الركوب لا تتم إلا في صورة غير الصورة الملائكية الحقيقية ، ذلك أن جبريل له ستمائة جناح ، فلا حاجة للفرس معها .

الرابع :

نحا جماعة إلى إن تفسير الآية : ليس هو على هذا الوجه المروي ، عمن روي عنه من السلف ؛ فلم ير أحد جبريل عليه السلام ، ولم يأخذ السامري قبضة من أثر فرسه ، وما يروى في هذا الشأن : لم يسلموا به .

يقول أبو مسلم الأصفهاني المعتزلي (٣٢٢هـ) :

" ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون ، فههنا وجه آخر ، وهو أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام ، وبأثره : سنته ورسمه الذي أمر به . فقد يقول الرجل : فلان يقفو أثر فلان ، ويقبض أثره : إذا كان يمتثل رسمه .

والتقدير : أن موسى عليه السلام لما أقبل على السامري باللوم والمسألة عن الأمر الذي دعاه إلى إضلال القوم في باب العجل ، فقال : بصرت بما لم يبصروا به ، أي عرفت أن الذي أنتم عليه ليس بحق ، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول ، أي شيئا

من سنتك ودينك ، فقذفته أي طرحته . فعند ذلك أعلمه موسى عليه السلام بما له من العذاب في الدنيا والآخرة .

وإنما أورد بلفظ الإخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له ما يقول الأمير في كذا وبماذا يأمر الأمير ، وأما دعاؤه موسى عليه السلام رسولا ، مع جحده وكفره فعلى مثل مذهب من حكى الله عنه قوله : (يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) [الحجر: ٦] وإن لم يؤمنوا بالإنزال " انتهى من " تفسير أبي مسلم الأصفهاني " (ص/ ١٩١-١٩٢)

ومع ما في بعض وجوه هذا التأويل من التكلف والنظر الظاهر ، فقد انتصر له الرازي في تفسيره " مفاتيح الغيب " (٢٢/ ٩٥-٩٦) بشدة ، ورجح هذا القول أيضا من المتأخرين العلامة القاسمي في " محاسن التأويل " (٧/ ١٤٤) حيث وصف قول الجمهور بأنه " ليس عليه أثارة من علم ولا يدل عليه التنزيل الكريم " انتهى .

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور رحمه الله :

" هذا الذي ذكروه [يعني ما ذهب إليه جمهور المفسرين من رؤية السامري فرس جبريل] لا يوجد في كتب الإسرائيليين ، ولا ورد به أثر من السنة ، وإنما هي أقوال لبعض السلف ، ولعلها تسربت للناس من روايات القصاصين .

فإذا صرفت هذه الكلمات الست إلى معان مجازية كان :

(بصرت) بمعنى علمت واهتديت ، أي اهتديت إلى علم ما لم يعلموه ، وهو علم صناعة التماثيل والصور الذي به صنع العجل ، وعلم الحيل الذي أوجد به خوار العجل .

وكانت (القبضة) بمعنى النصيب القليل .

وكان (الأثر) بمعنى التعليم ، أي الشريعة .

وكان (نبذت) بمعنى : أهملت ونقضت .

أي : كنت ذا معرفة إجمالية من هدي الشريعة ، فانخلعت عنها بالكفر .

وبذلك يصح أن يحمل لفظ (الرسول) على المعنى الشائع المتعارف ، وهو من أوحي إليه بشرع من الله وأمر بتبليغه .

وكان المعنى : إني بعملي العجل للعبادة ، نقضت اتباع شريعة موسى . والمعنى : أنه اعترف أمام موسى بصنعه العجل ، واعترف بأنه جهل ، فَضَلَّ ، واعتذر بأن ذلك سولته له نفسه .

وعلى هذا المعنى فسر أبو مسلم الأصفهاني ، ورجحه الزمخشري بتقديمه في الذكر على تفسير الجمهور ، واختاره الفخر " انتهى من " التحرير والتنوير " (١٦/ ٢٩٦) .

وقد توسع العلامة الألوسي رحمه الله في تفسيره " روح المعاني " (٨/ ٥٦٤-٥٦٥) ، في الجواب عن حجج أبي مسلم الأصفهاني ، ومن بعده الرازي ، على ما ذهبوا إليه .

ودعا أبو منصور الماتريدي إلى السكوت عما سكت القرآن عنه ، من غير زيادة ولا نقصان في تفسير تلك الحادثة .

ينظر: " تأويلات أهل السنة " ، للماتريدي (٧/ ٣٠٤) .

وعلى كل حال ، لسنا بصدد الترجيح بين الأوجه السابقة ، بقدر ما نقصد إلى بيان تعدد الإجابات على إشكال السائل ، ويبقى الترجيح في المسألة محتملا ؛ إذ لم يرد فيها نص عن النبي المعصوم عليه الصلاة والسلام .

وأخيرا ، فإننا لم نجد أحدا من العلماء ، ولا في شيء من الروايات ما يشير إلى أن السامري هو المسيح الدجال الذي يظهر في آخر الزمان ، اللهم إلا إشارة عند الزركشي في " البرهان في علوم القرآن " (٢/ ١٤٠) ينقل فيها عن أحد العلماء فيقول

: " وقع سؤال بين جماعة من الفضلاء في أنه : ما الحكمة أنه لم يذكر الدجال في القرآن . وتلمحوا في ذلك حِكَمًا ، ثم رأيت هذا الإمام قال : إن في القرآن تعريضا بقصته ، في قصة السامري ، وقوله سبحانه : (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ) طه/ ٩٧ " انتهى .

ولكنه توجيه عار عن الصحة ، لا يقوم على أساس صحيح ، ولا توجيه مقبول ، فحكاية السامري تختلف اختلافا كليا عن المسيح الدجال ، ولا حاجة للربط بينهما من غير دليل . والآية الكريمة في تأجيل السامري إلى موعد لن يخلفه : المقصود بها يوم القيامة ، فهو الموعد الذي ينتظره جميع الخلائق .

يقول ابن كثير رحمه الله :

" (وإن لك موعدا) أي : يوم القيامة . (لن تخلفه) أي : لا محيد لك عنه " .

انتهى من " تفسير القرآن العظيم " (٥/ ٣١٤) .

والله أعلم .

***

١٠_هل ثبت أنه كلما قُتل ثعبان تحرر مَلَك ؟!

السؤال:

هل صحيح أنه بقتل كل ثعبان يُحرر مَلَك ؟

الجواب :

الحمد لله

لا أصل لهذا الكلام ، ولا علاقة للثعابين بالملائكة عليهم السلام ، والملائكة عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وليسوا بعبيد مقهورين لغير الله تعالى ، ولا لأحد سلطان عليهم إلا الله ، ولا يقوى خلق من خلق الله ، الجان فمن سواهم ، على أن يتسلطوا عليهم .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٦ - ٢٨.

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ مريم: ٦٤.

" وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صلى الله عليه وسلم اسْتَبْطَأَ نُزُولَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ الله جِبْرِيلَ أَنْ يُخْبِرَهُ بِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ إِلَّا بِأَمْرِ اللهَّ " .

انتهى من "فتح القدير" (٣/ ٤٠٤) .

وعالم الملائكة وعالم الجن من عالم الغيب ، والغيب لله وحده ، فلا يجوز الخوض فيه بغير علم .

١١_ هل يُعدّ قولها : " شعرك كالرعدة " استهزاء بالدين ؟!

السؤال:

مرة كان شعري هائجا جدا ، لأني لم أمشطه لمدة طويلة ، وبقيت أختي ورائي تصففه لي ، وأنا أضحك، ثم قالت: إنه كالرعدة ، لحجمه الكبير وغزارته ، وبقيت أضحك ، لكني خفت في نفس الوقت أن يكون استهزاءً بالدين ، لأني قرأت مرة أنّ الرعد ملاك ؛ فما حكم هذا ؟

الجواب :

الحمد لله

أولا :

روى الترمذي (٣١١٧) وحسنه ، وأحمد (٢٤٨٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ» فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «زَجْره بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ» قَالُوا: صَدَقْتَ.

وصححه الألباني في "صحيح الترمذي" .

ورواه الطبري وغيره عن ابن عباس من قوله ، وعن مجاهد وعكرمة وأبي صالح وشهر بن حوشب .

انظر : "تفسير الطبري" (١/ ٣٣٨-٣٤١) ، "الأدب المفرد" (٧٢٢) ، "الدر المنثور" (٤/ ٦٢٠-٦٢٣)

وقال ابن عبد البر رحمه الله :

" جمهور أهل العلم مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ يَقُولُونَ : الرَّعْدُ مَلَكٌ يَزْجُرُ السَّحَابَ " انتهى من "الاستذكار" (٨/ ٥٨٨)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَقْوَالٌ لَا تُخَالِفُ ذَلِكَ. كَقَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إنَّهُ اصْطِكَاكُ أَجْرَامِ السَّحَابِ بِسَبَبِ انْضِغَاطِ الْهَوَاءِ فِيهِ ، فَإِنَّ هَذَا لَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الرَّعْدَ مَصْدَرُ رَعَدَ يَرْعَدُ رَعْدًا، وَكَذَلِكَ : الرَّاعِدُ يُسَمَّى رَعْدًا، كَمَا يُسَمَّى الْعَادِلُ عَدْلًا. وَالْحَرَكَةُ تُوجِبُ الصَّوْتَ ، وَالْمَلَائِكَةُ هِيَ الَّتِي تُحَرِّكُ السَّحَابَ وَتَنْقُلُهُ مِنْ مَكَانٍ إلَى مَكَانٍ ، وَكُلُّ حَرَكَةٍ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ فَهِيَ عَنْ الْمَلَائِكَةِ .

فَالرَّعْدُ إذًا : صَوْتٌ يَزْجُرُ السَّحَابَ ، وَكَذَلِكَ الْبَرْقُ قَدْ قِيلَ: لَمَعَانُ الْمَاءِ أَوْ لَمَعَانُ النَّارِ ، وَكَوْنُهُ لَمَعَانَ النَّارِ أَوْ الْمَاءِ ، لَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ اللَّامِعُ مِخْرَاقًا بِيَدِ الْمَلَكِ ، فَإِنَّ النَّارَ الَّتِي تَلْمَعُ بِيَدِ الْمَلَكِ كَالْمِخْرَاقِ ، مِثْلَ مُزْجِي الْمَطَرِ. وَالْمَلَكُ يُزْجِي السَّحَابَ كَمَا يُزْجِي السَّائِقُ لِلْمَطِيِّ " انتهى من "مجموع الفتاوى" (٢٤/ ٢٦٣-٢٦٤)

ثانيا :

قول أختك أن شعرك كالرعدة لوفرته وكثرته ليس من الاستهزاء بالدين في شيء ، ولكنه من التشبيه ، حيث شبهت الشعر الكثيف المنتشر بالرعد الذي ينتشر صوته في أفق السماء .

وقائل هذا لا يعني بالرعد : الملك الموكل بذلك ، بل يعني به : الصوت الذي نسمعه ، وكلاهما يسمى رعدا ، من غير تعارض ، كما مر في كلام شيخ الإسلام ؛ فإذا قدر أن هذا الكلام كان على وجه المزاح والسخرية ، فلا علاقة لذلك بالملك أصلا ، إنما السخرية من الشعر ، والحديث أيضا عن الصوت الذي نسمعه ، لا يرد على البال شيء من أمر الملك أصلا .

والواجب الحذر من الاسترسال مع الوساوس التي يلقيها الشيطان في نفس ابن آدم ، ليُهمه ويحزنه ويشككه في اعتقاده ويتهمه في دينه .

وقد تقدم في جواب السؤال رقم : (١٦٣٦٢٧) أن القول أو الفعل إذا لم يدل على الاستخفاف والانتقاص والتهكّم ، فلا يكون من الاستهزاء بالدين .

والله تعالى أعلم .

***

١٢_ فعال الملائكة وأحوالهم لا تقاس بأفعال وأحوال البشر

السؤال :

بداية أشكركم إخواني الكرام على مجهودكم العظيم في هذا الموقع المبارك، سؤالي بخصوص فتوى في موقعكم تتحدث عن اليوم الذي يساوي ألف سنة، هل لكم أن توضحوا لنا يا شيخ إذا كان اليوم يساوي ألف سنة كما ذكر في سورة السجدة وأن سمك السموات ٥٠٠ عامًا وأن ما بين السماء والأرض ٥٠٠ عامًا، كما في تفسير ابن كثير، فكيف تحمل الملائكة الأوامر والأفعال وتخترق السموات في لمح البصر؟

ولقد سمعت أيضًا من "ذاكر نايك" أن كلمة "يوم" في اللغة العربية تعني أيضًا "الفترة"، فما رأيكم يا شيخ في ضوء القرآن والسنة؟

سؤالي الثاني : سمعت أن أحد أسباب الرزق هو الزواج، فهل هذا صحيح؟

الجواب :

الحمد لله

أولا :

قال الله ﷻ :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ السجدة: ٥

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

" ترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة ، وسمك السماء خمسمائة سنة.

وقال مجاهد، وقتادة، والضحاك : النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ " انتهى من "تفسير ابن كثير" (٦ / ٣٥٩) ، وينظر: "تفسير البغوي" (٦ / ٣٠٠) .

ومثل هذا الغيب لا بد من التسليم فيه للنص الشرعي إذا ثبت فيه ، ولا يقال لم ؟ ولا يقال كيف ؟ لأن الله تعالى على كل شيء قدير ، وقد أحاط بكل شيء علما ، لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ، ولا يُسأل عما يفعل .

وإذا كان الواحد منا اليوم يمكنه أن يتصل بمن في أقصى الأرض فيراه ويسمع صوته في ذات الوقت ، وإذا كنا نشاهد على شاشات التليفزيون المشاهد وقت حصولها وحدوثها وبيننا وبينها آلاف الأميال ، فكيف نتساءل أو نتعجب لنزول الملائكة من السماء ثم صعودها في يوم واحد ، وذلك لا يحصل إلا بإذن الله تعالى وقدرته .

ثم انظر إلى ما أمكن الله عباده منه الآن من السفر بالطائرات على اختلاف أنواعها ، ومركبات الفضاء : هل كان الناس يتصورن قديما أن البشر يسافرون في مثل هذا ، ويقطعون المسافات بتلك السرعة ؟!

وأين تقع قدرة البشر بالنسبة إلى قدرة الله العلي القدير سبحانه ، وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ، وهو القائل : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ البقرة: ١١٧ وقال سبحانه ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ النحل: ٤٠ ، فلا يستعصي عليه شيء ، ولا يمتنع منه .

والملائكة إنما تنزل وتصعد بأمر الله ، فهو سبحانه الذي أقدرهم على ما أقدرهم عليه من الأعمال والتكاليف .

والملائكة خلق عظيم لا يقدر قدره إلا الله . ولهم من الإمكانات والقدرات ما لا يحيط به علم عالِم من البشر .

وهذا ملك الموت عليه السلام يقبض أرواح الخلائق في لحظة ، ومنهم من هو في أقصىٰ الغرب ومنهم من هو في أقصىٰ الشرق .

فإذا علمت أن هذه القدرة إنما خصهم الله بها ، ولولا الله ما قدروا علىٰ فعل شيء ، فهي في الحقيقة منسوبة إليه سبحانه زال عنك العجب .

ثانيا :

اليوم في اللغة مِقدارُه من طلوع الشمس إِلىٰ غروبها .

وقد يُرادُ باليوم في لغة العرب : الوقتُ مطلقاً ؛ أيا كان قدره ، ومنه الحديث « **بين يديّ السّاعة أَيّامُ الهَرْج** » رواه البخاري (٧٠٦٧) ومسلم (٢٦٧٢) أي وقتُه ، ولا يختص ذلك بالنهارِ دون الليل . راجع : "لسان العرب" (١٢ / ٦٤٩)

وجاء في "المصباح المنير" (٢/ ٦٨٣) : " والعرب قد تطلق (اليَوْمَ) وتريد الوقت والحين نهارا كان أو ليلا ، فتقول : ذخرتك لهذا اليوم ؛ أي : لهذا الوقت الذي افتقرتُ فيه إليك ، ولا يكادون يفرقون بين : يومئذ ، وحينئذ ، وساعتئذ " انتهىٰ .

فإذا كانت اللغة تدل علىٰ أن اليوم ربما أرادت به العرب : مطلق الفترة والوقت ، فقد ورد بذلك الإطلاق أيضا في الاستعمال الشرعي ؛ فلا تعارض إذاً بين اللغة وما جاء في الشرع .

وما أحسن ما رواه الطبري رحمه الله في "تفسيره" (١٣/ ٦٠٢) بسند صحيح عن ابن أبي مليكة، أن رجلا سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ قال: إنما سألتك لتخبرني، قال: " هما يومان ذكرهما الله في القرآن، الله أعلم بهما " فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

ثالثا :

الزواج لطلب العفاف ، سبب من أسباب حصول الرزق لصاحبه ، بإذن الله وتقديره ؛ قال الله تعالى ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾ ﴾ النور: ٣٢.

وقال رسول الله ﷺ : « ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ : الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالْمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ » رواه الترمذي (١٦٥٥) وحسنه الألباني في "صحيح الترمذي" .

والله أعلم .

***

١٣_ ليس هناك من الملائكة ولا غيرهم من يعلم كل شيء في السموات والأرض ؟

السؤال:

سألتني ابنتي : ما هو الملاك الذي يعرف كل شيء في السموات والأرض ، عدد قطرات الماء ، عدد حبات التراب ؟ هل يوجد شيء من هذا القبيل ؟

الجواب :

الحمد لله

الذي يعلم كل شيء في السموات والأرض ، ويعلم عدد قطرات الماء ، وعدد حبات التراب ، هو الله رب العالمين ، ولا يوجد ملك مقرب ولا نبي مرسل يعلم ذلك ، ومن قال إن هناك من الملائكة من يعلم ذلك كله ، فقد افترى على الله الذي له غيب السموات والأرض .

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ٥٩.

وقال سبحانه :

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ النمل: ٦٥. قال ابن كثير رحمه الله :

" يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يقول معلمًا لجميع الخلق : أنه لا يعلم أحد الغيب إلا الله عز وجل ، فإنه المنفرد بذلك وحده ، لا شريك له " .

انتهى من "تفسير ابن كثير" (٦ / ٢٠٧) .

روى البخاري (٤٦٩٧) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ : لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ » .

لكن الله تعالى يُطلع من شاء من خلقه على ما يشاء من غيبه ، قال تعالى :

﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الجن: ٢٦ - ٢٧.

قال علماء اللجنة الدائمة :

" علم المغيبات من اختصاص الله تعالى فلا يعلمها أحد من خلقه لا جني ولا غيره إلا ما أوحى الله به إلى من شاء من ملائكته أو رسله " انتهى من "فتاوى اللجنة الدائمة" (١ / ٣٤٦) .

نعم ، هناك من الملائكة من هو موكل بالمطر وتصريفه إلى حيث يشاء الله وهو ميكائيل عليه السلام ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به ، ولكن هذا لا يكون إلا بمشيئة الله وحكمته وعلمه سبحانه ، لا يطّلعون على علم ، ولا يفعلون شيئا ، بل لا يقدرون على فعل شيء إلا بإذن الله . كما أن ذلك لا يعني أنهم يعلمون عدد قطر الماء ، إنما يقتصر علمهم على ما علّمهم الله ، ويقولون كما أخبر الله عنهم : ﴿ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ البقرة: ٣٢.

قال ابن كثير رحمه الله :

" هذا تقديس وتنزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء ، وأن يعلموا شيئا إلا ما علمهم الله تعالى " انتهى من "تفسير ابن كثير" (١ / ٢٢٥) .

والله أعلم .

١٤_ هل الملائكة أفضل أم الأنبياء والصالحون ؟

السؤال :

الملائكة تعبد الله ﷻ ، فهل هم أفضل من الأنبياء عليهم السلام ؟

الجواب :

الحمد لله

الملائكة عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وقد خلقهم الله وجبلهم على طاعته وعبادته ، فمنهم الموكل بالوحي ، ومنهم الموكل بالأرزاق ، ومنهم الموكل بالجبال ، ومنهم المخلوق للعبادة والصلاة والتسبيح وذكر الله .

روى الترمذي (٢٣١٢) وحسنه عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ » حسنه الألباني في "صحيح الترمذي" .

وفي حديث الإسراء : « فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ : هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ » .

رواه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤)

وروى الطبري في "تفسيره" (٢١/ ١٢٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " إن من السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدمه قائما ، ثم قرأ : (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٠٥٩) .

ومثل هذه العبادة لا يطيقها بشر ، ولا يقدرون عليها ، والملائكة لا يفترون ولا يسأمون ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ فصلت: ٣٨ ، والبشر ركبت فيهم الطبيعة البشرية ، بما فيهم أنبياء الله ورسله صلى الله عليهم وسلم ، فهم يختلفون عن الملائكة في صفاتهم وطبائعهم .

فالملائكة يقدرون في العبادة على ما لا يقدر عليه بشر .

لكن ذلك لا يعني أنهم خير من الأنبياء ، لأن عبادتهم أعظم أو أكثر ؛ فالأنبياء بحكم كونهم بشرا ، وفيهم طبيعة البشر ، لما ارتفعوا إلى ذلك المقام العالي في طاعة ربهم ، كانت لهم فضيلة خاصة ، ومقام عظيم ، حتى ذهب غير واحد من أهل العلم إلى أن صالحي البشر أفضل مقاما من الملائكة ، لأن الملائكة ليس عندهم نوازع للشر أو العصيان ، وأما صالحو البشر فعندهم هذه النوازع ، غير أنهم يغالبونها ، ويقهرونها في طاعة الله .

سُئِلَ شَيخ الإسلاَم عَنْ الْمُطِيعِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ هَلْ هُمْ أَفْضَلُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ؟

فَأَجَابَ :

" قَدْ ثَبَتَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ : " إنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ : يَا رَبِّ جَعَلْت بَنِي آدَمَ يَأْكُلُونَ فِي الدُّنْيَا وَيَشْرَبُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ ، فَاجْعَلْ لَنَا الْآخِرَةَ كَمَا جَعَلْت لَهُمْ الدُّنْيَا ؟ قَالَ : لَا أَفْعَلُ ثُمَّ أَعَادُوا عَلَيْهِ قَالَ : لَا أَفْعَلُ ثُمَّ أَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَالَ : وَعِزَّتِي لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةِ مَنْ خَلَقْت بِيَدَيَّ ، كَمَنْ قُلْت لَهُ : كُنْ فَكَانَ " ذَكَرَهُ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدارمي .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ قَالَ : مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ . فَقِيلَ لَهُ : وَلَا جِبْرِيلُ وَلَا ميكائيل فَقَالَ لِلسَّائِلِ : " أَتَدْرِي مَا جِبْرِيلُ وَمَا ميكائيل ؟ إنَّمَا جِبْرِيلُ

وميكائيل خَلْقٌ مُسَخَّرٌ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَمَا خَلَقَ اللهُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ " .

وَمَا عَلِمْت عَنْ أَحَدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ . وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى السُّنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهُوَ : أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ أَفْضَلُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ "

انتهى من "مجموع الفتاوى" (٤ / ٣٤٤) .

وقال أيضا :

" وَآدَمُ خَلَقَهُ اللهُ مِنْ طِينٍ ، فَلَمَّا سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَهُ الْمَلَائِكَةَ وَفَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ بِتَعْلِيمِهِ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ وَبِأَنْ خَلَقَهُ بِيَدَيْهِ وَبِغَيْرِ ذَلِكَ ، فَهُوَ وَصَالِحُو ذُرِّيَّتِهِ أَفْضَلُ مِنْ الْمَلَائِكَةِ ؛ وَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ مَخْلُوقِينَ مِنْ طِينٍ ؛ وَهَؤُلَاءِ مِنْ نُورٍ "

انتهى من "مجموع الفتاوى" (١١ / ٩٥) .

وقال ابن القيم رحمه الله :

" إن الله سبحانه يخلق من المادة المفضولة ما هو أفضل من المخلوق من غيرها ، وهذا من كمال قدرته سبحانه ، ولهذا كان محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح والرسل أفضل من الملائكة ، ومذهب أهل السنة أن صالحي البشر أفضل من الملائكة ، وإن كانت مادتهم نورا ، ومادة البشر ترابا " انتهى من "الصواعق المرسلة" (٣ / ١٠٠٢) .

وقال أيضا :

" صالح البشر أفضل من الملائكة ، لأن الملائكة عبادتهم بريئة عن شوائب دواعي النفس والشهوات البشرية ، فهي صادرة عن غير معارضة ولا مانع ولا عائق ، وهي كالنفَس للحي . وأما عبادات البشر فمع منازعات النفوس ، وقمع الشهوات

ومخالفة دواعي الطبع فكانت أكمل ، ولهذا كان أكثر الناس على تفضيلهم على الملائكة لهذا المعنى ولغيره "

انتهى من "طريق الهجرتين" (ص ٣٤٩-٣٥٠) .

وهناك من فصل تفصيلا آخر في المسألة ، فقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" المفاضلة بين الملائكة وبين الصالحين من البشر محل خلاف بين أهل العلم ، وكل منهم أدلى بدلوه فيما يحتج به من النصوص ، ولكن القول الراجح أن يقال : إن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة باعتبار النهاية ، فإن الله سبحانه وتعالى يؤدي لهم من الثواب ما لا يحصل مثله للملائكة فيما نعلم ، بل إن الملائكة في مقرهم- أي : في مقر الصالحين ، وهو الجنة - يدخلون عليهم من كل باب يهنئونهم : ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ .

أما باعتبار البداية فإن الملائكة أفضل ؛ لأنهم خلقوا من نور ، وجبلوا على طاعة الله عز وجل والقوة عليها ، كما قال الله تعالى في الملائكة ملائكة النار : ﴿عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ، وقال عز وجل : ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾ هذا هو القول الفصل في هذه المسألة

وبعدُ : فإن الخوض فيها ، وطلب المفاضلة بين صالح البشر والملائكة ، من فضول العلم الذي لا يضطر الإنسان إلى فهمه والعلم به " انتهى من "فتاوى نور على الدرب" (٨ / ٦) .

وصدق رحمه الله ؛ فإن هذه المسألة وأشباهها لا حاجة للعبد في الخوض فيها ونصب النزاع في كون هؤلاء أفضل أم هؤلاء ؟ وهؤلاء أعبد أم هؤلاء ؟ من فضول العلم ، ولا ضرورة على المسلم في معرفة الأفضل والأكمل منهم عليهم السلام ، والذي ينبغي عليه أن يلتفت إلى صلاح نفسه بطاعة ربه .

١٥_ ما وجه الدعاء للملائكة بالرحمة مع كونها لا تعصي الله تعالى ؟

السؤال :

أولاً : أود أن أشكركم من كل قلبي على كل ما تبذلونه في الفتاوى ، لما لها من فوائد عظيمة ، لقد تمت الإجابة على أسئلة كثيرة لي على هذا الموقع ، وفقكم الله ، ويأجركم على ما تبذلونه من جهود . أمس كنت أقرأ كتاباً ممتعاً عن الملائكة وعلمت بوجود العديد منهم في السماوات ، قرأت سابقاً أن الملائكة ليس لديهم الإرادة الحرة ، وهم مخلوقات أكثر طاعة - أي : إلى الله - ثم جئت إلى التفكير في نهاية الصلاة ، حيث نقول " السلام عليكم " أو " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " للملَك على يميننا الذي يعني السلام والرحمة من الله عليكم. وسؤالي هو : لماذا تحتاج الملائكة الرحمة من الله إذا كانوا خالين من الخطيئة ؟ ألا يعني ذلك بأنهم لن يحاسبوا من الله ؟ فلماذا يحتاجون إلى رحمة الله وهم بالفعل لهم رحمة الله ؟ قد قرأت في حديث حتى أن النبي ﷺ يحتاج إلى رحمة الله ليدخل الجنة ، ولكن هناك ملائكة بالفعل في الجنة . ثانياً : في السنَّة لماذا نقول حين التسليم من الصلاة نسلِّم على الملَك الموجود على اليمين " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " في حين الملَك الموجود على اليسار نسلم فنقول " السلام عليكم ورحمة الله " ألأن الملك الذي على يسار يكتب خطايانا ؟ . آسف لو كنت أسأل كثيراً ولكن بالإضافة إلى ما سبق لماذا نسلِّم على الملائكة ؟ وكيف لا تكون إذا كانوا ملائكة الله ؟ وإذا كانوا مسالمين فيريد الله أن يزيد من سلامهم وإذا لم يكونوا كذلك فلن يريد الله ذلك أيضاً . أشكركم على وقتكم ، وجزاكم الله خيراً .

الجواب :

الحمد لله

نشكر لأخينا الفاضل اهتمامه بالموقع وحرصه على الاستفادة مما يُكتب فيه ، ونشكره على دقة ملاحظته وحسن سؤاله ، ولنا مع ما سأل عنه وقفات :

الأولى :

أن ما يقصده المصلي من السلام في نهاية صلاته ليس هو على الملائكة حصراً عليهم ، فبالإضافة إلى نية الخروج من الصلاة : فإن الإمام ينوي السلام على المأمومين ، وأما المأمومون فينوون السلام على الإمام وعلى المأمومين الذين معهم ، وأما المنفرد فإنه ينوي بسلامه الخروج من الصلاة والسلام على الملائكة وهما الأمران المشتركان مع الإمام والمأموم .

ثانياً:

اختلف العلماء في زيادة " بركاته " في التسليم في الصلاة ، وقد ذهب جمهور العلماء إلى التسليم بلفظ " السلام عليكم ورحمة الله " عن اليمين وعن الشمال ، وبذلك صحت الأحاديث الكثيرة ، وعليه أكثر أهل العلم .

قال الترمذي – رحمه الله – بعد أن روى الحديث - : " والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومَن بعدهم ، وهو قول سفيان الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحاق " انتهى من " سنن الترمذي " (٢ / ٨٩) .

وهناك خلاف في زيادة لفظة " وبركاته " هل هي في التلسيمتين ، أم في الثانية فحسب ، أم أنها غير ثابتة أصلاً ، وبكل قول قال طائفة من أهل العلم .

ولعلك عرفت بذلك أنه لا تعلُّق لهذه الزيادة بالملَك الذي على اليمين ؛ لأن الجمهور لا يقولون بها أصلاً ، ومن العلماء من يصحح أحاديث ورودها في التسليمتين .

ثالثاً:

أما الدعاء للملائكة بالرحمة فهو أمر غير مستنكر في الشرع ، وبالتأمل في المسائل الآتية يتبين وجه الدعاء للملائكة بالرحمة :

١. أن الملائكة مخلوقات ، وليس ثمة مخلوق ليس بحاجة لرحمة الله ، قد ثبت دعاء عائشة رضي الله عنها بالرحمة لجبريل عليه السلام وهو على رأس الملائكة .

عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال لي رسول الله ﷺ « هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلاَمُ » قالت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته .

رواه البخاري (٣٠٤٥) ومسلم (٢٤٤٧) .

قال الشيخ محمد ابن عثيمين – رحمه الله – : " في هذا دليل على أن الملائكة عليهم الصلاة والسلام محتاجون إلى رحمة الله عز وجل وإلى أن يسلمهم الله من الآفات ، ولهذا قالت " و عليه السلام ورحمة الله " انتهى من " شرح صحيح البخاري " (كتاب الاستئذان شريط ٣) .

٢. أن الملائكة عباد لله تعالى ، قد أكرمهم بعبادات عظيمة ، وقد أثنى عليهم بها خيراً ، ولا يكون العبد عبداً لله يستحق الثناء على عبادته ، إلا أن يكون محققا للعبودية بأركانها الثلاثة وهي الحب والرجاء والخوف ، وقد أثبت الله تعالى ذلك لخاصة عبيده ومنهم الملائكة الكرام ، قال تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ الإسراء: ٥٦ ـ ٥٧.

قال ابن القيم – رحمه الله – : " وقد جمع الله تعالى هذه المقامات الثلاثة بقوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه ، ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف ، فهذه طريقة عبادة وأوليائه " انتهى من " بدائع الفوائد " (٣ / ٥٢٢) .

وقال – رحمه الله – أيضاً – : " فجمع بين المقامات الثلاثة ؛ فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه ، ثم يقول (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فذكر

الحب والخوف والرجاء ، والمعنى : إن الذين تدعونهم من دون الله ، من الملائكة والأنبياء والصالحين ، يتقربون إلى ربهم ويخافونه ويرجونه ؛ فهم عبيده كما أنكم عبيده ؛ فلماذا تعبدونهم من دونه وأنتم وهم عبيد له ؟! " انتهى من " طريق الهجرتين " (ص ٤٢٢) .

٣. أن الملائكة خلق مكلَّف بالعبادة والطاعة .

قال الشيخ عمر الأشقر – حفظه الله – : " ويمكن أن نقول : إن الملائكة ليسوا بمكلفين بالتكاليف نفسها التي كُلف بها أبناء آدم ، أما القول بعدم تكليفهم مطلقاً : فهو قول مردود ؛ فهم مأمورون بالعبادة والطاعة ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ النحل/ ٥٠ ، وفي الآية أنهم يخافون ربهم ، والخوف نوع من التكاليف الشرعية ، بل هو من أعلى أنواع العبودية ، كما قال فيهم ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٨ " انتهى من " عالم الملائكة الأبرار " (ص ٣٥) .

٤. أن ما يناله المقطوع لهم بالجنة والدرجات العُلى ليس ذلك مقابل أعمالهم وطاعاتهم ، بل هو بسبب رحمة الله تعالى ؛ إذ ليس هناك عمل لمخلوق يمكن أن يكون ثمناً لدخول الجنة ونيل الدرجات العُلى ، وإنما أعمالهم سبب لتحصيل رحمة الله التي بها يدخلون الجنة ويكونون من المرحومين يوم القيامة ، فاحتاج هؤلاء للدعاء لهم بالرحمة ، ومنه ما يكون في صلاتنا من الدعاء للنبي ﷺ بالرحمة بقولنا " السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ".

عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «لَنْ يُدْخِلَ أَحَداً عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ :« لَا وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ » .

رواه البخاري (٥٣٤٩) ومسلم (٢٨١٦) .

١٦_ لماذا أمر إبليس بالسجود لآدم مع الملائكة؟

السؤال:

إذا كان إبليس ليس من الملائكة فلماذا أُمر بالسجود لآدم مع الملائكة

الجواب :

الحمد لله

لا شك أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم ، كان هذا الأمر – أيضاً – موجهاً إلى إبليس ، كما قال الله تعالى : ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾ الأعراف: ١١ - ١٢ .

وقد تكلم العلماء عن سبب توجه الأمر بالسجود لآدم إلى إبليس مع أنه لم يكن من الملائكة ، فذكروا أن سبب ذلك أنه كان متشبهاً بالملائكة في أعمالهم الظاهرة .

قال ابن كثير رحمه الله (١/ ١٠٥) :

"والغرض أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم ، ودخل إبليس في خطابهم ، لأنه وإن لم يكن من عنصرهم ، إلا أنه قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم ، فلهذا دخل في الخطاب لهم ، وذُمَّ في مخافة الأمر" انتهى .

وقال الشيخ ابن عثيمين في تفسير سورة البقرة (١/ ١٢٧) :

"إن قال قائل : في الآية إشكال – وهو أمر الله تعالى لما ذكر أمر الملائكة بالسجود ، وذكر أنهم سجدوا إلا إبليس ؛ كان ظاهرها أن إبليس منهم ؛ والأمر ليس كذلك ؟

والجواب : أن إبليس كان مشاركاً لهم في أعمالهم ظاهراً ، فكان توجيه الأمر شاملاً له بحسب الظاهر" انتهى .

ونحو ذلك أيضاً قاله العلامة الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" (١/ ٤٠٩) والذي علينا أن نؤمن به ونعتقده أن الأمر بالسجود لآدم كان موجهاً إلى إبليس كما كان موجهاً إلى الملائكة ، وهو صريح القرآن : (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ) الأعراف/ ١٢ ، أما سبب توجه الأمر إليه فالله تعالى أعلم .

والله أعلم .

١٧ _ هل يقرأ الجن والملائكة القرآن ؟

السؤال :

هل يمكن للجن قراءة القرآن أم أنه حقيقة أنهم لا يستطيعون قراءة القرآن وإنما يذكرون الله فقط كالملائكة ؟ .

الجواب:

الحمد لله

أولاً:

خلق الله الجن والإنس لعبادته فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، والجن كلهم مكلفون كالإنس ، منهم المؤمن ومنهم الكافر ، والمطيع والعاصي ، ومقتضى هذا التكليف أن يقوموا بما أمرهم الله تعالى به من طلب العلم ، والصلاة ، ولا يمكن أن تكون منهم صلاة بغير قراءة قرآن ، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أن منهم مَن سمع القرآن مِن النبي ﷺ وأنهم آمنوا به وذهبوا إلى قومهم مبشرين ومنذرين به ، قال تعالى ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ الجن: ١ - ٢ ، وقال تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ الأحقاف: ٢٩ - ٣٠ ، وقد صحَّ في السنَّة النبويَّة ذهاب النبي ﷺ لطائفة من الجن يعلمهم الشرع ويقرأ عليهم كتاب الله ، فعن عَلْقَمَة قال : سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ : هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجِنِّ ؟ قَالَ : لا وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَفَقَدْنَاهُ فَالْتَمَسْنَاهُ فِي الأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ فَقُلْنَا اسْتُطِيرَ أَوْ اغْتِيلَ ، قَالَ : فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلَ حِرَاءٍ ، قَالَ : فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَدْنَاكَ

فَطَلَبْنَاكَ فَلَمْ نَجِدْكَ فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ بَاتَ بِهَا قَوْمٌ فَقَالَ « أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ الْقُرْآنَ » رواه مسلم (٤٥٠) ، وكل ذلك يدل على أن الجن مكلفون فمن دخل منهم في الإسلام فهم مأمورون بالصلاة وقراءة القرآن.

قال القرطبي – رحمه الله – في تفسير سورة " الرحمن " – :

هذه السورة و " الأحقاف " و " قل أوحي " دليل على أن الجن مخاطَبون مكلَّفون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالإنس سواء ، مؤمنهم كمؤمنهم ، وكافرهم ككافرهم لا فرق بيننا وبينهم في شيء من ذلك .

" تفسير القرطبي " (١٧ / ١٦٩) .

قال ابن القيم – رحمه الله – :

وبالجملة : فهذا أمر معلوم باضطرار من دين الإسلام ، وهو يستلزم تكليف الجن بشرائع ، ووجوب اتباعهم لهم ، فأما شريعتنا : فأجمع المسلمون على أن محمَّداً ﷺ بُعث إلى الجن والإنس ، وأنه يجب على الجن طاعته كما يجب على الإنس .

" طريق الهجرتين " (ص ٦١٦ ، ٦١٧) .

وقال – رحمه الله – أيضاً – :

الصواب الذي عليه جمهور أهل الإسلام : أنهم مأمورون منهيون مكلفون بالشريعة الإسلامية ، وأدلة القرآن والسنَّة على ذلك أكثر من أن تُحصر .

" طريق الهجرتين " (ص ٦١٩) .

وقال نجم الدين الطوفي – رحمه الله – :

والدليل على تكليف الجن بالفروع : الإجماع على أن النبي ﷺ أُرسل بالقرآن الكريم إلى الجن والإنس ، فجميع أوامره ونواهيه متوجهة إلى الجنسين ، وهي

مشتملة على الأصول والفروع ، نحو (آمِنُوا بِالله) الحديد/ ٧ ، (وأقيموا الصلاة) البقرة/ ٤٣ ، وقد تضمن هذا الدليل على أن كفار الإنس مخاطبون بها ، وكذلك كفار الجن ؛ لتوجه القرآن بجميع ما فيه إلى مؤمني الجنسين وكفارهم .

" شرح مختصر الروضة " (١ / ٢١٨ ، ٢١٩) .

وبه يُعلم أن قراءة القرآن من قبَل الجن لا بدَّ منها لأداء ما أوجبه الله تعالى من تكليف بالصلاة ، وقد قرأ النبي ﷺ القرآن على طائفة منهم تعليماً لهم ، وهو أمر في استطاعتهم ، وليس هناك ما يدل على استحالته أو المنع منه .

قال ابن حجر الهيتمي – رحمه الله – :

قال السُّبكي : وقد ورد في آثار كثيرة عن السلف أن جمعاً من الجن كانوا يقرؤون القرآن عليهم ويتعلمون العلم ، وبالجملة التكليف شرطه العلم ؛ فما علموه لزمهم ، وما لا فلا . انتهى كلام السبكي .

" الفتاوى الحديثية " (ص ١٦٧) .

ثانياً:

قول السائل عن الملائكة الكرام إنهم لا يقرؤون القرآن وإنما يقومون بذِكر الله تعالى ، لا نعلم دليلا عليه ؛ والملائكة خلْق غير مكلَّف تكليفاً يثاب عليه ويُعاقب ، لا بصلاة ولا قراءة قرآن ، لكنهم خُلقوا لتنفيذ أوامر الله تعالى في الكون ، وليَعبدوه تعالى ، وإن تلاوة كلامه تعالى القرآن من العبادة ، فأي شيء يمنع تلاوتهم لكلامه تعالى ، وقد وجدنا اختلافاً بين العلماء في هذا ، فنفى بعضهم قراءة الملائكة للقرآن ولم يمنع منها آخرون .

قال السيوطي – رحمه الله – :

قال ابن الصلاح في " فتاويه " : قراءة القرآن كرامة أكرم الله بها البشر ، فقد ورد أن الملائكة لم يعطوا ذلك وأنها حريصة لذلك على استماعه من الإنس.

" الإتقان في علوم القرآن " (١ / ٣٥٨) .

وقد ذكر ابن حجر الهيتمي أن بعض أهل العلم قد اعترض على ابن الصلاح رحمه الله وردَّ عليه قوله ، – وإن كان ظاهر كلامه أنه يوافق ابنَ الصلاح – ، حيث قال :

لكن اعترضه غير واحد ، وساقوا من القرآن والسنَّة ما يعارضه ، ومِن ثَمَّ صرح غير واحد بخلافه .

" الفتاوى الحديثية " (ص ١١٣) .

والذي يظهر : أنه ليس هناك ما يمنع من قراءة الملائكة للقرآن ، وقد ذكر بعض أهل العلم أن معنى قوله تعالى (والتَّالِيَاتِ ذِكْراً) أنهم الملائكة ، وهو قول مجاهد والسدي .

ومما يدل على ذلك : نزول جبريل عليه السلام بالقرآن تلاوة له على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومدراسته معه كل عام .

وليس قراءتهم له تكليفاً ، ولا لهم عليه أجر كما هو حال الإنس والجن ، لكنه من جملة ما يتقربون به لربهم عز وجل .

١. قال الطبري – رحمه الله – :

وقوله (فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا) يقول: فالقارئات كتاباً .

واختلف أهل التأويل في المعني بذلك ، فقال بعضهم : هم الملائكة .

عن مجاهد (فالتاليات ذكرا) قال : الملائكة .

عن السدي (فالتاليات ذكرا) قال : هم الملائكة .

" تفسير الطبري " (٢١ / ٨ ، ٩) .

٢. قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – :

قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ البقرة/ ٩٧ ، ظاهر هذه الآية أن جبريل ألقى القرآنَ في قلب النبي ﷺ مِن غير سماع قراءة ، ونظيرها في ذلك قوله تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤ ، ولكنه بيَّن في مواضع أُخَر أن معنى ذلك : أن الملَك يقرؤه عليه حتى يسمعه منه ، فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه ، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه ، وذلك كما في قوله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة: ١٦ - ١٩ ، وقوله ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ طه: ١١٤ .

" أضواء البيان " (١ / ٤٢) .

والله أعلم

١٨_هل الملائكة يرون الله في الدنيا

السؤال:

هل سبق لجبريل عليه السلام أو أيّ مَلَكٍ أخر أن رأى الله سبحانه وتعالى؟

الجواب :

الحمد لله

ليس في الكتاب والسنة ما يدل على أن جبريل عليه السلام أو غيره من الملائكة قد رأى الله تعالى ، ومعلوم أن هذا من الغيب الذي لا يثبت إلا بدليل .

وفي حديث المعراج أن جبريل عليه السلام صعد مع نبينا صلى الله عليه وسلم إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، ولم يثبت أن أحدا منهما رأى الله Y في هذا المقام .

قال صلى الله عليه وسلم : « ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ . قُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَ هَذَا إِبْرَاهِيمُ - صلى الله عليه وسلم - » . قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَأَخْبَرَنِى ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِىَّ كَانَا يَقُولاَنِ قَالَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - « ثُمَّ عُرِجَ بِى حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ » . قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - « فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِى خَمْسِينَ صَلاَةً ، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى ....» رواه البخاري (٣٤٩) ومسلم (٢٦٣).

وقد اختلف العلماء في هذه الرؤية ، فمنهم من أثبتها ، ومنهم من نفاها .

سئل ابن حجر الهيثمي رحمه الله : " هل الملائكة يرون الله تعالى ؟

فأجاب بقوله : ذكر الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنهم لا يرونه ، وأطال في ذلك الاستدلال له ، وتبعه جماعة ، ورُدَّ بنص إمام أهل السنة الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه على أنهم يرونه ذكره في كتابه الإبانة في أصول الديانة ، وتبعه البيهقي وأخرجه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن صحابي غيره ، وجرى

عليه ابن القيم ، والجلال البلقيني ، وفي حديث صححه الحاكم أن جبريل ما رأى ربه قط قبل سجود النبي ﷺ بين يدي ربه في الموقف ، ولا يلزم منه عدم رؤيته بعد ذلك ، ولا عدم رؤية غيره من بقية الملائكة والقول بتخصيص رؤية جبريل ساقط " انتهى من "الفتاوى الحديثية" ص ١٥٣

وسئل الشيخ ابن باز رحمه الله : "هل الملائكة يرون ربهم في الدنيا أم يوحى إليهم من وراء حجاب؟

فأجاب : الله أعلم " انتهى من "فتاوى نور على الدرب".

وسئل الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله : " هناك دليل يستشف منه عدم الرؤية، وهو قول الله -تعالى- في سورة غافر: "الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ"[غافر:٧]، فكلمة يؤمنون به قد تكون إشارة إلى هذا المعنى، هل هذا صحيح؟.

فأجاب :

الحمد لله.

قوله - سبحانه وتعالى- عن الملائكة الذين يحملون العرش، والملائكة الحافين بالعرش، أنهم يؤمنون به لا يستلزم نفي رؤيتهم لله، أو رؤية بعضهم، أو رؤية غيرهم من الملائكة، كما أن الرؤية لا تنافي الإيمان،وكذلك التكليم من الله، فإبراهيم - عليه الصلاة والسلام- رأى كيف يحي الله الموتى وازداد بذلك إيماناً، كما قال -تعالى-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ البقرة: ٢٦٠ وموسى -عليه الصلاة والسلام- كلمه الله من وراء حجاب، فلم ينف عنه ذلك الإيمان، فالحاصل أنه لا منافاة بين الإيمان والرؤية، ويشهد لهذا أن موسى - عليه السلام- طلب من ربه النظر إليه ليزداد إيماناً ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ ﴾

الأعراف: ١٤٣ ، نعم الذي ينتفي مع الرؤيا هو الإيمان بالغيب بالنسبة لهذا المرئي، فحملة العرش ومن حول العرش يجوز أن يكونوا قد رأوا الله - ﷻ- فحصل لهم أعلى مراتب اليقين، وكذلك المؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة انتقلوا من علم اليقين إلى عين اليقين، فإنهم إذا رأوا الله آمنوا به إيمان المشاهدة،وقرت أعينهم بذلك، نعموا برؤيته - ﷻ- وسماع كلامه، قال -تعالى-: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة" [القيامة:٢٢-٢٣]. فنسأل الله لذة النظر إلى وجهه الكريم، والله أعلم " انتهى من "فتاوى الإسلام اليوم".

والحاصل أن هذا الأمر الغيبي لا يجوز إثباته أو نفيه إلا بدليل ، وأن الصواب هو التوقف في المسألة .

والله أعلم .

***

١٩_ هل القول بأن الملائكة لا تأكل ولا تشرب تشبيه لهم بالله ﷻ ؟

السؤال:

بعض الناس يقول إن القول بأن الملائكة لا تأكل ولا تشرب هو تشبيه لهم بالله ﷻ ، هل هذا صحيح ؟ أرجو توضيح ذلك . جزاكم الله خيرا .

الجواب :

الحمد لله

أولا :

أشار القرآن الكريم إلى أن الملائكة من شأنها ألا تأكل ولا تشرب ، وذلك في قول الله تعالى – في حكاية ضيف إبراهيم عليه السلام – : ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ هود: ٧٠.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله :

" كفّوا عن أكله لأنهم لم يكونوا ممن يأكله " انتهى من " جامع البيان " (١٥/ ٣٨٧)

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

" الملائكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه ولا يأكلونه " انتهى من " تفسير القرآن العظيم " (٤/ ٣٣٣)

وقد نقل الفخر الرازي اتفاق العلماء على هذا المعنى السابق ، فقال رحمه الله :

" اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وأما الجن والشياطين فإنهم يأكلون ويشربون " انتهى من " مفاتيح الغيب " (١/ ٧٦)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ :

" ... وهم لا يأكلون ولا يشربون ، بل هم صُمْدٌ ، ليسوا جُوّفا كالإنسان ، وهم يتكلمون ويسمعون ويبصرون ويصعدون وينزلون - كما ثبت ذلك بالنصوص الصحيحة - وهم مع ذلك لا تماثل صفاتهم وأفعالهم صفات الإنسان وفعله ؛ فالخالق تعالى أعظم مباينة لمخلوقاته من مباينة الملائكة للآدميين ؛ فإن كليهما مخلوق ، والمخلوق أقرب إلى مشابهة المخلوق من المخلوق إلى الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى " انتهى من " مجموع الفتاوى " (٥/ ٣٥٤)

ثانيا :

ليس في القول بأن الملائكة لا تأكل ولا تشرب تشبيه لها بالله y ، وذلك من أوجه عدة دقيقة تتعلق بفهم مسألة التشبيه نفسها :

الوجه الأول :

أن استغناء الملائكة عن الطعام والشراب ليس على وجه الغنى التام عن كل شيء ، الثابت لله جَلَّ جَلَالُهُ ؛ وإنما على وجه الهيئة الخَلقية التي خلقهم الله عليها ، فاستغناء الملائكة ناقص لأنه استغناء جائز قام بخَلق الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وليس وصفا ذاتيا واجبا كما هو في حق الرب عَزَّ وَجَلَّ .

الوجه الثاني :

أن كثيرا من المخلوقات لا تحتاج إلى الطعام والشراب ، كالجمادات مثلا ، وظاهر أنه لا يقال إن في ذلك تشبيها لها بالله عَزَّ وَجَلَّ ، لأن استغناء الجمادات عن الطعام والشراب استغناء نقص وليس استغناء كمال ، إذ لا شك أنها لنقصها عن المخلوقات الأعلى درجة منها - وهي النبات والحيوان والإنسان - لم تحتج إلى الطعام والشراب ،

وفي هذا دليل على أن مجرد الاستغناء عن الطعام والشراب ليس دليلا على التشبه بالخالق ﷻ .

الوجه الثالث :

- وهو الوجه الأهم والأدق - أن نفي المثيل عن الله ﷻ ، الوارد في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١ ، لا يلزم منه نفي كل قدر ذهني مشترك بين الخالق والمخلوق ، وإنما يعني :

١- نفي اشتراك الخالق والمخلوق في أوصاف الربوبية الخاصة ، كالإلهية ، والأحدية ، والخالقية ، وغيرها .

٢- ويعني نفي اشتراكهما في أوصاف المخلوق الخاصة ، كالموت والحدوث .

٣- وتعني نفي مماثلة الخالق والمخلوق في الصفات الكاملة .

٤- وتعني نفي مشابهة الخالق والمخلوق في حقيقة هذه الصفات ، وهو " الوجود الخارجي لها" .

أما أن يستلزم ذلك نفي كل قدر ذهني مشترك في أصل بعض الصفات : فهذا غير صحيح ، وهذا هو الأصل الذي بنى عليه المعطلة نفي الصفات عن الله ﷻ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" التشبيه الممتنع إنما هو مشابهة الخالق للمخلوق في :

١- شيء من خصائص المخلوق .

٢- أو أن يماثله في شيء من صفات الخالق ، فإن الرب تعالى منزه عن أن يوصف بشيء من خصائص المخلوق .

٣- أو أن يكون له مماثل في شيء من صفات كماله .

٤- وكذلك يمتنع أن يشاركه غيره في شيء من أموره بوجه من الوجوه ، بل يمتنع أن يشترك مخلوقان في شيء موجود في الخارج ، بل كل موجود في الخارج فإنه مختص بذاته وصفاته القائمة به ، لا يشاركه غيره فيها ألبتة ، وإذا قيل هذان يشتركان في كذا ، كان حقيقته أن هذا يشابه هذا في ذلك المعنى ، كما إذا قيل هذا الإنسان يشارك هذا في الإنسانية ، أو يشارك هذا الحيوان في الحيوانية ، فمعناه أنهما يتشابهان في ذلك المعنى ، وإلا فنفس الإنسانية التي لزيد لا يشاركه فيها غيره ، وإنما يشتركان في نوع الإنسانية المطلقة ، لا في الإنسانية القائمة به . والإنسانيةُ المشتركةُ المطلقة هي في الأذهان ، لا تكون في الأعيان مشتركة مطلقة ، فما هو موجود في الخارج لا اشتراك فيه ، وما وقع فيه الاشتراك هو الكلي المطلق الذي لا يكون كليا مطلقا إلا في الذهن ، فإذا كان المخلوق لا يشاركه غيره فيما له من ذاته وصفاته وأفعاله ، فالخالق أولى أن لا يشاركه غيره في شيء مما هو له تعالى .

لكن المخلوق قد يماثل المخلوق ويكافئه ويساميه ، والله سبحانه وتعالى ليس له كفؤ ولا مثيل ولا سمي " انتهى من " الصفدية " (١/ ١٠٠-١٠١)

وبمثال يسير نقول : الله عز وجل وصف نفسه بأنه (سميع بصير)، ووصف الإنسانَ أيضا بأنه سميع بصير في قوله سبحانه : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ الإنسان: ٢. وذلك لا يستلزم تماثل صفتي السمع والبصر ما بين الخالق والمخلوق ، وإنما يعني أن ذهن الإنسان يفهم من معنى السمع قدرا يتصوره في حق الخالق والمخلوق ، وإن كان يجهل حقيقة ما يناسب الخالق من هذا السمع ، كما أنه يجهل ما يناسب كل مخلوق من السمع ، حتى يرى هذا المخلوق ، أو يوصف له .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" ليس مطلق الموافقة في بعض الأسماء والصفات الموجبة نوعا من المشابهة تكون مقتضية للتماثل والتكافؤ ، بل ذلك لازم لكل موجودين ، فإنهما لا بد أن يتفقا في بعض الأسماء والصفات ويشتبها من هذا الوجه ، فمن نفى ما لا بد منه كان معطلا ، ومن جعل شيئا من صفات الله مماثلا لشيء من صفات المخلوقين كان ممثلا .

والحق هو نفي التمثيل ونفي التعطيل ، فلا بد من إثبات صفات الكمال المستلزمة نفي التعطيل ، ولا بد من إثبات اختصاصه بما له على وجه ينفي التمثيل .

ولكن طائفة من الناس يجعلون التمثيل والتشبيه واحدا ويقولون يمتنع أن يكون الشيء يشبه غيره من وجه ويخالفه من وجه ، بل عندهم كل مختلفين كالسواد والبياض فإنهما لم يشتبها من وجه ، وكل مشتبهين كالأجسام عندهم يقولون بتماثلها فإنها مماثلة عندهم من كل وجه لا اختلاف بينهما إلا في أمور عارضة لها ، وهؤلاء يقولون كل من أثبت ما يستلزم التجسيم في اصطلاحهم فهو مشبه ممثل ، وهذه طريقة كثير من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية ومن وافقهم كالقاضي أبي يعلى في المعتمد وغيره ، وأما جمهور الناس فيقولون إن الشيء قد يشبه غيره من وجه دون وجه ، وهذا القول هو المنقول عن السلف والأئمة كالإمام أحمد وغيره " انتهى باختصار يسير من " الصفدية " (١/ ١٠١-١٠٢)

والله أعلم .

***

٢٠ _ ما مصير الملائكة يوم القيامة بعد فصل القضاء بين العباد ؟

السؤال:

أثناء تصفحي لأحد المواقع الشهيرة وجدت شخصا يتساءل : هل ستكون الملائكة في الجنة أم سينتهي دورها ؟ وأنا أيضا أثار هذا الموضوع اهتمامي - فمصير الإنسان إما الجنة أو النار حسب أعماله في الدنيا - ومصير الشياطين في النار ومصير الجن المسلم بالجنة و الله أعلم ، لكن ماذا سيكون مصير الملائكة؟

الجواب :

الحمد لله

أخبر الله تعالى عن ملائكته عليهم السلام أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، قد أكرمهم الله ، وصيرهم من عبيد كرامته ورحمته ، وذلك لما خصهم به من الفضائل والتطهير عن الرذائل ، وأنهم في غاية الأدب مع الله والامتثال لأوامره .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٦ - ٢٩ ؛ فلا يقولون قولا مما يتعلق بتدبير الأكوان ، حتى يقول الله ، لكمال أدبهم ، وعلمهم بكمال حكمته وعلمه . ومهما أمرهم امتثلوا لأمره ، ومهما دبرهم عليه فعلوه ، فلا يعصونه طرفة عين ، ولا يكون لهم عمل بأهواء أنفسهم من دون أمر الله .

ومع هذا : فقد أحاط الله تعالى بهم علما ، فعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، من أمورهم الماضية والمستقبلة ، فلا خروج لهم عن علمه ، كما لا خروج لهم عن أمره وتدبيره .

وهم لا يشفعون لأحد بدون إذنه ورضاه ، فإذا أذن لهم وارتضىٰ من يشفعون فيه شفعوا فيه . وهم من خشيته مشفقون خائفون وجلون ، قد خضعوا لجلاله ، وعنت وجوههم لعزه وجماله .

"تفسير السعدي" (ص ٥٢١) ببعض تصرف .

وحالهم لا يختلف ، سواء قبل خلق آدم عليه السلام ، أو بعد فناء الدنيا وانقضاء أيامها ، أو يوم البعث والنشور والحساب والجزاء ، أو بعد أن ينصرف الناس يوم القيامة فريقين : فريق في الجنة وفريق في السعير .

فملائكة الله في كل ذلك : لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

وليسوا من أهل التكليف ، ولا حساب عليهم يوم القيامة ، ولكن تتنوع أعمالهم ووظائفهم في الآخرة بحسب هذا الأصل : تمام الطاعة والانقياد لله رب العالمين .

فمنهم من يحمل العرش ، قال تعالىٰ : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الحاقة: ١٧ ومنهم الحافون حول العرش المسبحون بحمد ربهم ، قال تعالىٰ:

﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الزمر: ٧٥

ومنهم الموكلون بأهل الجنة ، قال تعالىٰ : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الرعد: ٢٣ - ٢٤ وقال تعالىٰ : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الزمر: ٧٣

ومنهم الموكلون بأهل النار ، قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ﴾ المدثر: ٣١ وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ

﴿وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ التحريم: ٦

وقال تعالى : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ الزمر: ٧١

وقال تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ غافر: ٤٩

ومنهم من له أعمال غير ذلك ، ومرجع علم ذلك إلى الله تعالى علام الغيوب ، وقد قال الله ﷻ : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ المدثر: ٣١

سئل الصفار – من علماء الحنفية – : أتكون الملائكة في الجنة ؟ قال : " نعم إنهم موحدون ، وبعضهم يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم ، وبعضهم يبلغون السلام من الله تعالى على المؤمنين كما قال تعالى : (يَدخلونَ عَلَيهِم مِن كُلِ بابٍ، سَلامٌ عَلَيكُم بِما صَبَرتُم فَنِعمَ عُقبىٰ الدار) " . "الحبائك في أخبار الملائك" ، للسيوطي (ص ٨٨) .

وسئل علماء اللجنة الدائمة :

نعتقد أن الله تعالى يدخل من آمن به من الثقلين الجنة ، ويدخل من كفر به منهما النار يوم القيامة ، فما منزل الملائكة ؟

فأجابوا : " قد أخبر الله سبحانه عن الملائكة بأنهم (عِبادٌ مُكرَمُونَ * لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَ) الآيات ، فهم محل كرامته وإحسانه وتحت تصرفه وأمره

. فمنهم الموكل بأهل الجنة ، ومنهم الموكل بأهل النار ، ومنهم حملة العرش ، ومنهم الحافون بالعرش ، والله أعلم بتفاصيل أعمال بقيتهم " انتهى .

"فتاوى اللجنة الدائمة" (٣ / ٤٦٨-٤٦٩)

٢١_ موت الملائكة

السؤال :

عندي سؤال مهم جدا ، وأنا من رواد المنتديات ، ومشرف على أحد المنتديات الإسلامية ، وقد نشر أحد الأعضاء موضوعا عن موت الملائكة . فأرجو لرحابة صدرك أن ترد علينا بخصوص هذا الموضوع . بعدما ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور النفخة الأولى ، تستوي الأرض من شدة الزلزلة ، فيموت أهل الأرض جميعا ، وتموت ملائكة السموات السبع ، والحجب والسرادقات والصافون والمسبحون وحملة العرش وأهل سرادقات المجد والكروبيون ، ويبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام . موت جبريل علية السلام : يقول الجبار جل جلاله : يا ملك الموت من بقي ؟ وهوأعلم ، فيقول ملك الموت : سيدي ومولاي أنت أعلم : بقي إسرافيل وبقي ميكائيل وبقي جبريل وبقي عبدك الضعيف ملك الموت خاضع ذليل قد ذهلت نفسه لعظيم ما عاين من الأهوال . فيقول له الجبار تبارك وتعالى : انطلق إلى جبريل فاقبض روحه ، فينطلق إلى جبريل فيجده ساجدا راكعا فيقول له : ما أغفلك عما يراد بك ! يا مسكين ! قد مات بنو آدم وأهل الدنيا والأرض والطير والسباع والهوام وسكان السموات وحملة العرش والكرسي والسرادقات وسكان سدرة المنتهى ، وقد أمرني المولى بقبض روحك ! فعند ذلك يبكي جبريل عليه السلام ويقول متضرعا إلى الله عز وجل : يا الله ! هوِّن عليَّ سكرات الموت . (يا الله هذا ملك كريم يتضرع ويطلب من الله بتهوين سكرات الموت ، وهو لم يعص الله قط ، فما بالنا نحن البشر ونحن ساهون لا نذكر الموت إلا قليلا) فيضمه ضمة فيخر جبريل منها صريعا ، فيقول الجبار جل جلاله : من بقي يا ملك الموت ؟_ وهو أعلم _ فيقول : مولاي وسيدي بقي ميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت . موت ميكائيل عليه السلام . (الملك المكلف بالماء والقطر) فيقول الله عز وجل انطلق إلى ميكائيل فاقبض روحه . فينطلق إلى

ميكائيل فيجده ينتظر المطر ليكيله على السحاب . فيقول له : ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك ! ما بقي لبني آدم رزق ولا للأنعام ولا للوحوش ولا للهوام ، قد أهل السموات والأرضين وأهل الحجب والسرادقات وحملة العرش والكرسي وسرادقات المجد والكروبيون والصافون والمسبحون ، وقد أمرني ربي بقبض روحك . فعند ذلك يبكي ميكائيل ويتضرع إلى الله ويسأله أن يهون عليه سكرات الموت ، فيحضنه ملك الموت ويضمه ضمة يقبض روحه ، فيخر صريعا ميتا لا روح فيه . فيقول الجبار ﷻ : من بقي – وهو أعلم – ياملك الموت ؟ فيقول : مولاي وسيدي أنت أعلم ، بقي إسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت . موت إسرافيل عليه السلام . (الملك الموكل بنفخ الصور) فيقول الجبار تبارك وتعالى : انطلق إلى إسرافيل فاقبض روحه . فينطلق كما أمره الجبار إلى إسرافيل (واسرافيل ملك عظيم) ، فيقول له ما أغفلك يا مسكين عما يراد بك! قد ماتت الخلائق كلها وما بقي أحد ، وقد أمرني الله بقبض روحك ، فيقول إسرافيل : سبحان من قهر العباد بالموت ، سبحان من تفرد بالبقاء ، ثم يقول : مولاي ! هوِّن عليَّ مرارة الموت . فيضمه ملك الموت ضمه يقبض فيها روحه ، فيخر صريعا ، فلو كان أهل السموات والأرض في السموات والأرض لماتوا كلهم من شدة وقعته . موت ملك الموت عليه السلام . (الموكل بقبض الأرواح) فيسأل الله ملك الموت : من بقي يا ملك الموت ؟ – وهو أعلم – فيقول : مولاي وسيدي أنت أعلم بمن بقي ، بقي عبدك الضعيف ملك الموت . فيقول الجبار ﷻ : وعزتي وجلالي لأذيقنك ما أذقت عبادي ، انطلق بين الجنة والنار ومت . فينطلق بين الجنة والنار فيصيح صيحة لولا أن الله تبارك وتعالى أمات الخلائق لماتوا عن آخرهم من شدة صيحته فيموت . ثم يطلع الله تبارك وتعالى إلى الدنيا فيقول :يا دنيا ! أين أنهارك ! أين أشجارك ! وأين عمارك ! أين الملوك وأبنا الملوك ! وأين الجبابرة وأبناء الجبابرة ! أين الذين أكلوا رزقي وتقلبوا في نعمتي وعبدوا غيري ! لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد . فيرد الله Y فيقول : الملك لله الواحد القهار . وأرجو من حضرتكم

إرسال بعض المعلومات عن هذا الموضوع على هذا الإيمل ، لكي أستطيع الرد على إخواننا بالمنتدى بصيغة شرعية .

الجواب

الحمد لله

الملائكة من الغيب الذي أمرنا الله ﷻ بالإيمان به ، وأطلعنا على شيء من حقيقته ، وأوجب علينا سبحانه الوقوف عند ما جاء به الوحي في ذلك ، ونهانا عن الخوض فيها بغير دليل ولا برهان .

يقول الله ﷻ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء: ٣٦

فمن خاض في الملائكة بغير حجة صحيحة فقد تجاوز الحدود ، وتعرض للسؤال عند علام الغيوب ﷻ .

وفي شأن موت الملائكة ، اختلف أهل العلم على قولين :

القول الأول :

أن الملائكة تموت ، وهو قول أكثر أهل العلم ، حتى نقل المناوي الإجماع عليه في "فيض القدير" (٣/ ٥٦١) ، ثم إذا ماتوا أحياهم الله تعالى قبل الناس .

واستدل من قال به بعدة أدلة :

١- يقول الله ﷻ : ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ﴾ القصص: ٨٨

قالوا : فقد كتب الله تعالى الهلاك على كل ما سواه ، ولم يستثن أحدا من خلقه ، فشمل بذلك الملائكة .

جاء في "تفسير القرطبي" (١٧/ ١٦٥) :

" وقال ابن عباس : لما نزلت هذه الآية – يعني قوله تعالىٰ (كل من عليها فان) – قالت الملائكة : هلك أهل الارض ، فنزلت : (كل شيء هالك إلا وجهه) ، فأيقنت الملائكة بالهلاك ، وقاله مقاتل " انتهىٰ .

وقد يجاب عن هذا بأنه أثر معلق عن ابن عباس ، لم يوقف له علىٰ سند صحيح ، وأن العموم في الآية يشمل أهل الأرض دون سكان الجنة ، فإن سكان الجنة لا يموتون بالاتفاق ، فلعل الملائكة يلحقون بسكان الجنة من الحور العين وغيرهم .

٢– وفي السنة حديث طويل يعرف بحديث (الصور) يرويه أبو هريرة رضي الله عنه ، وقد أخرجه جماعة من المحدثين بألفاظ فيها تفاوت زيادة ونقصانا ، إلا أنها متفقة علىٰ ذكر موت الملائكة العظام : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، فقد جاء فيه :

(ثم يجيء ملك الموت إلىٰ الجبار ، فيقول : يا رب ، قد مات حملة العرش ، فيقول الله وهو أعلم : من بقي ؟ ، فيقول : بقيت أنت يا رب ، الحي الذي لا تموت ، وبقي جبريل وميكائيل ، وبقيت أنا ، فيقول الله : فليمت جبريل وميكائيل ، فيموتان ، وينطق الله العرش فيقول : يا رب ، تميت جبريل وميكائيل ؟ فيقول الله له : اسكت ، فإني كتبت الموت علىٰ من تحت عرشي ، ثم يجيء ملك الموت إلىٰ الجبار فيقول : يا رب ، مات جبريل وميكائيل ، فيقول الله وهو أعلم : فمن بقي ؟ فيقول : بقيت أنت الحي الذي لا تموت ، وبقيت أنا ، فيقول الله : أنت خلق من خلقي ، خلقتك لما قد ترىٰ ، مت ... ثم قال : أنا الجبار ، ثم ينادي : لمن الملك اليوم ؟ ثم يرد علىٰ نفسه : لله الواحد القهار ، يقول ذلك ثم ينادي : ألا من كان لي شريكا فليأت ، فلا يأتيه أحد ، قال ذلك ثلاثا)

هذا الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في "الأهوال" (٥٤) وهذا لفظه ، وإسحاق بن راهويه – كما في "المطالب العالية" (٧/ ٥٥٥) – وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٩/ ٢٩٢٨-٢٩٣١) وأبو يعلىٰ – كما عزاه إليه "إتحاف المهرة" (٨/ ٥٦) – والطبري

في "تفسيره" (٢١/ ٣٣١) والطبراني في "الأحاديث الطوال" (٣٦) ، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (٢/ ٢٢٢) والبيهقي في "البعث والنشور" (رقم ٥٩٣) وأبو الشيخ في "العظمة" (٣/ ٨٢١-٨٣٩) وعزاه الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (١١/ ٣٦٨) لعبد بن حميد وعلي بن معبد في كتاب "الطاعة والمعصية"

كما عزاه السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٢٥٦) لأبي الحسن القطان في "المطولات" وابن المنذر وأبي موسى المديني في "المطولات" .

جميعهم من طرق تلتقي في إسماعيل بن رافع المدني أبو رافع الأنصاري عن محمد بن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة به .

وهذا الحديث منكر معلول ، علته محمد بن يزيد بن أبي زياد ، فقد جاء في ترجمته في "تهذيب التهذيب" (٩/ ٥٢٤) : " قال البخارى : روى حديث الصور ولم يصح .

وقال الخلال : سئل أحمد عن حديثه ، فقال : رجاله لا يعرفون . وقال ابن حبان : لست أعتمد على إسناد خبره . وقال الأزدى : ليس بالقائم ، فى إسناده نظر . وقال الدارقطنى : إسناده لا يثبت ، ومحمد و أيوب والراوى عنه مجهولون " انتهى .

وكذلك الراوي عنه إسماعيل بن رافع اتفقت كلمة المحدثين على تضعيفه ، حتى قال النسائي : متروك الحديث . وقال أبو حاتم : منكر الحديث . انظر "تهذيب التهذيب" (١/ ٢٩٥)

يقول ابن حجر في "فتح الباري" (١١/ ٣٦٨) :

" مداره على إسماعيل بن رافع : واضطرب في سنده مع ضعفه ، فرواه عن محمد بن كعب القرظي تارة بلا واسطة ، وتارة بواسطة رجل مبهم ، ومحمد عن أبي هريرة تارة بلا واسطة ، وتارة بواسطة رجل من الأنصار مبهم أيضا .

وأخرجه إسماعيل بن أبي زياد الشامي أحد الضعفاء أيضا في تفسيره عن محمد بن عجلان عن محمد بن كعب القرظي .

واعترض مغلطاي على عبد الحق في تضعيفه الحديث بإسماعيل بن رافع وخفي عليه أن الشامي أضعف منه ، ولعله سرقه منه فألصقه بابن عجلان . وقد قال الدار قطني : إنه متروك يضع الحديث . وقال الخليلي : شيخ ضعيف شحن تفسيره بما لا يتابع عليه .

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير في حديث الصور : جمعه إسماعيل ابن رافع من عدة آثار وأصله عنده عن أبي هريرة فساقه كله مساقا واحدا .

وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع القاضي أبو بكر بن العربي في "سراجه" وتبعه القرطبي في "التذكرة" وقول عبد الحق في تضعيفه أولى ، وضعفه قبله البيهقي " انتهى .

قلت : وضعفه إضافة زيادة على من سبق ذكرهم - أحمد والبخاري وابن حبان وأبو الفتح الأزدي والدارقطني - : ابن جرير الطبري فقال (١٨/ ٥٥٨) : في إسناده نظر . وقال البيهقي في "شعب الإيمان" (١/ ٣٠٩) : في إسناده مقال . وكذا ابن القيم في "حادي الأرواح" (٨٧) ، وابن رجب في "التخويف من النار" (٢٢٩) ، وقال الألباني في "ضعيف الترغيب والترهيب" (٢/ ٢٥٢) : منكر . وقال أحمد شاكر في "عمدة التفسير" (١/ ٧٧٨) : ظاهر النكارة .

وحديث أبي هريرة له شاهدان اثنان :

الأول : عن أنس بن مالك بلفظ قريب مختصر ، يرويه الطبري في "تفسيره" (٢١/ ٣٣٠) والبيهقي في "البعث" وابن مردويه كذا عزاه السيوطي في "الدر المنثور" (٧/ ٢٥٠)

ضعفه الحافظ في فتح الباري" (١١/ ٣٧١) إذ فيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف كما في "تهذيب التهذيب" (١١/ ٣١١) وابن أخيه الفضل بن عيسى اتفقت كلمة المحدثين على تضعيفه ونكارة حديثه . "تهذيب التهذيب" (٨/ ٢٨٤)

والثاني : عن ابن عباس ، يرويه البيهقي في "شعب الإيمان" (١/ ٢٦١) وقال : ضعيف بمرة . لأنه فيه مجاشع بن عمرو أحد الكذابين .

فيتبين بهذا أن الشاهدين ساقطان لا يصلحان لتقويه أصل الحديث بوجه من الوجوه . والله أعلم .

أما اللفظ الذي ساقه السائل الكريم ، فلم يروه أحد من أهل العلم فيما نعلم ، ولم يذكره إلا ابن الجوزي في كتابه "بستان الواعظين" (فقرة ٣٥ – ٣٩) ، مطلقا هكذا من غير إسناد ولا توثيق ، وقد عرفت أن أصل الحديث المسند منكر لا يصح ، فكيف بلفظ لم يرد بإسناد أصلا.

٣- ويستدلون من السنة أيضا بحديث لقيط بن عامر الطويل في قدوم وفد بني المنتفق على رسول الله ﷺ ، وفيه قول النبي ﷺ :

(تَلْبَثُونَ مَا لَبِثْتُمْ ، ثُمَّ يُتَوَفَّى نَبِيُّكُم ، ثُمَّ تَلْبَثُونَ مَا لَبِثْتُمْ ، ثُمَّ تُبْعَثُ الصَّائِحَةُ ، فَلَعَمْرُ إِلهِكَ ما تَدَعُ عَلى ظَهْرِها شَيْئاً إلا مَاتَ ، والمَلائِكَةُ الَّذِينَ مَعَ رَبِّكَ ..الخ)

أخرجه عبد الله بن أحمد في "زوائد المسند" (٤/ ١٣-١٤) ، وابن أبي عاصم في السنة (٩٥١) والطبراني في "الكبير" (١٩/ ٤٧٧) وابن خزيمة في "التوحيد"

(١٢٢-١٢٥) والحاكم في "المستدرك" (٤/ ٥٦٠) ، وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" (٣/ ٢٤٩) وأبو داود (٣٢٦٦) مختصرا ليس فيه محل الشاهد .

جميعهم من طريق عبد الرحمن بن عياش السمعي عن دلهم بن الأسود ، عن أبيه .

وهؤلاء ثلاثتهم مجاهيل لم يوثقهم أحد من أهل العلم إلا ذكر ابن حبان لهم في الثقات ، وذلك غير كاف في التوثيق ، خاصة وأن في الحديث من الألفاظ المنكرة ما يقتضي رده وتضعيفه .

يقول الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (٥/ ٨٢) : غريب جدا ، وألفاظه في بعضها نكارة . وقال الحافظ ابن حجر في "تهذيب التهذيب" (٥/ ٥٧) : وهو حديث غريب جدا . وضعفه محققو مسند أحمد (٢٦/ ١٢١)

يقول ابن القيم في "زاد المعاد" (٣/ ٦٧٩) :

" وقوله: (والملائكة الذين عند ربك) : لا أعلم موت الملائكة جاء في حديث صريح إلا هذا ، وحديث الصُّور " انتهى .

والخلاصة أنه لا يصح دليل لقول جماهير أهل العلم في موت الملائكة إلا عموم الآية ، وما سوى ذلك من أحاديث فهي منكرة ضعيفة لا يصلح الاستشهاد بها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٤/ ٢٥٩) :

" الذي عليه أكثر الناس أن جميع الخلق يموتون ، حتى الملائكة ، وحتى عزرائيل ملك الموت ، وروي في ذلك حديث مرفوع إلى النبي ﷺ ، والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على إمكان ذلك وقدرة الله عليه " انتهى .

وانظر السيوطي في "الحبائك في أخبار الملائك" (٩١)

القول الثاني :

أن الملائكة لا تموت ، وقد ذهب إلى هذا ابن حزم ، وبعض المفسرين .

ويمكن أن يستدل لهذا القول بما يأتي :

١- يقول الله ﷻ : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الزمر: ٦٨

وقد فسر كثير من السلف هذا الاستثناء بالملائكة ، وهو اختيار ابن جرير الطبري في "تفسيره" (٢١/ ٣٣٠) وأسند إلى قتادة قوله : قد استثنى الله ، والله أعلم إلى ما صارت ثنيته .

إلا أنه يمكن الجواب عن هذا الدليل بأن استثناء الملائكة من الصعقة لا يلزم منه استثناءهم من الموت ، فهم يموتون بعد الصعقة التي يموت منها ما على الأرض .

يقول الحسن البصري : يستثني الله ، وما يدع أحدا من أهل السموات ولا أهل الأرض إلا أذاقه الموت .

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في "تفسير القرآن العظيم" (٧/ ١١٦) :

" هذه النفخة هي الثانية ، وهي نفخة الصعق ، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، كما هو مصرح به مفسرا في حديث الصور المشهور . ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت ، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخرا بالديمومة والبقاء " انتهى .

٢- قوله تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ الأعراف: ٢٠

يقول الإمام الواحدي في "الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" (٣٨٩) :

" (إلا أن تكونا) لا هاهنا مضمرة أي : إلا أن لا تكونا (ملكين) يبقيان ولا يموتان كما لا تموت الملائكة ، يدل على هذا المعنى قوله : (أو تكونا من الخالدين) " انتهى .

وجاء نحوه في "بحر العلوم" للسمرقندي (٢/ ١٠٢)

وقد يجاب عن هذا الاستدلال بأن يقال :

- بل (أو) في الآية دليل على المغايرة ، يعني أن الملائكية غير الخلود ، وهذا ما جاء عن السلف في تفسير الآية :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقرأ هذه الآية : فإن أخطأكما أن تكونا ملكين لم يخطئكما أن تكونا خالدين فلا تموتان فيها أبدا . "الدر المنثور" (٣/ ٤٣١)

- وعلى تسليم الخلود ، فلا يلزم منه عدم الموت ، فإن الشيطان أطمعَ آدمَ إذا أكلَ من الشجرة كي يطول عمره ويبقى فيما هو فيه من النعيم أزمانا طويلة ، كما هو حال الملائكة التي إن ماتت فإن موتها يكون لفترة يسيرة يوم القيامة فقط ، ثم لا تلبث أن تحيا مرة أخرى

يقول القرطبي في تفسيره (٧/ ١٧٨) :

" وقيل : طمع آدم في الخلود ؛ لأنه علم أن الملائكة لا يموتون إلى يوم القيامة " انتهى .

وانظر "زاد المسير" (٣/ ١٧٩)

٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ : « أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ » رواه البخاري (٧٣٨٣) ومسلم (٢٧١٧)

قالوا : مفهوم الحديث ، أن غير الجن والإنس لا يموتون .

وأجاب عن ذلك الجمهور ، فقال ابن حجر في "فتح الباري" (١٣/ ٣٧٠) :

" قوله : (والجن والإنس يموتون) استدل به على أن الملائكة لا تموت ، ولا حجة فيه ؛ لأنه مفهوم لقب ولا اعتبار له ، وعلى تقديره فيعارضه ما هو أقوى منه ، وهو عموم قوله تعالى : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) مع أنه لا مانع من دخولهم في مسمى الجن ؛ لجامع ما بينهم من الاستتار عن عيون الإنس " انتهى .

٤- يقول ابن حزم في "الفصل في الملل والأهواء والنحل" (٤/ ٢١) :

" ولا نص ولا إجماع على أن الملائكة تموت ، ولو جاء بذلك نص لقلنا به ، بل البرهان موجب أن لا يموتوا ؛ لأن الجنة دار لا موت فيها ، والملائكة سكان الجنان ، فيها خلقوا وفيها يخلدون أبدا ، وكذلك الحور العين ، وأيضا فإن الموت إنما هو فراق النفس للجسد المركب ، وقد نص رسول الله ﷺ على أن الملائكة خلقوا من نور ، فليس فيهم شيء يفارق شيئا فيسمى موتا " انتهى .

والحاصل أن الخلاف في هذه المسألة خلاف معتبر ، وقد اجتهد الأئمة في البحث عما يرجح أحد القولين ، إلا أنهم وجدوا أن المسألة لا ينبني عليها كبير شأن ولا عظيم أمر ، بل هي من عالم الغيب الذي لا يضرنا الجهل به ، ولو كان أمرا مهما في الدين لجاءت به النصوص الصريحة الصحيحة ، فالأمر يرجع إلى الاجتهاد والنظر ، ولعل السكوت عنه أولى وأفضل .

جاء في "فتاوى اللجنة الدائمة" (٢/ ١٨٥-١٨٦) :

" س١ : أفتونا عن الملائكة الموكلين بالإنسان لإحصاء أعماله في مدة الحياة ، وهم رقيب وعتيد ، عندما يموت الإنسان هل يموت الملكان الموكلان به ، أو أين يكون مصيرهما بعد وفاة الإنسان ؟

فكان الجواب :

أحوال الملائكة وشؤونهم من الغيبيات، ولا تعرف إلا من قبل السمع ، ولم يرد نص في موت كتبة الحسنات والسيئات عند موت من تولوا كتابة حسناته وسيئاته ، ولا نص ببقاء حياتهم ولا عن مصيرهم ، وذلك إلى الله ، وليس ما سئل عنه مما كلفنا اعتقاده ، ولا يتعلق به عمل ، فالسؤال عن ذلك دخول فيما لا يعني ؛ لذا ننصح السائل أن لا يدخل فيما لا يعنيه ، ويبذل جهده في السؤال عما يعود عليه وعلى المسلمين بالنفع في دينهم ودنياهم " انتهى .

٢٢_ الحكمة من خلق الملائكة ، والفرق بين هداية التوفيق وهداية الإرشاد

السؤال:

ما الحكمة من خلق الملائكة ؟ هل خُلقوا لا لشيء سوى متعة الخلق أم للاختبار والتمحيص ؟. وهل عندما خلق الله إبليس كان يعرف نهايته ومستقبله في الأرض ؟ وهل لم يستطع الله خلق إبليس على الهدى الذي أراده له ؟.

الجواب :

الحمد لله

أولاً:

لا يتم إيمان المسلم حتى يثبت لربه تعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال ، وما أثبته له رسوله ﷺ كذلك ، ومما ثبت لله تعالى من الأسماء " الحكيم " ، ومما ثبت له من الصفات " الحكمة " ، فلم يخلق الله تعالى خلقاً إلا لحكمة ، ولم يشرع شرعاً إلا لحكمة ، وليس بالضرورة أن تصل عقول العباد إلى تلك الحكم دائما ، بل قد يبين الله تعالى لعباده بعض تلك الحكم ، وقد يستر عنهم بعضهم ، محنة لهم ، واختبارا لعبودئتهم وتسليمهم لربهم .

ثانياً:

قدر الله تعالى أن يخلق الملائكة ، ولا شهوة لهم إلى المعصية ، بل همتهم مصروفة بالكلية إلى طاعة رب العالمين ؛ فليس لهم في الدنيا اختبار ولا ابتلاء ، ولا عليهم في الآخرة حساب ولا جزاء .

قال ابن القيم – رحمه الله – :

فإن الله سبحانه خلق خلقَه أطواراً ، فخلق الملائكة عقولاً لا شهوات لها ولا طبيعة تتقاضى منها خلاف ما يراد من مادة نورية لا تقتضي شيئاً من الآثار والطبائع

المذمومة ، وخلق الحيوانات ذوات شهوات لا عقول لها ، وخلق الثقلين الجن والإنس وركب فيهم العقول والشهوات والطبائع المختلفة لآثارمختلفة بحسب موادها وصورها وتركيبها ، وهؤلاء هم أهل الامتحان والابتلاء ، وهم المعرضون للثواب والعقاب ، ولو شاء سبحانه لجعل خلقه على طبيعة خلق واحد ولم يفاوت بينهم ، لكن ما فعله سبحانه هو محض الحكمة ، وموجب الربوبية ، ومقتضى الإلهية .

" طريق الهجرتين " (ص ٢٠٣) .

ثالثاً:

الملائكة الكرام خلقٌ من خلق الله تعالى ، عبادٌ مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يُؤمرون ، يكلفهم ربهم تعالى بما يشاء ، وإذا علمتَ تلك الوظائف والأعمال التي يقوم بها أولئك الخلق الكرام فهي الحكمة من خلقهم ، ومجمل هذه الأعمال والوظائف ثلاثة :

الأولى : عبادة الله تعالى ، وتمجيده ، وتعظيمه ، وتسبيحه .

قال تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٠ ، وقال تعالى – على لسان الملائكة الكرام – ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ الصافات: ١٦٥ - ١٦٦ .

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ » . رواه الترمذي (٢٣١٢) وابن ماجه (٤١٩٠) ، وحسَّنه الألباني في " صحيح الترمذي "

وانظر شرح الحديث في جواب السؤال رقم (١٣١٥١٦) .

الثانية : القيام بأمر خلق الله تعالى وملكوته تعالى بإذن ربهم وتكليفه .

فمن الملائكة مكلفون بحمل العرش وعددهم ثمانية ، ومنهم مكلفون بتبليغ الوحي ، ومنهم خزنة الجنة ، ومنهم خزنة النار ، ومنهم ملائكة الأرزاق ، وهكذا في سلسلة أعمال جليلة كلفهم بها الرب سبحانه وتعالى .

الثالثة : القيام بأمر بني آدم بإذن ربهم وتكليفه .

فمن الملائكة من يحرس بني آدم ، ومنهم من يسجل أعمال بني آدم ، ومنهم مكلفون بقبض الأرواح ، ومنهم المكلف بسؤال الميت في قبره ، والمستغفر للمؤمنين ، وهكذا في سلسلة أعمال جليلة تتعلق بابن آدم .

ويمكن أن يراجع تفاصيل ما يتعلق بالملائكة في كتاب "عالم الملائكة الأبرار" للشيخ الدكتور عمر سليمان الأشقر ، حفظه الله ، وهو كتاب مهم جامع في بابه .

رابعاً:

وأما قولك " وهل عندما خلق الله إبليس كان يعرف نهايته ومستقبله في الأرض ؟ " ؛ فاعلم ـ أولاً ـ أنه لا يصح إسلام العبد إلا أن يؤمن أن الله تعالى يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ؟ وأن من تشكك في شيء من ذلك : فهو كافر بالله العظيم

ألست تقرأ قول الله تعالى ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٣﴾﴾ سبأ: ٣ ، وقوله تعالى ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾﴾ الطلاق: ١٢ ، وقوله ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ المجادلة: ٧ ، وقوله ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ الحديد: ٣ ؟! فأين أنت عن هذه الآيات ومئات مثلها ، ومئات من الأحاديث ؟! .

خامساً:

أما قولك " وهل لم يستطع الله خلق إبليس على الهدى الذي أراده له ؟ " : فهذا أيضاً منك عجيب ، فإن كنتَ مسلماً فكيف آمنتَ برب عاجز ؟ وكيف آمنت – إذاً – بربٍّ خلق الملائكة عباداً طائعين فكان ما أراد الله تعالى منهم ؟ .

وقد ذكرنا لك في أول الجواب كيف اختلف خلق إبليس وآدم عن خلق الملائكة ؛ بل هذا ـ أيها السائل ـ مما يرشدك إلى تمام قدرة الله ﷻ ، وعظيم ملكه ؛ فقد خلق من خلقه من لا يعصيه طرفة عين ، بل هو طائع له أبدا ، وهم الملائكة ، وخلق من لا يطيع أمره أبدا ،بل هو عاص له ، كافر به ، معاند لأمره ؛ وهم الشياطين ؛ وخلق من جمع بين الوصفين : الإيمان والكفر ، والطاعة والمعصية ، وهم بنو آدم . والكل خلق الله ، لو شاء لجعلهم على ملة واحدة ، وخلقة واحدة ، ودين واحد ، لكن حكمته وقدرته اقتضت ذلك ، وهو المحمود على كل فعله ، وكل قوله ، وكل خلقه سبحانه : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٣.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" وَهُوَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَرَبُّهُ وَمَلِيكُهُ ، وَلَهُ فِيمَا خَلَقَهُ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ، وَنِعْمَةٌ سَابِغَةٌ ، وَرَحْمَةٌ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ ؛ وَهُوَ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ، لَا لِمُجَرَّدِ قُدْرَتِهِ وَقَهْرِهِ ؛ بَلْ لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَرَحْمَتِهِ وَحِكْمَتِهِ " انتهى من "مجموع الفتاوى" (٨/ ٧٩) .

سادساً:

اعلم أن كل من ضلَّ عن سواء السبيل فقد جاءه الهدى ، لكنه هو الذي أباه واستكبر عن اتباعه ، فهداية الدلالة والإرشاد قد وصلتهم ، وأقام بها الله تعالى الحجة عليهم ، لكنهم أبوا الانقياد لها واتباعها ، فحصل منهم الضلال ، فعمت هدايته وبيانه للخلق ، وقامت عليهم حجيته سبحانه ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٩ .

قال ابن القيم رحمه الله :

" فأخبر سبحانه أن الحجة له عليهم برسله وكتبه ، وبيان ما ينفعهم ويضرهم ، وتمكنهم من الإيمان بمعرفة أوامره ونواهيه ، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول ، فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك ، واضمحلت حجتهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه ، ثم قرر تمام الحجة بقوله : (فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) ؛ فإن هذا يتضمن أنه المتفرد بالربوبية والملك والتصرف في خلقه ، وأنه لا رب غيره ، ولا إله سواه ؛ فكيف يعبدون معه إلها غيره ؟! فإثبات القدر والمشيئة من تمام حجته البالغة عليهم ، وأن الأمر كله لله ، وأن كل شيء ما خلا الله باطل ؛ فالقضاء والقدر والمشيئة النافذة من أعظم أدلة التوحيد ، فجعلها الظالمون الجاحدون حجة لهم على الشرك ، فكانت حجة الله هي البالغة ، وحجتهم هي الداحضة وبالله التوفيق " انتهى .

"شفاء العليل" (٣٥) .

ونوصيك أيها السائل بطلب العلم الشرعي ، ومعرفة ما ينفعك في دينك وقربك من ربك عز وجل ، وابذل وقتك في حفظ القرآن وأكثر من النظر في أحاديث نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، واطلع على تراجم سلف هذه الأمة وعلمائها ، وسترى – بإذن الله – خيراً كثيراً ، فساعات العمر أنفس من أن نضيعها فيما لا نفع فيه ، والعمر محدود أن نفرط فيه فيما قد يضرنا يوم نلقى ربنا تعالى .

وأعظم ما نوصيك أن تكثر مع ذلك كله من ذكر الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار ، وأن تجتهد في طاعته ، فإن الشيطان وسواس خناس ، إذا ذكرت الله خنس ، وضعف عنك ، وإذا غفلت عن ذكره برز إليك ، وشغلك بالوساوس والخطرات .

والله أعلم .

٢٣_ الرقيب والعتيد وصفان لكل من الملكين الذين يحفظان أعمال العباد

السؤال:

هل الرقيب والعتيد ملكان ، وما وظيفتهما ، وهل إذا دخل الإنسان المرحاض يدخلان معه ؟ جزاكم الله خيرا .

الجواب :

الحمد لله

أولا :

هذان الوصفان للملائكة التي وُكِّلت بكتابة كل ما يعمله ابن آدم من خير أو شر ، وهما وصفان صادقان على كل منهما ، فالملك الذي عن اليمين صفته أنه رقيب وعتيد ، والملك الذي عن الشمال صفته أنه رقيب وعتيد .

يقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ ق: ١٦ – ١٨.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله :

" في الرقيب ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه المتتبع للأمور .

الثاني : أنه الحافظ ، قاله السدي .

الثالث : أنه الشاهد ، قاله الضحاك .

وفي العتيد وجهان :

أحدهما : أنه الحاضر الذي لا يغيب .

الثاني : أنه الحافظ المُعَد ، إما للحفظ ، وإما للشهادة " انتهى.

" الجامع لأحكام القرآن " (١٧/ ١١)

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله :

" (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ) يعني : الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان ، (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ) أي : مترصد . (مَا يَلْفِظُ) أي : ابن آدم (مِنْ قَوْلٍ) أي : ما يتكلم بكلمة (إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) أي : إلا ولها من يراقبها معتد لذلك يكتبها ، لا يترك كلمة ولا حركة ، كما قال تعالى : (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) الانفطار/ ١٠-١٢ " انتهى.

" تفسير القرآن العظيم " (٧/ ٣٩٨)

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" (رقيب) مراقب ليلاً ونهاراً ، لا ينفك عن الإنسان .

(عتيد) حاضر ، لا يمكن أن يغيب ويوكل غيره ، فهو قاعد مراقب حاضر ، لا يفوته شيء " انتهى.

" تفسير سورة ق "

وأما القول بأن أحد الملكين اسمه رقيب ، والآخر اسمه عتيد : فهو مخالف لظاهر الآية الكريمة.

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر حفظه الله :

" يذكر بعض العلماء أن من الملائكة من اسمه رقيب وعتيد ، استدلالاً بقوله تعالى : (ما يلفظ من قولٍ إلاَّ لديه رقيب عتيدٌ) وما ذكروه غير صحيح ، فالرقيب والعتيد هنا وصفان للملكين اللذين يسجلان أعمال العباد ، ومعنى رقيب وعتيد ؛ أي :

ملكان حاضران شاهدان ، لا يغيبان عن العبد ، وليس المراد أنهما اسمان للملكين " انتهى.

" عالم الملائكة الأبرار " (ص/ ١٢)

وانظر في موقعنا جواب السؤال رقم : (٦٥٢٣)

ثانيا :

وأما هل يدخل الملائكة الحفظة مع الإنسان إلى الخلاء تبين فيه أن الثابت في الكتاب والسنة أن كل عبد موكل به ملكان ، يراقبان حركاته وسكناته ، ويكتبان أفعاله ، ويحصيان عليه كل ما يصدر منه ، سواء كان عمل خير أو عمل معصية ، وسواء كان في محل كريم أو مكان مهين .

ولكن لم يرد في الكتاب ولا في السنة تفسير لكيفية هذا الإحصاء ، وهل يستلزم دخول الملائكة مع العبد كل مكان يدخل إليه ، وبقاءهم معه في تفاصيل كل عمل يعمله ، أو أن الله خلق فيهما من القدرة ما تمكنهما من معرفة الأعمال وكتابتها من غير حاجة إلى مصاحبة العبد في كل مكان يدخل إليه ، والواجب هو الوقوف عند الوارد ، وتفويض علم ما لم يرد إلى الله ﷻ ، وكما قال سعيد بن جبير رحمه الله : " قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ".

٢٤_ هل تفارق الملائكة الكاتبين العبد في أي حال ؟

السؤال:

متى يتجنب الكرام الكاتبين العبد ؟

الجواب :

الحمد لله

أولا :

اتفق العلماء على أن أعمال العباد محصاةٌ عليهم ، سواء عملوها في الأماكن الكريمة ، أم في الأماكن المهينة كالخلاء ، وسواء عملوها في أحوال الطاعات أم في أحوال المعاصي والآثام ، فكل ما عمله العبد في حياته ، سوف يلقاه يوم القيامة مثبتا في كتاب أعماله ، من صغير أو كبير ، من جليل أو حقير . قال الله تعالى ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ الكهف: ٤٩ .

ثانيا :

اختلف العلماء فيما إذا كانت الملائكة الموكلة بتسجيل الأعمال قد تفارق العبد في بعض الأماكن والأحوال ، أم لا ، وذلك على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الملائكة الموكلة بكتابة الأعمال لا تفارق العبد في أي حال من الأحوال .

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" هذان الاثنان – يعني الملكين – هل هما دائماً مع الإنسان ؟ نعم لقوله : (إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) ق/ ١٨ وقيل : إنهما يفارقانه إذا دخل الخلاء ، وإذا كان عند الجماع ، فإن

صح ذلك عن رسول الله ﷺ فعلى العين والرأس ، وإن لم يصح فالأصل العموم (إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) ق/ ١٨ " انتهى.

" شرح العقيدة السفارينية " (٣) .

القول الثاني : أن الملائكة تفارق العبد في مواضع : في الخلاء ، وعند الجماع ، وأضاف بعضهم عند الاغتسال .

يقول ابن حجر الهيتمي رحمه الله :

" الحفظة لا يفارقوننا ، إلا عند الخلاء والجماع والغسل ، كما في حديث " انتهى.

" الفتاوى الحديثية " (ص/ ٤٧)

ويقول السفاريني رحمه الله :

" لا يفارقان العبد بحال ، وقيل : بل عند الخلاء ، وقال الحسن : إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين : عند غائطه ، وعند جماعه ، ومفارقتهما للمكلف حينئذ لا تمنع من كتبهما ما يصدر منه في تلك الحال ، كالاعتقاد القلبي ، يجعل الله لهما أمارة على ذلك " انتهى.

" لوامع الأنوار البهية " (١/ ٤٤٨)

واستدلوا على ذلك بأدلة عدة :

الدليل الأول : عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ :

« إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّيَ ، فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ ، وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ »

رواه الترمذي (رقم/ ٢٨٠٠)

لكن هذا الحديث ضعيف ، قال الترمذي بعد إخراجه له : "هذا حديث غريب " انتهى. وضعفه الألباني في " السلسلة الضعيفة " (رقم/ ٢٣٠٠)

قال بدر الدين العيني رحمه الله :

" فإن قيل : قد رُوِيَ عنه عليه السلام أن الكرام الكاتبين لا يُفارقان العَبد إلا عند الخلاء والجماع.

قلت : هذا حديث ضعيف لا يحتج به " انتهى.

" شرح سنن أبي داود " (٢/ ٣٩٧)

الدليل الثاني : روى عبد الرزاق في " المصنف " (١/ ٢٨٥) عن ابن جريج ، عن صاحب له ، عن مجاهد قال :

(لما كان النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية - وعليه ثوب مستور عليه - هبت الريح ، فكشفت الثوب عنه ، فإذا هو برجل يغتسل عريانا بالبراز ، فتغيظ النبي صلى الله عليه وسلم وقال « يا أيها الناس ! اتقوا الله واستحيوا من الكرام ، فإن الملائكة لا تفارقكم إلا عند إحدى ثلاث ، إذا كان الرجل يجامع امرأته ، وإذا كان في الخلاء ، قال : ونسيت الثالثة» .

قال النبي صلى الله عليه وسلم :« فإذا اغتسل أحدكم فليتوار بالاغتسال إلى جدار ، أو إلى جنب بعير ، أو يستر عليه أخوه »

لكن هذا الحديث مرسل ، وفي سنده مبهم . فلا يصح الاستدلال به ، لضعفه .

الدليل الثالث : عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الله ينهاكم عن التعري ، فاستحيوا من الملائكة الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند الغائط والجنابة والغسل ، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بحائط »

قال ابن تيمية رحمه الله :

" رواه ابراهيم الحربي ، ورواه ابن بطة من حديث ابن عمر ، وقد صح ذلك من مراسيل مجاهد " انتهى.

" شرح العمدة " (١/ ٤٠١)

لكن لم يتم الوقوف على إسناد الحديث إلى ابن عباس ، والمعروف أنه من حديث ابن عمر كما سبق تخريجه عند الترمذي ، وبيان ضعفه .

القول الثالث : أن الثابت في الكتاب والسنة أن كل عبد موكل به ملكان يراقبان حركاته وسكناته ، ويكتبان أفعاله ، ويحصيان عليه كل ما يصدر منه ، سواء كان عمل خير أو عمل معصية ، سواء كان في محل كريم أو مكان مهين .

ولكن لم يرد في الكتاب ولا في السنة تفسير لكيفية هذا الإحصاء ، وهل يستلزم دخول الملائكة مع العبد كل مكان يدخل إليه ، وبقاءهم معه في تفاصيل كل عمل يعمله ، أو أن الله خلق فيهما من القدرة ما تمكنهما من معرفة الأعمال وكتابتها من غير حاجة إلى مصاحبة العبد في كل مكان يدخل إليه .

والذي ينبغي في ذلك ألا يتكلم المرء في مثل تلك الأمور الغيبية ، من غير دليل من كتاب الله ، أو سنة رسوله ، وإسناد العلم في ذلك إلى الله عز وجل ، والإيمان بأن كل ما يصدر من العبد محصي عليه ، وهو كاف للعبد في هذا الباب ، وهو الأمر الذي ينفعه ويعنيه ؛ يقول الله عز وجل: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٨. وقال سبحانه وتعالى : ﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الجاثية: ٢٩.

قال السيوطي رحمه الله :

" وأما السؤال عن دخول الكاتبين الخلاء ، فجوابه : أنَّا لا نعلم ، ولا يقدح عدم علمنا بذلك في ديننا ، وجملة القول فيه : أنهما إن كانا مأمورين بالدخول دخلا ، وإن

أكرمهما الله عن ذلك وأطلعهما على ما يكون من الداخل ، مما سبيلهما أن يكتبا ، فهما على ما يؤمران به " انتهى.

" الحبائك في أخبار الملائك " (ص/ ٩٠) .

ولعل القول الثالث هو القول الأقرب ، والأوفق لجانب الأدب في مثل ذلك ؛ لما فيه من الوقوف عند النصوص ، وعدم تجاوزها من غير دليل قوي ولا برهان صحيح . والله أعلم .

والله أعلم .

***

٢٥_ رؤية جبريل عليه السلام يوم القيامة ؟

السؤال : هل سنرى جبريل عليه السلام يوم القيامة؟

الجواب :

الحمد لله

أما يوم القيامة ساعة الحشر ، يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد : فلا شك أن الملائكة جميعا يأتون ليوم الفصل ، كما قال الله تعالى :

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ البقرة: ٢١٠ ، وقال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ الفجر: ٢١ - ٢٣

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ النبأ: ٣٨.

فالروح المذكور هنا هو جبريل ، عليه السلام . قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك .

ينظر : تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٩) .

والقضية ليست في مجرد رؤية جبريل أو الملائكة ، لكن على أي حال يكون العبد عند تلك الرؤية ؛ فأما الكافر فشر حال ، تزيده ضيقا على ضيقه ، وسوءا على سوء حاله . قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الفرقان: ٢٢.

قال ابن كثير رحمه الله :

" أي : هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم ، بل يوم يرون الملائكة لا بشرىٰ يومئذ لهم ، وذلك يَصْدُق علىٰ وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار وغضب الجبار، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه : اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث ، اخرجي إلىٰ سَموم وحَميم ، وظلّ من يحموم . فتأبىٰ الخروج وتتفرق في البدن ، فيضربونه ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ الأنفال : ٥٠ ...

وهذا بخلاف حال المؤمنين في وقت احتضارهم ، فإنهم يبشرون بالخيرات وحصول المسرات ، قال الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نزلا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ فصلت : ٣٠ -٣١ .

وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب: أن الملائكة تقول لروح المؤمن: "اخرجي أيتها النفس الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه ، اخرجي إلىٰ روح وريحان ، ورب غير غضبان ...

وقال آخرون : بل المراد بقوله : { يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ } يعني : يوم القيامة . قاله مجاهد والضحاك وغيرهما .

ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم ، فإن الملائكة في هذين اليومين ، يوم الممات ويوم المعاد تتجلىٰ للمؤمنين وللكافرين ، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان ، وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران ، فلا بشرىٰ يومئذ للمجرمين .

{ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا } أي : وتقول الملائكة للكافرين حَرام محرم عليكم الفلاح اليوم " .

"تفسير ابن كثير" (٦/ ١٠٢) .

وأما إذا تميز أهل الجنة من أهل النار يوم العرض ، وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا : فإنهم يرون كل ما يسرهم ، بما في ذلك الملائكة الذين يسوقونهم إلى الجنة – سوق إكرام وإعزاز – ويدخلون عليهم – إذا دخلوها – من كل باب ، ويسلمون عليهم ويهنئونهم ، كما قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الرعد: ٢٣ – ٢٤

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

" أي : وتدخل عليهم الملائكة من هاهنا وهاهنا للتهنئة بدخول الجنة ، فعند دخولهم إياها تفد عليهم الملائكة مسلمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام ، والإقامة في دار السلام ، في جوار الصديقين والأنبياء والرسل الكرام " انتهى .

"تفسير ابن كثير" (٤ / ٤٥١) .

والله تعالى أعلم .

٢٦_هل الملائكة مخيرون أم مسيرون ؟

السؤال:

هل الملائكة مخيرون أم مسيرون ؟!

الجواب :

الحمد لله

أولا :

إطلاق هذا السؤال : هل العبد مسير أو مخير ، لم يكن معروفا في كلام المتقدمين ؛ لحرصهم على التقيد بألفاظ الشرع ، وعدم الخروج عنها ، مع كونهم أهل لسان وفصاحة وحكمة .

قال ابن عثيمين رحمه الله :

" هذه العبارة لم أرها في كتب المتقدمين من السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ولا في كلام الأئمة ، ولا في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ، أو ابن القيم أو غيرهم ممن يتكلمون ، لكن حدثت هذه أخيرا ، وبدءوا يطنطنون بها : " هل الإنسان مسير أم مخير؟ " انتهى .

مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين – (٣/ ٢١٥)

وسئل الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله :

هل الإنسان مسير أم مخير ؟

فأجاب :

" هذا اللفظ لم يرد في الكتاب ولا في السنة ، بل الذي دلاًّ عليه أن الإنسان له مشيئة ويتصرف بها ، وله قدرة على أفعاله ، ولكن مشيئته محكومة بمشيئة الله كما قال

تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ التكوير: ٢٨ - ٢٩ فليست مشيئته مستقلة عن مشيئة الله ، ولفظ : مخير ومسير . لا يصح إطلاقهما ، فلا يقال : الإنسان مسير . ولا يقال : إنه مخير . بل لابد من التفصيل ، فإن أريد أنه مسير بمعنى أنه مجبور ولا مشيئة له ، ولا اختيار ، فهذا باطل ، وإن أريد أنه مسير بمعنى أنه ميسر لما خلق له ، وأنه يفعل ما يفعل بمشيئة الله وتقديره ، فهذا حق ، وكذلك إذا قيل إنه مخير وأريد أنه يتصرف بمحض مشيئته دون مشيئة الله ، فهذا باطل ، وإن أريد أنه مخير بمعنى أن له مشيئة واختيارًا وليس بمجبر ، فهذا حق " انتهى من موقع الشيخ .

http://albrrak.net/index.php?option=content&task=view&id=1155

وقال علماء اللجنة :

" الإنسان مخير ومسير ، أما كونه مخيرا فلأن الله سبحانه أعطاه عقلا وسمعا وبصرا وإرادة فهو يعرف بذلك الخير من الشر والنافع من الضار ، ويختار ما يناسبه ، وبذلك تعلقت به التكاليف من الأمر والنهي ، واستحق الثواب على طاعة الله ورسوله والعقاب على معصية الله ورسوله . وأما كونه مسيرا فلأنه لا يخرج بأفعاله وأقواله عن قدر الله ومشيئته " انتهى .

"فتاوى اللجنة الدائمة" (٣ / ٥١٤)

وهذا يعني أن من له مشيئة وإرادة فهو مخير ، ولكن لا تخرج مشيئته وإرادته عن مشيئة وإرادة الله

ومعلوم أن الملائكة لهم إرادة ومشيئة ، ولكنهم ليسوا في ذلك كالجن والإنس، فهم مجبولون على الطاعة والإيمان ، وقد جاءت النصوص بأنهم يحبون ويكرهون ، وأنهم يستغفرون للذين آمنوا ، ويستغفرون لمنتظري الصلاة ، ويدعون للمنفقين بالخلف ، ويدعون على الممسكين بالتلف ، إلى غير ذلك .

وقال الله تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ البقرة: ٣٠

هذا مع قولهم : ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ﴾ البقرة: ٣٢

فلم يمنع قصر علمهم على ما علمهم الله أن يقولوا : (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) وهو ما يدل على إرادتهم ومشيئتهم .

وروى البخاري (١٣٣٩) ومسلم (٢٣٧٢) – واللفظ له - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ أنه قَالَ : « جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَقَالَ لَهُ : أَجِبْ رَبَّكَ . قَالَ فَلَطَمَ مُوسَى عليه السلام عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ ففقأها ، قَالَ فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ : إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لا يُرِيدُ الْمَوْتَ ، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي . قَالَ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ » ... الحديث .

فرجوع ملك الموت عليه السلام إلى الله تعالى ، وقوله : ﴿ إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ ﴾ دليل على أن له إرادة ومشيئة ، وليس في الحديث أنه كان يعلم ذلك سلفا .

وقال الإمام أحمد (١٠٥٢١) حَدَّثَنَا أُمَيَّةُ بْنُ خَالِدٍ وَيُونُسُ قَالَا حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ يُونُسُ رَفَعَ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم : « قَدْ كَانَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَأْتِي النَّاسَ عِيَانًا ، قَالَ فَأَتَى مُوسَى فَلَطَمَهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ فَأَتَى رَبَّهُ عز وجل فَقَالَ : يَا رَبِّ عَبْدُكَ مُوسَى فَقَأَ عَيْنِي ، وَلَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَعَنُفْتُ بِهِ . وَقَالَ يُونُسُ : لَشَقَقْتُ عَلَيْهِ ... » الحديث . صححه الألباني في "مختصر العلو" (ص٧٥)

فقوله : (وَلَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَعَنُفْتُ بِهِ) أو (لَشَقَقْتُ عَلَيْهِ) دليل على أن له إرادة واختيار .

وروى البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً . ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ .

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ ؛ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ . فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ . فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ . فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ » .

فهذا يدل على أنهم مخيرون ، ولهم إرادة في الفعل ومشيئة ، إلا أن ذلك منهم على وجه العصمة ، وعدم الخروج عما خلقوا لأجله من طاعة الله تعالى وعدم المخالفة .

وأمثال هذه النصوص كثير لا يحصى .

فالصواب أن يقال : نَصِفُ ملائكة الرحمن سبحانه وتعالى بما وصفهم به الله ، ونقتصر عليه ، ولا حاجة بنا إلى اختراع ألفاظ موهمة ، والاختلاف حولها ، والانشغال بذلك بما يوقع في الجدال والشقاق والنزاع

ولا أسلم ولا أغنم من اتباع ألفاظ الشرع والاقتصار عليها .

قال الله ﷻ : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ۞ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) ﴾ الأنبياء: ٢٦ - ٢٩

وقال تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾ التحريم: ٦

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) ﴾ التكوير: ١٩ - ٢١

قال ابن كثير رحمه الله :

" أي : له وجاهة ، وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى .

قال قتادة : ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ ﴾ أي : في السموات ، يعني : ليس هو من أفناد الملائكة ، بل هو من السادة والأشراف ، مُعتَنى به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة.

وقوله : ﴿ أَمِينٍ ﴾ صفة لجبريل بالأمانة ، وهذا عظيم جدا أن الرب Y يزكي عبده ورسوله الملكي جبريل كما زكى عبده ورسوله البشري محمدا ﷺ بقوله : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ .

"تفسير ابن كثير" (٨ / ٣٣٩)

ولكن هذا لا يمنع من القول بأن الملائكة عليهم السلام مخيرون ، غير أنهم لا يخرجون عن طاعة الله تعالى ؛ لأنهم مجبولون عليها ، مخلوقون لها ، ليس العصيان من صفاتهم .

كما أنهم مسيرون فيما لا قدرة لهم فيه ، كالحال في غيرهم من مخلوقات الله .

والله أعلم .

٢٧_هل للملائكة إرادة واختيار؟ وهل يمكن أن تقع منهم معصية ومخالفة لخالقهم؟

السؤال:

سؤالي هو : هل تطيع الملائكة الله من تلقاء إرادتهم الحرة ؟ فقد أخبرني أحد الإخوة بأن للملائكة إرادة ، واختياراً حرة لكي تطيع ، أو تعصي أوامر الله ، لكنهم اختاروا الطاعة دائماً ، والأدلة التي قدمها ليوضح أن لديهم إرادة حرة كانت الآية رقم ٣٠ من سورة البقرة فقد قال : إن الملائكة تحدثت من تلقاء نفسها دون أن تتلقى أمراً من الله بالحديث ، كما كان الحديث الذي يقول بقيام جبريل بتلقيم فم فرعون دليلاً آخر قدمه لي ، فقد قال : إن جبريل قام بذلك لأنه خشي أن تلحق رحمة الله فرعون ، وأنه لم يكن مأموراً من الله بذلك ، وقدم دليلاً منطقيّاً آخر بأنه إذا كانت الملائكة كالدمى ، أو الإنسان الآلي : فإنها لم تكن في هذا الحال جديرة بالثناء ، وأنا أطرح هذا السؤال لأن الشيخ " عمر سليمان الأشقر " كتب في كتابه عن الملائكة بأنهم ليس لديهم القدرة على عصيان الله ، كما تكرر هذا القول في كتاب الإمام السيوطي " الحبائك في أخبار الملائك " حيث يقول : بأن الملائكة معصومون كما تم رواية الرأي القائل بأن الملائكة ليس لديها إرادة حرة عن الصحابي عبد الله بن سلام (الحاكم في " مستدرك الصحيحين " ، ووافقه الذهبي) . رجاء هل بوسعكم توضيح أي الرأيين هو الرأي الصحيح وفقاً للقرآن والسنَّة ؟ .

الجواب :

الحمد لله

أولاً:

من أركان الإيمان بالله تعالى : الإيمان بالملائكة المقرَّبين .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ : مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : الْإِيمَانُ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ ، قَالَ : مَا الْإِسْلَامُ ؟ قَالَ : الْإِسْلَامُ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، قَالَ : مَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٩) .

ثانياً:

الملائكة خلق من خلق الله ، وعباد من عباده ، مفطورون على العبادة ، ومجبولون عليها ، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة ، منها : قوله تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦، وقال تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ النحل: ٥٠ .

قال القرطبي – بعد أن ذكر قصة هاروت وماروت ما روي عن قصتهما من روايات أهل الكتاب ، وأنه وقع منهم المعصية بعد أن ركَّب الله فيهما الشهوة. هذا كله ضعيف ، وبعيد عن ابن عمر وغيره ، لا يصح منه شيء ؛ فإنه قول تدفعه الأصول ، في الملائكة الذين هم أمناء الله على وحيه ، وسفراؤه إلى رسله ، ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦ ، ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٦ - ٢٧ ، ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٠ .

وأما العقل : فلا يُنكِر وقوع المعصية من الملائكة ، ويوجد منهم خلاف ما كلفوه ، ويخلق فيهم الشهوات ، إذ في قدرة الله تعالى كل موهوم ، ومن هذا : خوف الأنبياء ، والأولياء الفضلاء العلماء ، ولكن وقوع هذا الجائز لا يُدرك إلا بالسمع ، ولم يصح .

" تفسير القرطبي " (٢ / ٥٢) .

أي : لم يصح وقوع المعصية منهم .

وقال ابن القيم – رحمه الله – :

ولفظ المَلَك يشعر بأنه رسول منفِّذ لأمر غيره ، فليس لهم من الأمر شيء ، بل الأمر لله الواحد القهار ، وهم ينفذون أمره ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٧ - ٢٨ ، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ النحل: ٥٠، ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦ ، ولا تتنزل إلا بأمره ، ولا تفعل شيئا إلا من بعد إذنه ، فهم عباد له مكرمون ، منهم الصافُّون ، ومنهم المسبحون ، ليس منهم إلا من له مقام معلوم لا يتخطاه ، وهو على عمل قد أُمر به لا يقصر عنه ولا يتعداه ، وأعلاهم : الذين عنده سبحانه ، لا يستكبرون عن عبادته ، ولا يستحسرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون .

" إغاثة اللهفان " (٢ / ١٢٧) .

ومما يؤكد هذا المعنى : أن الله تعالى رفع منهم الشهوة ، التي هي داعية الذنب ، والمعصية ، والهوى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

كما قال أبو بكر عبد العزيز – من أصحابنا – وغيره : خُلقَ للملائكة عقولٌ بلا شهوة ، وخُلق للبهائم شهوة بلا عقل ، وخُلق للإنسان عقل وشهوة ، فمَن غلب عقلُه شهوتَه : فهو خير من الملائكة ، ومَن غلبت شهوتُه عقلَه : فالبهائم خير منه .

" مجموع الفتاوى " (١٥ / ٤٢٨ ، ٤٢٩) .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – :

وحجة من قال : إن أصله - أي : إبليس - ليس من الملائكة : أمران : أحدهما : عصمة الملائكة من ارتكاب الكفر الذي ارتكبه إبليس ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦ ، وقال تعالى : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٧ .

" أضواء البيان " (٣ / ٣٥٦) ، وينظر : " مجموع فتاوى الشيخ العثيمين " (١ / ٢٣٣) .

ثالثاً:

ليس معنى عصمة الملائكة عن المعصية أنهم لا اختيار لهم ، أو أنهم يحركون نحو الطاعة بلا قدرة منهم ولا اختيار ، وإنما هم في ذلك كالدمى ، أو الإنسان الآلي ، على نحو ما ورد في السؤال ؛ فحاشا ملائكة الله المكرمين عن ذلك المقام ؛ بل إنما ذكر الله تعالى عصمتهم عن المعصية في مقام مدحهم والثناء عليهم ، ومعلوم أن من لا قدرة له على الطاعة ، ولا اختيار له : لا يمدح بذلك ، وإنما يمدح من يقدر على الأمرين ؛ فأنبياء الله ورسله من البشر معصومون من الكفر والكذب والفواحش ـ مثلا ـ بالإجماع ، ولا يعني ذلك أنهم لا قدرة لهم على الإيمان والكفر ، أو أنهم لم يفعلوا ما فعلوه من الإيمان والطاعات اختيارا ، ولا أنهم تركوا ما تركوه من الكفر والفواحش اختيارا ؛ بل هم مختارون لذلك ، ومعصومون من ضده ، لكمال توفيق الله له م في عامة الأحوال . فهكذا الملائكة المكرمون : وفقهم الله تعالى للطاعة في جميع أحوالهم وأوقاتهم ، وعصمهم من المعصية ، لكن ذلك لا يعني أنهم غير مختارين لذلك ولا ممدوحين به ، كما أن الشياطين مخذولون في عامة أحوالهم ، فلا يختارون الإيمان ولا الطاعات ، مع أن لهم القدرة عليها ، وهم مذمومون بما هم فيه من الكفر والعصيان ، معاقبون على اختياره وفعله .

قال الإمام ابن حزم رحمه الله :

" وقال بعض السخفاء : إن الملائكة بمنزلة الهواء والرياح . [يعني : أنهم لا اختيار لهم] .

قال أبو محمد [هو ابن حزم] :

وهذا كذب وقحة وجنون ، لأن الملائكة بنص القرآن والسنن وإجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الأديان المختلفة : عقلاء متعبدون ، منهيون مأمورون ، وليس كذلك الهواء والرياح لكونها لا تعقل ولا هي مكلفة متعبدة ، بل هي مسخرة مصرفة لا اختيار لها ... " انتهى .

"الفصل في الملل والأهواء والنحل" ، بن حزم (٥/ ١٧) .

قال الشيخ عمر الأشقر – حفظه الله – :

ويمكن أن نقول : إن الملائكة ليسوا بمكلفين بالتكاليف نفسها التي كلف بها أبناء آدم ، أما القول بعدم تكليفهم مطلقاً : فهو قول مردود ، فهم مأمورون بالعبادة ، والطاعة : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ النحل: ٥٠ وفي الآية أنهم يخافون ربهم ، والخوف نوع من التكاليف الشرعية ، بل هو من أعلى أنواع العبودية ، كما قال فيهم : ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٨

" عالم الملائكة الأبرار " (ص ٢١) .

ولا شك أن التكليف إنما هو فرع على العقل والعلم والقدرة والاختيار ، فثبت بهذا الإجماع الذي نقله الإمام ابن حزم رحمه الله أنهم مختارون لما هم فيه من الطاعة ، مأمورون منهيون ، لهم القدرة على ذلك ، وتوالى توفيق الله لهم ، فلا يختارون ما فيه معصية لربهم .

وما يدل على ذلك ، مع ما سبق ذكره وتقريره من الأدلة :

١ . قوله تعالىٰ ﴿ لا يَعۡصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ التحريم/ من الآية ٦ .

ولا يسمَّىٰ العاصي عاصياً إلا حيث يتعمد فعل المعصية ، وكذا ترك الأمر ، ولو كان الملائكة عاجزين بطبعهم عن ذلك لما أثنىٰ الله عليهم بفعل الأوامر ، ولما سمَّىٰ ما عجزوا عنه معصية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رَحِمَهُ الله – :

العاصي هو الممتنع من طاعة الأمر مع قدرته علىٰ الامتثال ، فلو لم يفعل ما أمر به لِعجزه : لم يكن عاصياً ، فإذا قال : (لَا يَعۡصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمۡ) : لم يكن في هذا بيان أنهم يفعلون ما يؤمرون ؛ فإن العاجز ليس بِعاصٍ ، ولا فاعل لما أمر به ، وقال : (وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ) ليبين أنهم قادرون علىٰ فعل ما أمروا به ، فهم لا يتركونه ، لا عجزاً ، ولا معصية ، والمأمور إنما يترك ما أمر به لأحد هذين ، إما ألا يكون قادراً ، وإما أن يكون عاصياً لا يريد الطاعة ، فإذا كان مطيعاً يريد طاعة الآمر وهو قادر : وجب وجود فعل ما أمر به ، فكذلك الملائكة المذكورون ، لا يعصون اللهّ ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

" مجموع الفتاوىٰ " (١٣ / ٦١) .

٢ . حديث ابۡنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : أَتَانِي رَبِّي فِي أَحۡسَنِ صُورَةٍ – أي : في المنام – فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلۡتُ : لَبَّيۡكَ رَبِّ وَسَعۡدَيۡكَ ، قَالَ : فِيمَ يَخۡتَصِمُ الۡمَلَأُ الۡأَعۡلَىٰ ؟ قُلۡتُ : رَبِّ لَا أَدۡرِي) الۡحَدِيثَ ، ويؤيده قوله تعالىٰ ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩ ﴾ ص: ٦٩ ، فقد أثبت الله تعالىٰ ها هنا اختصام الملائكة ، وهو ما يحدث من جدال بينهم في بعض المسائل التي ذُكرت في الحديث وهي : الدرجات ، والكفارات .

٣. حديث الذي قتل مئة نفس ، ثم تاب ، ولما مات اختصمت فيه ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ، حتى بعث الله تعالى ملكاً يحكم بينهم ، وهو في الصحيحين .

فادِّعاء أنهم كالدمى ، أو كالإنسان الآلي : قول عارٍ عن الصحة ، وبعيد عن الحقيقة ، وأجنبي عن التحقيق العلمي ، وما أحراه بما وصفه به الإمام ابن حزم رحمه الله : أنه كذبة سخيفة ، كما سبق نقله عنه .

بل هم عبادٌ مُكرمون ، لهم إرادة ، ولهم طاعات متفاوتة ، ولهم عبادات متنوعة ، وإن كانوا لا يعصون الله البتة .

رابعاً:

وأما حديث عبد الله بن سلام الذي أشار إليه السائل ، فنصه :

عَنْ بِشْر بنِ شَغَافٍ عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ سَلامٍ ، قَالَ : وَكُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَقَالَ : إِنَّ أَعْظَمَ أَيَّام الدُّنْيَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ ، وَإِنَّ أَكْرَمَ خَلِيقَةِ اللهَّ عَلَى اللهَّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ ، قَالَ : قُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، فَأَيْنَ الْمَلائِكَةُ ؟ قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيَّ وَضَحِكَ ، وَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي ، هَلْ تَدْرِي مَا الْمَلائِكَةُ ؟ إِنَّمَا الْمَلائِكَةُ خَلْقٌ كَخَلْقِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَالرِّيَاحِ ، وَالسَّحَابِ ، وَسَائِرِ الْخَلْقِ الَّذِي لاَ يَعْصِي اللهَّ شَيْئًا .

رواه الحاكم في " المستدرك " (٤ / ٦١٢) ، والبيهقي في " دلائل النبوة " (٥ / ٤٨٥) ، و"شعب الإيمان" (١/ ٣٠٩ـ رقم ١٤٨) .

وهذا الحديث موقوف على عبد الله بن سلام ، كما هو ظاهر ، وليس مرفوعاً للنبي ﷺ ، وليس فيه ما يؤيد قول المخالف على القطع ، بل على الاحتمال ، والاحتمال الآخر أنه يريد بأن الملائكة عليهم السلام لا يصدر منهم معصية ، بل هم ينفذون أمر الله إليهم ، كما تنفذه السماء ، والأرض ، وهذا موافق لما ذكرناه سابقاً ، وليس معناه أنه لا

إرادة لهم . وما سبق ذكره من الأدلة من الكتاب والسنة ، وأشباه ذلك ، قاطع في بيان أن لهم إرادة واختيارا ، وهو ما حكى ابن حزم الإجماع عليه .

والله أعلم .

***

٢٨_ كيف عرفت الملائكة أن البشر سيفسدون في الأرض ؟

السؤال:

هل خلق الله البشر أولا أم الملائكة ؟ وإذا كان الملائكة ، فكيف عرفوا أن البشر سيفسدون في الأرض كما في سورة البقره آيه ٣٠ ؟

الجواب :

الحمد لله

أولا :

لا شك أن خلق الملائكة كان سابقا على خلق آدم عليه السلام ، فقد أخبرنا الله تعالى في أكثر من موضع من كتابه العزيز أنه أعلم الملائكة بأنه سيخلق بشرا من طين ، ثم أمرهم بالسجود له حين يتم خلقه ، وذلك دليل ظاهر على أن الملائكة كانوا موجودين قبل خلق البشر .

يقول الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ ص: ٧١ - ٧٢

ثانيا :

وقد أخبر سبحانه وتعالى في سورة البقرة عن حواره مع الملائكة قبل خلق آدم ، وذلك دليل ظاهر أيضا على وجودهم قبل آدم عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ البقرة: ٣٠

ولكن كيف عرفت الملائكة أن الخليفة الجديد في الأرض سيفسد فيها ويسفك الدماء ؟

اختلف في ذلك أهل العلم على أقوال :

القول الأول : أنهم علموا ذلك بإعلام الله تعالى لهم ، وإن كان ذلك لم يذكر في السياق .

قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وابن قتيبة .

كما في "زاد المسير" لابن الجوزي (١/ ٦٠)

وهو قول أكثر المفسرين كما قاله ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٧/ ٣٨٢)

يقول ابن القيم رحمه الله : " وفي هذا دلالة على أن الله قد كان أعلمهم أن بني آدم سيفسدون في الأرض ، وإلا فكيف كانوا يقولون ما لا يعلمون ، والله تعالى يقول وقوله الحق ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ ، والملائكة لا تقول ولا تعمل إلا بما تؤمر به لا غير ، قال الله تعالى ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ " انتهى . "مفتاح دار السعادة" (١/ ١٢) .

القول الثاني : أنهم قاسوه على أحوال من سلف قبل آدم على الأرض ، وهم الجن ، فقد سبقوا الإنسان في الأرض وكانوا يفسدون فيها ويسفكون الدماء ، فعلمت الملائكة أن البشر سيكونون على حال من سبقهم .

روي نحو هذا عن ابن عباس وأبي العالية ومقاتل . انظر "زاد المسير" (١/ ٦١)

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : " قول الملائكة : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ يرجِّحُ أنهم خليفة لمن سبقهم ، وأنه كان على الأرض مخلوقات قبل ذلك تسفك الدماء وتفسد فيها ، فسألت الملائكة ربها عز وجل: ﴿أتجعل فيها من يفسد

فيها ويسفك الدماء ﴾ كما فعل من قبلهم " انتهى . "تفسير القرآن الكريم" (١/ آية ٣٠) .

القول الثالث : أنهم فهموا ذلك من الطبيعة البشرية .

وهو الذي يبدو من اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "منهاج السنة" (٦/ ١٤٩)

يقول العلامة الطاهر ابن عاشور : " وإنما ظنوا هذا الظن بهذا المخلوق من جهة ما استشعروه من صفات هذا المخلوق المستخلف ، بإدراكهم النوراني لهيئة تكوينه الجسدية والعقلية والنطقية ، إما بوصف الله لهم هذا الخليفة ، أو برؤيتهم صورة تركيبه قبل نفخ الروح فيه وبعده ، والأظهر أنهم رأوه بعد نفخ الروح فيه ، فعلموا أنه تركيب يستطيع صاحبه أن يخرج عن الجبلة إلى الاكتساب ، وعن الامتثال الى العصيان ... ، ومجرد مشاهدة الملائكة لهذا المخلوق العجيب المراد جعله خليفة في الأرض كاف في إحاطتهم بما يشتمل عليه من عجائب الصفات.. "

قال : " وفي هذا ما يغنيك عما تكلف له بعض المفسرين من وجه اطلاع الملائكة على صفات الإنسان قبل بدوها منه .. " انتهى مختصرا من "التحرير والتنوير" (١/ ٢٣٠) .

القول الرابع : أنهم فهموا من قوله تعالى (خليفة) أنه الذي يفصل بين الناس ما يقع بينهم من المظالم ، ويردعهم عن المحارم والمآثم ، قاله القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" (١/ ٣٠٢) .

والمعنى : أنه إذا كان هناك خليفة يحكم بين الناس في المظالم ، فإنه يلزم من ذلك أن هؤلاء الناس تقع منهم المظالم .

وأنت ترىٰ أخي السائل أنها أقوال مختلفة ليس علىٰ أي منها نصوص صريحة من الكتاب والسنة ، إنما هي استنباطات لأهل العلم ، قد تصيب وقد تخطئ ، وإنما أراد الله تعالىٰ أن نتعلم ما في هذه القصة من العبرة والعظة ، وما كرم الله تعالىٰ به الإنسان حين خلق آدم فأسجد له الملائكة ، وما سوىٰ ذلك من تفاصيل القصة ، لا يضر الجهل بها ، لذلك لم يأت الكتاب ببيانها ، والله تعالىٰ أعلم بالصواب .

تنبيه : ليس في هذا السؤال من الملائكة المكرمين لرب العزة سبحانه ، عن خلق آدم وذريته اعتراض علىٰ الحكمة ، أو معارضة لله سبحانه ، فإنهم منزهون عن ذلك . قال ابن كثير رحمه الله : وقول الملائكة هذا ليس علىٰ وجه الاعتراض علىٰ الله ، ولا علىٰ وجه الحسد لبني آدم ، كما قد يتوهمه بعض المفسرين ، وقد وصفهم الله تعالىٰ بأنهم لا يسبقونه بالقول ، أي : لا يسألونه شيئاً لم يأذن لهم فيه ، .. وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك ؛ يقولون: يا ربنا ما الحكمة في خلق هؤلاء ، مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء ؟!! فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، أي نصلي لك ... ولا يصدر منا شيء من ذلك، وهلا وقع الاقتصار علينا ؟

قال الله تعالىٰ مجيباً لهم عن هذا السؤال : ﴿إني أعلم مالا تعلمون﴾ أي : إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف ، علىٰ المفاسد التي ذكرتموها ، مالا تعلمون أنتم ؛ فإني جاعل فيهم الأنبياء ، وأرسل فيهم الرسل ، ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء والعاملون والخاشعون والمحبون له تبارك وتعالىٰ المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم ..) تفسير ابن كثير (١/ ٦٩) .

والله أعلم .

٢٩_رؤية النبي ﷺ لجبريل ÷

السؤال :

جاء في سورة النجم أن سيدنا محمدا ﷺ قد رأى سيدنا جبريل مرتين ، فما هي المرتان ؟ وهل كانت المرة الأولى في الأفق الأعلى في أول نزول الوحي ، والثانية في سدرة المنتهى ؟ وإذا كان وقعت رؤية الروح الأمين مرتين ، فكيف نفسر سورة المدثر ، بأنه رأى الروح الأمين جالسا على كرسي بين السماء والأرض ؟ لعلها لم تكن هذه الهيئة هي هيئة سيدنا جبريل الحقيقية ! والصورة التي تصورها الآيات من ٥ إلى ١٢ في سورة النجم تصور سيدنا جبريل بأنه جالس ويملأ الأفق ، ثم يقترب من الرسول ﷺ . فهل فهمي للآية هكذا صحيح ؟ أم أن المرة الأولى حين نزل الوحي كانت قبل بلوغ الأفق الأعلى . أنا طالب لعلم التفسير ، وأريد ردا على هذا السؤال .

الجواب :

الحمد لله

الذي تقرره الأدلة الصريحة أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها مرتين اثنتين فقط ، وقد عد السيوطي رحمه الله هذا الأمر من خصائص النبي ﷺ كما في " الخصائص الكبرى " (١/ ١٩٧)، وهاتان الرؤيتان هما :

الرؤية الأولى : كانت في الأرض في بداية الوحي ، ونزلت عليه بعدها سورة المدثر .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ – أي انقطاع – الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ : (فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ،

فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا فَرَجَعْتُ ، فَقُلْتُ : زَمِّلُونِي ، زَمِّلُونِي ، فَدَثَّرُونِي ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ – إلى – والرجز فَاهْجُرْ﴾ رواه البخاري (٤٦٤١) ومسلم (١٦١) .

وهذه الرؤية هي التي قال الله سبحانه وتعالى فيها : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾ التكوير: ٢٣ .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

"يعني : ولقد رأى محمدٌ جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ، ﴿بِالأفُقِ الْمُبِينِ﴾ أي : البين ، وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء (موضع بمكة) ، وهي المذكورة في قوله ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ النجم: ٥ – ١٠ ، كما تقدم تفسيرُ ذلك وتقريره ، والدليلُ أن المرادَ بذلك جبريل عليه السلام .

والظاهر– والله أعلم – أن هذه السورة – يعني سورة التكوير – نزلت قبل ليلة الإسراء ؛ لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية ، وهي الأولى .

وأما الثانية وهي المذكورة في قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ النجم: ١٣ – ١٦ ، فتلك إنما ذكرت في سورة " النجم " ، وقد نزلت بعد سورة الإسراء " انتهى .

" تفسير القرآن العظيم " (٨/ ٣٣٩) .

والرؤية الثانية : كانت في السماء ، ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى .

وقد نصت الآية في سورة النجم على الرؤية الثانية ، وأشارت إلى الرؤية الأولى ، وذلك في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ النجم: ١٣ – ١٤ .

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير هذه الآية : رأى جبريل له ستمائة جناح .

رواه البخاري (٣٢٣٢) ومسلم (١٧٤) .

قال النووي رحمه الله :

"وهكذا قاله أيضا أكثر العلماء ، قال الواحدي : قال أكثر العلماء : المراد رأى جبريل في صورته التي خلقه الله تعالى عليها" انتهى .

"شرح النووي على مسلم" (٣/ ٧) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

"هذه الرؤية – يعني الأولى – لجبريل ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الأرض ، فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى إليه ، فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها ، له ستمائة جناح .

ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، يعني ليلة الإسراء" انتهى .

"تفسير القرآن العظيم" (٧/ ٤٤٥) .

ولم يثبت وقوع رؤية ثالثة حقيقية لجبريل عليه السلام ، وقد قالت عائشة رضي الله عنها :

(وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عليه السلام فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ) رواه البخاري (٤٨٥٥) ، وهو عند الإمام مسلم (١٧٧) من كلام النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) .

والله أعلم .

٣٠_هل ثبت شيء في " الملائكة الكروبيون " ؟

السؤال:

من هم الملائكة الكروبيون ؟ حيث إن الشيخ الألباني رحمه الله أنكر هذا الاسم في فتاوى " جدة " الشريط رقم ١٧ (٠١:٠٣:٤٢)

الجواب:

الحمد لله

أولاً:

الإيمان بالملائكة من أركان ديننا الحنيف ، قال تعالى ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ البقرة: ٢٨٥

ثانياً:

ما يُطلق عليه " الملائكة الكَروبيُّون " ليس له أصل في الأحاديث النبوية الصحيحة ـ فيما نعلم ـ ، وغاية ما جاء ذِكرهم فيه : أحاديث ضعيفة جدّاً ، وموضوعة ، وآثار عن السلف ، وطائفة من المفسرين ، وقد ذكر بعض العلماء أن الكروبيين هم :

من يكونون حول عرش الرحمن ، أو هم حملة العرش أنفسهم .

وقال آخرون : هم سادة الملائكة وعظماؤهم .

وقال فريق ثالث : هم ملائكة العذاب .

ومثل هذا الأمر هو من الغيب الذي لا يجوز إثباته إلا بوحي من الله ، ولم يثبت في ذلك شيء.

أ. ما ورد فيهم من أحاديث غير صحيحة :

١. عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن لله ملائكة وهم الكروبيون من شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام للطائر السريع في انحطاط).

والحديث حكم عليه الشيخ الألباني بأنه ضعيف جدّاً ، وقال :

رواه ابن عساكر (١٢ / ٢٣١ / ٢) عن محمد بن أبي السري : أخبرنا عمرو بن أبي سلمة عن صدقة بن عبد الله القرشي عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله مرفوعا وقال : " روى إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة شيئا من هذا " . قلت : وهذا سند واهٍ جدّاً ، وله علتان :

الأولى : محمد بن أبي السري ، وهو متهم .

والأخرى : صدقة هذا وهو الدمشقي السمين وهو ضعيف ، ووقع في السند " القرشي ، ولم ترد هذه النسبة في ترجمته من " التهذيب " ، فلعله تحرف على الناسخ نسبته " الدمشقي " بالقرشي ، والله أعلم .

وقد خالفه إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة به بلفظ : (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة) . وهو بهذا اللفظ صحيح كما قد بينته في " الأحاديث الصحيحة " رقم (١٥١) .

" سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة " (٢ / ٣٢٣ ، حديث ٩٢٣) .

٢. وذكر ابن الجوزي في " بستان الواعظين ورياض السامعين " (ص ٢٠) حديثاً طويلاً ، وفيه موت الملائكة ، ومنه :

(وتموت ملائكة السبع سموات ، والحجب ، والسرادقات ، والصادقون ، والمسبحون ، وحملة العرش ، والكرسي ، وأهل سرادقات المجد ، والكروبيون ، ويبقى جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت عليه السلام ....) انتهى .

والحديث ليس له إسناد ، والكتاب مظنة الضعيف ، والموضوع .

ب. ما جاء ذِكرهم فيه من كلام السلف ومن بعدهم :

١. قال الخطابي - رحمه الله - :

الملائكة الكَرُوبيّون ، وهم : المُقَرّبون ، وقال بعضهم : إنما سُمُّوا : " كَرُوبيين " لأنهم يُدْخِلون الكَرْب على الكفار ، وليس هذا بشيء .

" غريب الحديث " (١ / ٤٤٠) .

٢. وقال ابن الأثير - رحمه الله - :

في حديث أبي العالية : (الكروبيون سادة الملائكة) هم المقربون ، ويقال لكل حيوانٍ وَثِيْقِ المفاصل : إنه لمُكْرَب الخَلْق ، إذا كان شديد القُوَى .

والأول أشبه .

" النهاية في غريب الحديث والأثر " (٤ / ١٦١) .

والخلاصة :

لم يصح شيء من الأحاديث المرفوعة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يسمى " الملائكة الكروبيون " ، والواجب الوقوف في مسائل الغيب عند إثبات الوحي لها .

والله أعلم.

٣١ـ يسأل عن مصير الملكين الموكلين بكتابة أعمال الإنسان بعد وفاته

السؤال : أفتونا عن الملائكة الموكلين بالإنسان لإحصاء أعماله في مدة الحياة عندما يموت الإنسان ، هل يموت الملكان الموكلان به أو أين يكون مصيرهما بعد وفاة الإنسان؟

الجواب :

الحمد لله

" أحوال الملائكة وشؤونهم من الغيبيات ، ولا تعرف إلا من قبل السمع [الكتاب والسنة] ، ولم يرد نص في موت كتبة الحسنات والسيئات عند موت من تولوا كتابة حسناته وسيئاته ، ولا نص ببقاء حياتهم ولا عن مصيرهم ، وذلك إلى الله ، وليس ما سئل عنه مما كلفنا اعتقاده ، ولا يتعلق به عمل ، فالسؤال عن ذلك دخول فيما لا يعني ؛ لذا ننصح السائل أن لا يدخل فيما لا يعنيه ، ويبذل جهده في السؤال عما يعود عليه وعلى المسلمين بالنفع في دينهم ودنياهم .

وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم " انتهى .

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ ، الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، الشيخ عبد الله بن غديان ، الشيخ عبد الله بن منيع

"فتاوى اللجنة الدائمة" (٢/ ٤٠٢) .

والله أعلم .

٣٢ _ الحكمة من إيجاد الكرام الكاتبين مع أن الله يعلم كل شيء

السؤال :

ما الحكمة من إيجاد الكرام الكاتبين مع أن الله يعلم كل شيء ؟

الجواب :

الحمد لله

" نقول في مثل هذه الأمور : إننا قد ندرك حكمتها ، وقد لا ندرك ، فإن كثيراً من الأشياء لا نعلم حكمتها ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥ .

فإن هذه المخلوقات لو سألنا سائل : ما الحكمة أن الله جعل الإبل على هذا الوجه ، وجعل الخيل على هذا الوجه ، وجعل الحمير على هذا الوجه ، وجعل الآدمي على هذا الوجه ؟ وما أشبه ذلك ، لو سألنا عن الحكمة في هذه الأمور ما علمناها ، ولو سُئلنا : ما الحكمة في أن الله ﷻ جعل صلاة الظهر أربعاً ، وصلاة العصر أربعاً ، والمغرب ثلاثاً ، وصلاة العشاء أربعاً ؟ وما أشبه ذلك ما استطعنا أن نعلم الحكمة في ذلك .

وبهذا علمنا أن كثيراً من الأمور الكونية ، وكثيراً من الأمور الشرعية تخفى علينا حكمتها ، وإذا كان كذلك فإنا نقول : إن التماسنا للحكمة في بعض الأشياء المخلوقة أو المشروعة ، إنْ مَنَّ اللهُ علينا بالوصول إليها فذاك زيادة فضل وخير وعلم ، وإن لم نصل إليها ، فإن ذلك لا ينقصنا شيئاً .

ثم نعود إلى جواب السؤال ، وهو ما الحكمة في أن الله ﷻ وَكَّل بنا كراماً كاتبين يعلمون ما نفعل ؟

فالحكمة من ذلك : بيان أن الله ﷻ نَظَّم الأشياء وقَدَّرها ، وأحكمها إحكاماً متقناً ، حتى إنه ﷻ جعل على أفعال بني آدم وأقوالهم كراماً كاتبين ، موكلين بهم ، يكتبون ما يفعلون ، مع أنه ﷻ عالم بما يفعلون قبل أن يفعلوه ، ولكن كل هذا من أجل بيان كمال عناية الله y بالإنسان ، وكمال حفظه تبارك وتعالى ، وأن هذا الكون منظم أحسن نظام ، ومحكم أحسن إحكام ، والله عليم حكيم .

والله أعلم " انتهى . "مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين" (١/ ١٢١) .

٣٣_الاستهزاء بملك الموت

السؤال

توفي قريب لأحد معارفي منذ فترة ، وبعدها بفترة وجيزة توفي له قريب آخر ، فبعدها بفترة طويلة عندما كنا نتحدث عنهما قلت له وبلا قصد : يبدو أن هناك ثأرا ما بين عائلتكم وبين ملك الموت ، على سبيل المزاح ، فهل يعتبر هذا كفرا بالله ؛ لأني قلت هذا على أحد ملائكة الله ، أم ماذا ، وماذا أفعل ؟

الجواب

الحمد لله

الواجب على المسلم أن يحفظ لسانه ، فلا يتكلم بما يغضب الله تعالى ، ورُبَّ كلمة يتكلم بها الإنسان ، وهو لا يظن أن لها شأناً ، تكون سبب هلاكه وعذابه ، والعياذ بالله .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا ، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ) رواه البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨).

وفي رواية الترمذي (٢٣١٤) : (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لاَ يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ) وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

وعن بلال المزني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ ، فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ) رواه الترمذي (٢٣١٩) وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

والإيمان بالملائكة وإجلالهم وتقديرهم من أركان الإيمان الستة ، وملك الموت لا يتصرف إلا بما يأمره الله به ، كما قال عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ

﴿ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الأنعام: ٦١ .

فهم موكلون من الله ﷻ بتقدير حكيم ، وليس ذلك عن ثأر ولا عن بغض أو انتقام – تعالى الله عن ذلك – : قال الله ﷻ : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ السجدة: ١١ .

وقد ذكر أهل العلم أن الاستهزاء بالملائكة أو بأحد منهم كفر ، وخروج عن الإسلام واستدلوا بقول الله ﷻ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ التوبة: ٦٥ – ٦٦ .

قال ابن حزم رحمه الله :

" وصح بالنص أن كل من استهزأ بالله تعالى ، أو بملك من الملائكة ، أو بنبي من الأنبياء عليهم السلام ، أو بآية من القرآن ، أو بفريضة من فرائض الدين ، فهي كلها آيات الله تعالى ، بعد بلوغ الحجة إليه ، فهو كافر " انتهى .

"الفصل في الملل والأهواء والنحل" (٣/ ١٤٢) .

وقال أيضا :

" كل من سب الله تعالى أو استهزأ به ، أو سب ملكا من الملائكة أو استهزأ به ، أو سب نبيا من الأنبياء أو استهزأ به ، أو سب آية من آيات الله تعالى أو استهزأ بها ، والشرائع كلها والقرآن من آيات الله تعالى ، فهو بذلك كافر ، مرتد ، له حكم المرتد " انتهى .

"المحلى" (١١/ ٤١٣) .

وقال ابن نجيم الحنفي رحمه الله :

" يكفر بعيبه ملكا من الملائكة أو الاستخفاف به " انتهى .

"البحر الرائق" (٥/ ١٣١) .

بل ذكر بعض العلماء أنه يكفر مَن تكلم بما فيه مجرد إشعار بالاستهزاء والسخرية .

قال ابن نجيم الحنفي :

"ويكفر بقوله لغيره : " رؤيتي إياك كرؤية ملك الموت " عند البعض ، خلافاً للأكثر " انتهى .

والكلمة التي تكلمت بها فيها شيء من الاستهزاء بملك الموت ، فعليك التوبة منها والاستغفار ، وسؤال الله تعالى العفو والعافية ، والعزم على عدم العودة لذلك مرة أخرى ، وتجديد إيمانك بالنطق بالشهادتين ، وأكثر من الأعمال الصالحة – الصدقة وغيرها – فإن الله تعالى يقبل توبة من تاب إليه .

والله أعلم .

***

٣٤_ هل يصلي على الملائكة في التشهد؟

السؤال:

هل يجوز أن أصلي على الملائكة في التشهد كما أصلي على النبي ﷺ؟

الجواب

الحمد لله

سبق في جواب السؤال رقم (١٠٥٣٣٠) مشروعية الصلاة على الملائكة .

أما في التشهد فلا يشرع ذلك ، لأن الواجب الاقتصار على ما ثبت عن النبي ﷺ ، من غير زيادة عليه .

وقد سئل الشيخ صالح الفوزان : هل يصلي على الملائكة في التشهد كما يصلي على النبي ﷺ؟

فأجاب :

"لا ، الصلاة التي في التشهد يُقتصر فيها على الوارد ، ولكن في قولنا : (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) هذا يشمل كل عبد صالح في السماء أو في الأرض ، وتدخل فيه الملائكة " .

"مجموع فتاوى الشيخ صالح الفوزان" (١/ ٥٢)

***

٣٥_ مشروعية الصلاة على الملائكة

السؤال:

هل تجوز الصلاة على الملائكة لفضلهم ورفعة قدرهم ؟

الجواب:

الحمد لله

"الصلاة على الملائكة مشروعة أن تقول : عليهم الصلاة والسلام ، وتقول: عليهم السلام ، لأنهم عبادٌ مكرمون، وهم خلق من خلق الله فضلهم الله و تعالى ، على غيرهم كما قال تعالى في حقهم : ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦﴾ الأنبياء: ٢٦ ، وكما قال تعالى : (﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١﴾ الانفطار: ١٠ - ١١ ، وقال تعالى (﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾ عبس: ١٥ - ١٦ ، إلى غير ذلك ، فهم لهم قدرهم ولهم فضلهم وشرفهم ويُشرع الصلاة عليهم، لا مانع من ذلك ، بل هذا مشروع" انتهى .

"مجموع فتاوى الشيخ صالح الفوزان" (١/ ٥٢) .

***

٣٦_كيف تعلم الملائكة ما في قلب الإنسان ؟

السؤال:

في بعض الأحيان الشخص يقول دعاء دخول الحمام ـ أكرمكم الله ـ في نفسه ، أو يسمل في نفسه ؛ فهل حديث النفس الداخلي هل يعلمه الملائكة الحفظة ؟ ويسجل علينا وسنحاسب عنه ؟

الجواب:

الحمد لله

روى البخاري (٦٤٩١) ومسلم (١٣١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ y قَالَ : (إِنَّ اللهَّ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهَّ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهَّ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهَّ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهَّ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٢٥) :

" وفيه دليل على أن الملك يطَّلع على ما في قلب الآدمي ؛ إما بإطلاع الله إياه ، أو بأن يخلق له علما يدرك به ذلك .

ويؤيد الأول : ما أخرجه بن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني ، قال : ينادى الملك اكتب لفلان كذا وكذا ، فيقول يا رب : إنه لم يعمله ، فيقول : إنه نواه .

وقيل : بل يجد الملك للهم بالسيئة رائحة خبيثة ، وبالحسنة رائحة طيبة وأخرج ، ذلك الطبري عن أبي معشر المدني ، وجاء مثله عن سفيان بن عيينة "

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن قوله ﷺ :

(إذا هم العبد بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة .... الحديث) فإذا كان الهم سرا بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليه ؟

فأجاب : " الحمد لله ، قد روي عن سفيان بن عيينة في جواب هذه المسألة قال : " أنه إذا هم بحسنة شم الملك رائحة طيبة ، وإذا هم بسيئة شم رائحة خبيثة " .

والتحقيق أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما في نفس العبد كيف شاء " انتهى .

"مجموع الفتاوى " (٤/ ٢٥٣)

وقال رحمه الله أيضا :

" وهم وإن شموا رائحة طيبة ورائحة خبيثة ، فعلمهم لا يفتقر إلى ذلك ، بل ما في قلب ابن آدم يعلمونه ، بل ويبصرونه ويسمعون وسوسة نفسه ، بل الشيطان يلتقم قلبه ؛ فاذا ذكر الله خنس ، وإذا غفل قلبه عن ذكره وسوس ، ويعلم هل ذكر الله أم غفل عن ذكره ، ويعلم ما تهواه نفسه من شهوات الغي فيزينها له !!

وقد ثبت في الصحيح عن النبي في حديث ذكر صفية رضي الله عنها (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم)

وقرب الملائكة والشيطان من قلب ابن آدم مما تواترت به الآثار ، سواء كان العبد مؤمنا أو كافرا " انتهى من "مجموع الفتاوى" (٥/ ٥٠٨) .

وأما الذكر في النفس من غير حركة اللسان به ، فإن صاحبه يثاب على ذلك لكن ليس الثواب الخاص المرتب من الشارع على من أتى بذلك الذكر فإن ذلك الثواب مرتب على القول، والقول لا يتحقق من غير لفظ باللسان، لكن من أهل العلم من يرى أن حركة اللسان تكفي ولو لم يصدر صوت يسمعه المتلفظ، وهذا ما ذهب إليه المالكية ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية ، قال ابن مفلح رحمه الله في "الفروع"

(١/ ٤١٠): " واختار شيخنا –يعني ابن تيمية– الاكتفاء بالحروف وإن لم يسمعها " انتهى .

وجمهور أهل العلم يرون أنه لا بد من لفظ يسمعه نفسه ، قال النووي رحمه الله في شرح المهذب (٣/ ١٢٠) : " فإن لم يسمع نفسه فليس ذلك بأذان ولا كلام " انتهى .

وقال أيضا : " اعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها ، واجبة كانت أو مستحبة ، لا يحسب شيء منها ولا يعتد به حتى يتلفظ به بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له " الأذكار (٤٢) .

والله أعلم .

***

٣٧_ تشكل الملائكة على صورة البشر ، ومن يراهم على صورتهم الحقيقية ؟

السؤال:

هل صحيح أن الأطفال ينظرون إلى الملائكة ؟

الجواب:

الحمد لله

خلق الله تعالى الإنسان من تراب ، وخلق الجان من نار ، وخلق الملائكة من نور ، وقد ثبت بالنصوص القطعية أنه لا يمكن أن يرى الناس الجنَّ ، إلا إن تشكلوا بصور أخرى كالبشر والبهائم ، ولا تُرى الملائكة على أصل خلقتها من عامة الناس إلا وهي متشكلة على صور بشر .

وأما تشكل الملائكة على صورة أحدٍ من البشر فقد ثبت ذلك في القرآن وصحيح السنَّة ، وإذا جاء المَلَك متشكلاً أمكن الجميع أن يروه ، ولا فرق بين ذكر وأنثى ، ولا صغير وكبير .

ولا يستطيع أحدٌ الجزم بأن ما يراه من الأشخاص أنه من الملائكة ، فإن إثبات أنهم ملائكة متوقف على وحي من الله y ، وأنَّى ذلك بعد رسول الله ﷺ ؟!

وقد تشكل الملائكة على صورة بشر وجاءوا لإبراهيم ولوط عليهما السلام فلم يعلما بحقيقتهما حتى أخبرتهم الملائكة ، فغيرهم من الناس أولى بعدم تلك المعرفة .

ومن أدلة تشكل الملائكة ، وإمكان رؤيتهم على هيئتهم المتشكَّلة :

١. قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ مريم: ١٦ – ١٩ .

٢. وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ (٢٨) ﴾ الذاريات: ٢٤ – ٢٨ .

٣. وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) ﴾ هود: ٧٧.

٤. عن عُمَر بْن الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الْإِسْلَامِ ... قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ ؟ قُلْتُ: اللهَّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينكُمْ .

رواه البخاري (٨) .

٥. قصة اختبار الأبرص والأقرع والأعمىٰ من بني إسرائيل، وفيها أن ملكاً بعثه الله علىٰ صورة بشر ليخبرهم .

رواه البخاري (٣٢٧٧) ومسلم (٢٩٦٤) .

٦. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ فَأَرْصَدَ اللهَّ لَهُ عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيْهِ قَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ قَالَ هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا قَالَ لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهَّ y قَالَ فَإِنِّي رَسُولُ اللهَّ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَّ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ .

رواه مسلم (٢٥٦٧) .

وغير ذلك من الأدلة الصحيحة ، والتي يتبين من خلالها أنه يُمكن رؤية الملائكة لكن على الصورة التي أمرهم الله تعالى بالتشكل بها ، وحينها يراه كل من يقدر الله تعالى له رؤيته .

ومن ادَّعى أنه يرى الملائكة على أصل خلقتها فهو كاذب أو واهم ، وقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته الحقيقية وقد سدَّ الأفق له ستمائة جناح ، فمن ذا الذي زعم أنه رآه في ذلك الوقت ؟! فظهر بهذا أنه لا يوجد أحد من هذه الأمة يمكنه رؤية الملائكة على صورتها الحقيقية إلا النبي ﷺ ، وأما الأطفال فكغيرهم من الناس فإنه لا يمكنهم رؤيتهم إلا بالتشكل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملَك في صورته إلا من أيَّده الله ، كما أيَّد نبيَّنا ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الأنعام: ٨ – ٩ ، قال غير واحد من السلف : هم لا يطيقون أن يروا الملَك في صورته ، فلو أنزلنا إليهم ملكاً : لجعلناه في صورة بشر ، وحينئذ كان يشتبه عليهم هل هو ملَك أو بشر ، فما كانوا ينتفعون بإرسال الملَك إليهم فأرسلنا إليهم بشراً مِن جنسهم يمكنهم رؤيته والتلقي عنه ، وكان هذا من تمام الإحسان إلى الخلق والرحمة .

" منهاج السنة النبوية " (٢ / ٣٣٣) .

٣٨_الملائكة هل يموتون ، وهل هم ذكور ؟

السؤال:

عن الملائكة : هل يموتون ؟ وهل هناك ملائكة ذكور وإناث ؟ وهل يكون بينهم تناسل ؟

الجواب:

الحمد لله

أولا :

الذي عليه أكثر الناس أن الملائكة يموتون ، وأن ملك الموت يموت ، لكن ليس في هذا نص صحيح صريح ، بل جاء فيه نصوص محتملة ، وجاء فيه حديث الصور المشهور ، وهو حديث منكر . انظر : ضعيف الترغيب والترهيب رقم (٢٢٢٤).

ومما ورد في هذا الباب ، قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ القصص: ٨٨ قال ابن كثير رحمه الله : " يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون ، وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم ؛ فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت ، بل هو الحي الذي لا يموت أبدا " (تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٧٣) .

وقال تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨)﴾ الزمر: ٦٨

وروى البخاري (٧٣٨٣) ومسلم (٢٧١٧) عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني ، أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون).

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : هل جميع الخلق حتى الملائكة يموتون؟

فأجاب : " الذي عليه أكثر الناس أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة ، وحتى عزرائيل ملك الموت ، وروي في ذلك حديث مرفوع إلى النبي ﷺ .

والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على إمكان ذلك وقدرة الله عليه ، وإنما يخالف في ذلك طوائف من المتفلسفة أتباع أرسطو وأمثالهم ، ومن دخل معهم من المنتسبين إلى الإسلام أو اليهود والنصارى ، كأصحاب رسائل إخوان الصفا وأمثالهم ممن زعم أن الملائكة هي العقول والنفوس ، وأنه لا يمكن موتها بحال ، بل هي عندهم آلهة وأرباب لهذا العالم .

والقرآن وسائر الكتب تنطق بأن الملائكة عبيد مدبرون كما قال سبحانه ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً للهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ ، وقال :﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ . والله سبحانه قادر على أن يميتهم ثم يحييهم ، كما هو قادر على إماتة البشر والجن ثم إحيائهم ، وقد قال سبحانه ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ من غير وجه ، وعن غير واحد من الصحابة أنه قال : (إن الله إذا تكلم بالوحي أخذ الملائكة مثل الغشي) وفى رواية (إذا سمعت الملائكة كلامه صعقوا) وفى رواية (سمعت الملائكة كجرّ السلسلة على الصفوان فيصعقون فإذا فزع عن قلوبهم) أي أزيل الفزع عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق فينادون الحق الحق) .

فقد أخبر في هذه الأحاديث الصحيحة أنهم يصعقون صعق الغشي ، فإذا جاز عليهم صعق الغشي جاز صعق الموت

وأما الاستثناء [أي قوله سبحانه : إلا من شاء الله] فهو متناول لمن دخل في الجنة من الحور العين ، فإن الجنة ليس فيها موت ، ومتناول لغيرهم ، ولا يمكن الجزم بكل من استثناه الله ، فإن الله أطلق في كتابه ، وقد ثبت في الصحيح أن النبي قال (إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى آخذا بساق العرش فلا أدري هل أفاق قبلي أم كان ممن استثناه الله) ... ؛ فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من استثنى الله لم يمكنا نحن أن نجزم بذلك ، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء ، وأمثال مما لم يخبر به ، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر ، والله أعلم

" انتهى من "مجموع الفتاوى" (٤/ ٢٥٩).

وقال السيوطي رحمه الله : " سئلت: هل تموت الملائكة بنفخة الصعق ويحيون بنفخة البعث؟ والجواب: نعم ، قال تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصَورِ فَصَعِقَ مَن فَي السَمَواتِ وَمَن فَي الأَرضِ إِلا مَن شاءَ الله) وتقدم في أول الكتاب أن المستثنى حملة العرش وجبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت ، وأنهم يموتون على أثر ذلك.

وتقدم عن وهب أن هؤلاء الأملاك الأربعة أول من خلقهم الله من الخلق ، وآخر من يميتهم ، وأول من يحييهم " .

ثم أيد كلامه بما جاء من النص على موت أهل السماء وأهل الأرض ، حتى جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وحملة العرش ، ثم موت ملك الموت في آخر الأمر..

انظر : الحبائك في أخبار الملائك " ص (٩١) .

لكن النص المشار إليه ، والذي نقله السيوطي في كلامه ، هو نفسه حديث الصور الذي أشرنا إلى ضعفه ونكارته في أول الإجابة .

وسئلت اللجنة الدائمة : أفتونا عن الملائكة الموكلين بالإنسان لإحصاء أعماله في مدة الحياة وهم رقيب وعتيد عندما يموت الإنسان، هل يموت الملكان الموكلان به أو أين يكون مصيرهما بعد وفاة الإنسان؟

فأجابت: أحوال الملائكة وشؤونهم من الغيبيات، ولا تعرف إلا من قبل السمع، ولم يرد نص في موت كتبة الحسنات والسيئات عند موت من تولوا كتابة حسناته وسيئاته، ولا نص ببقاء حياتهم ولا عن مصيرهم، وذلك إلى الله وليس ما سئل عنه مما كلفنا اعتقاده، ولا يتعلق به عمل، فالسؤال عن ذلك دخول فيما لا يعني؛ لذا ننصح السائل أن لا يدخل فيما لا يعنيه، ويبذل جهده في السؤال عما يعود عليه وعلى المسلمين بالنفع في دينهم ودنياهم " انتهى .

"فتاوى اللجنة الدائمة" (٢/ ١٨٥)

ثانيا :

الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، أما الأنوثة ، فلأن الله تعالى نفى ذلك عنهم فقال : ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ الزخرف: ١٩

وقال ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ الصافات: ١٥٠

وأما الوصف بالذكورة فلعدم وروده .

قال الحليمي في المنهاج ثم القونوي في مختصره : وقد قيل إن أصحاب الأعراف ملائكة يحبون أهل الجنة ويبكّتون أهل النار، وهو بعيد لوجهين: أحدهما قوله تعالى (وَعَلَى الأَعرافِ رِجالُ) والرجال: الذكور العقلاء ، والملائكة لا ينقسمون إلى ذكور وإناث، والثاني إخباره تعالى عنهم وأنهم يطمعون أن يدخلوا الجنة ، والملائكة غير

محجوبين عنها كيف والحيلولة بين الطامع وطمعه تعذيب له ولا عذاب يومئذ على ملك. انتهى .

نقله السيوطي في الحبائك ص (٨٨)

وقال الدكتور محمد بن عبد الرحمن الخميس : " ونقول إن من قال بأنهم إناث فقد كفر لمخالفته كتاب الله ، ولا يقال إنهم ذكور ؛ إذ لم يرد في ذلك نص صحيح " انتهى من "اعتقاد أهل السنة".

ثالثا :

الملائكة لا يتناكحون ولا يتناسلون ، وقد حكي الاتفاق على ذلك .

قال الرازي رحمه الله في تفسيره: " اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون " انتهى .

والله أعلم .

***

٣٩ _ حقيقة الإيمان بالملائكة

السؤال

ما معنى الإيمان بالملائكة ؟.

الجواب

الحمد لله

وبعد : فالملائكة عالم غيبي خلقهم الله عز وجل من نور ، يقومون بأمر الله ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦ .

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور لا بد منها :

١- الإقرار الجازم بوجودهم وأنهم خلق من خلق الله ، مربوبون مسخرون و ﴿ عِبَادٌ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٦ - ٢٧ و ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦ و ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأنبياء: ١٩ - ٢٠ .

٢- الإيمان بأسماء من علمنا اسمه منهم : كجبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ،ومالك ، ورضوان ، وغيرهم عليهم السلام .

٣-الإيمان بأوصاف من علمنا وصفه : كما علمنا من السنة وصف جبريل عليه السلام ، وأن له ستمائة جناح قد سد الأفق (أي ملأ السماء) .

٤-الإيمان بأعمال من علمنا عمله منهم : فجبريل عليه السلام ، موكل بما فيه حياة القلوب وهو الوحي ، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور ، وميكائيل موكل بالمطر ، ومالك موكل بالنار ، وهكذا .

ومن أهم ما يجب أن نؤمن به أن كل شخص معه ملكان يكتبان عمله كما قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٧ - ١٨ أي رقيب حاضر من هؤلاء الملائكة . فإياك أيها المسلم أن يكتب هذا ن الملكان عنك ما يسوؤك يوم القيامة ، فكل شيء تقوله أو تلفظ به فهو مكتوب عليك ، فإذا كان يوم القيامة يخرج للعبد كتابه : ﴿ يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ الإسراء: ١٣ - ١٤ نسأل الله أن يسترنا ويتجاوزنا عنا إنه سميع مجيب . والله أعلم .

انظر : أعلام السنة المنشورة (٨٦) و مجموع فتاوىٰ الشيخ ابن عثيمين (٣ / ١٦٠) .

٤٠_ ما صح من الأحاديث في وصف منكر ونكير

السؤال:

ماذا عن سؤال الملكين منكر ونكير في القبر وماذا عن شكلهما ، وهل الحديث الخاص بهما للنبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيح ، وأن شكلهما يجران أشعارهما وأعينهم كالبرق وأصواتهم كالرعد ويضربان القبر بأنيابهما ، ويقولان : من ربك ؟ وما دينك : وما النبي الذي بعث فيكم ؟.

الجواب:

الحمد لله

أولا :

صح في صفة الملكين المُوكّلين بسؤال الميت ، أنهما أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما : المنكر ، والآخر : النكير .

فقد روى الترمذي (١٠٧١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ ، فَيَقُولَانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . فَيَقُولانِ : قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : نَمْ ، فَيَقُولُ : أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ ، فَيَقُولَانِ : نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ .

وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لا أَدْرِي . فَيَقُولَانِ : قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ : الْتَئِمِي عَلَيْهِ ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا

أَضْلاعُهُ ، فَلا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ) والحديث حسنه الألباني في صحيح الترمذي .

وأما حديث عمر رضي الله عنه الذي أشرت إليه ، فقد رُوي من طرق ضعيفة ، منها ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦٧٣٨) مرسلا عن عمرو بن دينار أن النبي ﷺ قال لعمر : (كيف بك يا عمر بفتاني القبر إذا أتياك يحفران الأرض بأنيابهما ، ويطآن في أشعارهما ، أعينهما كالبرق الخاطف ، وأصواتهما كالرعد القاصف ، معهما مزربة لو اجتمع عليها أهل منىٰ لم يقلوها . قال عمر : وأنا علىٰ ما أنا عليه اليوم ؟ قال : وأنت علىٰ ما أنت عليه اليوم . قال : إذاً أكفيكهما إن شاء الله) .

قال العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ٢٢٣) : " أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات . قال البيهقي في الاعتقاد : رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلا .

قلت : ووصله ابن بطة في الإبانة من حديث ابن عباس ، ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب بهذا الإسناد تفرد به مفضل ، ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر فقال عمر : أترد إلينا عقولنا ؟ فقال " نعم كهيئتكم اليوم " فقال عمر : بفيه الحجر " انتهىٰ .

وقال الأستاذ فريح بن صالح البهلال ، في تحقيق "الاعتقاد" للبيهقي ، (ص ٢٥٤) بعد أن أشار إلىٰ الطرق الضعيفة : " ولعله بهذه الطرق والشواهد يكون إسناده حسنا " انتهىٰ .

ثانيا :

الأسئلة التي يوجهها الملكان للميت في قبره هي : من ربك ؟ وما دينك ؟ وما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟

٤١_هل الملائكة والجن يموتون

السؤال:

هل الملائكة والجن يموتون ؟ و أين يدفنون ؟ وهل يصلى عليهم ؟ وكم عمر كل منهم ؟ .

الجواب:

الحمد لله

يقول الله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الرحمن: ٢٦ - ٢٧ ، قال ابن كثير رحمه الله : " يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون ، وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم ؛ فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت ، بل هو الحي الذي لا يموت أبدا " (تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٧٣) .

وروى البخاري (٧٣٨٣) ومسلم (٢٧١٧) عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني ، أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون)

أما قولك : أين يدفنون ؟ وهل يصلى عليهم ؟ وكم عمر كل منهم ؟

فهذا مما حُجب عنا علمه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥ ، والواجب على المسلم أن يسعى ويبحث عما له أثر في سلوكه ، من معرفة الله ، وأسمائه وصفاته ، وما يجب اعتقاده ، ومعرفة الأحكام الشرعية ، ويترك التعمق فيما لم يكلف بعلمه ولا فائدة فيه ، أسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح .

والله أعلم .

٤٢_إبليس ليس من الملائكة

السؤال:

صديقي قال بأن الشيطان كان من الملائكة وزوجتي تقول بأن هذا غير صحيح . هل يمكن أن تعطيني بعض المعلومات ؟.

الحمد لله

الجواب:

لم يكن إبليس من الملائكة قطعاً ، ويدل على ذلك أشياء ثلاثة :

تصريح القرآن ، وصفات إبليس الخَلقية ، وصفاته الخُلُقية .

١ . أما تصريح القرآن بذلك ، فقد جاء في قوله تعالى : { وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن } الكهف / ٥٠ .

قال الحسن البصري : ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم عليه السلام أصل البشر .

رواه الطبري بإسناد صحيح كما قال ابن كثير في " تفسيره " (٣/ ٨٩).

٢. وأما الصفات الخَلقية ، فقد ذكر الله تعالى أنه خلق إبليس من نار ، فقال {خَلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار } الرحمن / ١٤،١٥ . وثبت في صحيح مسلم (٢٩٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم " .

المارج لهب النار الصافي ، أو الذي خالطه الدخان ، (تفسير السعدي ٧/ ٢٤٨) ، (لسان العرب ٢/ ٣٦٥)

فتبين الفرق بين خلق الملائكة وبين خلق إبليس ، فعلم قطعاً أنه ليس منهم.

٣. وأما الصفات الخُلُقية ، فإن إبليس قد عصىٰ الله تعالىٰ في عدم سجوده لآدم ، وقد علِمنا من القرآن أن الملائكة لا يمكن لهم أن يعصون الله تعالىٰ، قال الله ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ التحريم: ٦ .

وقد ورد عن بعض السلف آثار غير صحيحة منها أنه طاووس الملائكة ، وأنه من خزنة الجنة ..الخ ، وقد علَّق علىٰ ذلك الإمام ابن كثير فقال :

وقد رُوي في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التي تُنقل لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يُقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بأيدينا ، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذي ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر ﷺ أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه ف رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم . أ.هـ " تفسير القرآن العظيم " (٣/ ٩٠).

٤٣_هل إبليس من الملائكة أم من الجن

السؤال:

هل كان إبليس من الملائكة أم من الجن ، وهل الجن هم من الملائكة ؟.

الحمد لله

الجواب:

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمة الله تعالى عليه – :

وقوله في هذه الآية الكريمة : ﴿مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾الكهف: ٥٠ ، ظاهر في أن سبب فسقه عن أمر ربه كونه من الجن وقد تقرر في الأصول في مسلك النص ، وفي مسلك الإيماء والتنبيه : أن الفاء من الحروف الدالة على التعليل كقولهم : سرق فقطت يده ، أي : لأجل سرقته ، وسها فسجد ، أي لأجل سهوه ، ومن هذا القبيل قوله تعالى ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ المائدة: ٣٨ ، أي لعلة سرقتها وكذلك قوله هنا : ﴿كان من الجن ففسق﴾ ، أي : لعلة كينونته من الجن ؛ لأن هذا الوصف فرق بينه وبين الملائكة ؛ لأنهم امتثلوا الأمر وعصى هو ، ولأجل ظاهر هذه الآية الكريمة ذهبت جماعة من العلماء إلى أن إبليس ليس من الملائكة في الأصل بل من الجن ، وأنه كان يتعبد معهم فأطلق عليهم اسمهم لأنه تبع لهم كالحليف في القبيلة يطلق عليه اسمها ، والخلاف في إبليس هل هو ملك في الأصل فمسخه الله شيطاناً ، أو ليس في الأصل بملك ، وإنما شمله لفظ الملائكة لدخوله فيهم وتعبده معهم ، مشهور عند أهل العلم ، وحجة من قال : إن أصله ليس من الملائكة أمران :

أحدهما : عصمة الملائكة من ارتكاب الكفر الذي ارتكبه إبليس ، كما قال تعالى عنهم : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦ ، وقال تعالى : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٧ .

والثاني : أن الله صرح في هذه الآية الكريمة بأنه من الجن ، والجن غير الملائكة ، قالوا : وهذا نص قرآني في محل النزاع .

وممن جزم بأنه ليس من الملائكة في الأصل لظاهر هذه الآية الكريمة :الحسن البصري ، ونصره الزمخشري في تفسيره .

وقال القرطبي في تفسير سورة " البقرة " : " كونه من الملائكة هو قول الجمهور : ابن عباس وابن مسعود وابن جريج وبن المسيب وقتادة وغيرهم ، وهو اختيار الشيخ أبي الحسن ورجحه الطبري وهو ظاهر قوله : (إلا إبليس) . اهـ .

وما يذكره المفسرون عن جماعة من السلف كابن عباس وغيره ، من أنه كان من أشراف الملائكة ، ومن خزان الجنة ، وأنه كان يدبر أمر السماء الدنيا ، وأنه كان اسمه عزازيل ، كله من الإسرائيليات التي لا معول عليها .

وأظهر الحجج في المسألة ، حجة من قال : إنه غير ملك لأن قوله تعالى : (إلا إبليس كان من الجن ففسق ...) ، وهو أظهر شئ في الموضوع من نصوص الوحي ، والعلم عند الله تعالى .

***

٤٤_ الملائكة

السؤال:

هل لك أن تعطيني بعض المعلومات عن الملائكة ؟.

الجواب:

الحمد لله

خلق الله الملائكة من نور قال عليه الصلاة والسلام : (خُلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخُلق آدم مما وصف لكم) رواه مسلم/ ٢٩٩٦ .

والملائكة مجبولون على طاعة الله : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ التحريم: ٦ .

وهم خلق لا يأكلون ولا يشربون وإنما طعامهم التسبيح والتهليل كما أخبر الله عنهم : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠ ﴾ الأنبياء: ٢٠ .

وقد شهد الملائكة بوحدانية الله كما قال سبحانه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ آل عمران: ١٨ و في مقام التشريف اصطفى الله من الملائكة رسلاً كما اصطفى من الناس رسلاً ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ الحج: ٧٥.

ولما خلق الله آدم وأراد تشريفه أمر الملائكة بالسجود له : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤ ﴾ البقرة: ٣٤.

والملائكة خلق عظيم ولهم أعمال متعددة وهم طوائف كثيرة لا يعلمهم إلا الله فمنهم حملة العرش : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ غافر: ٧.

ومنهم من ينزل بالوحي على الرسل وهو جبريل عليه السلام الذي نزل بالقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤ .

ومنهم ميكائيل الموكل بالقطر والنبات وإسرافيل الموكل بالنفخ بالصور عند قيام الساعة .

ومنهم الحفظة الموكلون بحفظ بني آدم وأعمالهم : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَٰتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) ﴾ الانفطار: ١٠ - ١٢ .

ومنهم الموكلون بكتابة الأعمال كلها خيراً كانت أو شراً : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ ق: ١٧ - ١٨ .

ومنهم الموكلون بقبض أرواح المؤمنين : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) ﴾ النحل: ٣٢ .

ومنهم الموكلون بقبض أرواح الكافرين : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ (٥٠) ﴾ الأنفال: ٥٠.

ومنهم خزنة الجنة وخدم أهل الجنة : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) ﴾ الرعد: ٢٣.

ومنهم خزنة جهنم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾ التحريم: ٦.

ومنهم المجاهدون مع المؤمنين : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ﴾ الأنفال: ١٢.

وفي ليلة القدر من شهر رمضان تنزل الملائكة ليشهدوا الخير مع المسلمين كما قال سبحانه : (ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤﴾ القدر: ٣ – ٤.

والملائكة لا تدخل بيتاً فيه تمثال أو صورة أو كلب قال النبي ﷺ : (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة) رواه مسلم/ ٢١٠٦ .

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان ومن جحدهم فقد كفر : ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ النساء: ١٣٦ .

من كتاب أصول الدين الإسلامي للشيخ محمد بن ابراهيم التويجري.

٤٥_ حكم وصف الممرضات بملائكة الرحمة

السؤال:

نقرأ ونسمع كثيراً من عامة الناس وكتابهم وشعرائهم من يصف في كتابه أو شعره الممرضات بأنهن ملائكة الرحمة ؟ هل يجوز ذلك ؟.

الجواب:

الجواب :

الحمد لله

هذا الوصف لا يجوز إطلاقه على الممرضات ، لأن الملائكة ذكور وليسوا إناثاً ، وقد أنكر الله سبحانه على المشركين وصفهم الملائكة بالأنوثية ، ولأن ملائكة الرحمة لهم وصف خاص لا ينطبق على الممرضات ولأن الممرضات فيهن الطيب والخبيث ، فلا يجوز إطلاق هذا الوصف عليهن . والله الموفق .

كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله . م/ ٨ ص/ ٤٢٣ .

***

٤٦_باحث غير مسلم يسأل عن دليل تكليم جبريل للنبي ﷺ

السؤال :

أدرس في كلية في الولايات المتحدة. وأطرح هذا السؤال عليك لأستفيد منه في بحثي (وذكرت اسم المادة).

ما هو الدليل عندكم على أن جبريل كلّم محمدا؟.

الجواب :

الحمد لله

لقد كلّم جبريل عليه السلام محمداً ﷺ دون حجاب ، وقد رآه ﷺ على صورته الحقيقية ، وقد ثبت هذا في كثير من الآيات والأحاديث :

١. قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ﴾ النجم: ١ – ٥.

وقد ذكر المفسرون أن المقصود بقوله تعالى : (علّمه شديد القوى) هو جبريل عليه السلام ، علّم محمداً ﷺ الوحي . ومن صور الوحي : الكلام المباشر بين المَلَك والنبي ؛ فدلّ هذا على أن جبريل عليه السلام كلّم محمداً ﷺ . ومما يؤيد هذه الدلالة قوله عز وجل : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) ﴾ الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥. وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) ﴾ البقرة: ٩٧ ٢.

وكذلك حادثة بدء الوحي المشهورة ، عندما كان عليه الصلاة والسلام معتزلاً في غار حراء ، إذ أتاه جبريل عليه السلام ، وأمره أن يقرأ . عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : " أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لا يَرَى

رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ – وَهُوَ التَّعَبُّدُ – اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا . حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ : اقْرَأْ . قَالَ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . قَالَ : فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ . قُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ . فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ) فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ .. " رواه البخاري برقم ٣ ، ومسلم برقم ٢٣١ .

٣.وعن عائشة رضي الله عنها : أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ ؟ فقال رسول الله ﷺ : " أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ .. " رواه البخاري برقم ٢ .

٤. حديث جبريل الطويل ، عندما جاء متمثلاً على شكل رجل غريب ، وجلس إلى النبي ﷺ يسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والرسول ﷺ يجيبه ، وهو يعلم أنه جبريل ، فعندما فرغ من أسئلته وذهب أخبر النبي الصحابة أن هذا جبريل أتاهم يعلمهم دينهم . انظر صحيح البخاري برقم ٤٨ ، ومسلم برقم ٩ .

٥. وما جاء في ذكر حادثة الإسراء والمعراج ، فقد كان ﷺ يسأل جبريل وجبريل يجيبه . انظر صحيح البخاري برقم ٢٩٦٨ ، ومسلم برقم ٢٣٨ ، والأحاديث التي تروي قصة الإسراء والمعراج .

٦. وأيضاً الأحاديث الكثيرة التي يقول فيها عليه الصلاة والسلام : " أتاني جبريل فقال .. " ، مثل قوله ﷺ : " أَتَانِي جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ : مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ . قُلْتُ : وَإِنْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ " رواه البخاري برقم ٢٢١٣ ، ومسلم برقم ١٣٧ .

وعندما رجع رسول الله ﷺ من الخندق هو وأصحابه ووضع السلاح واغتسل ، أتاه جبريل وقد عَصَبَ رَأْسَهُ الْغُبَارُ ، فقال : " وَضَعْتَ السِّلاحَ ! فَوَ اللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَأَيْنَ ؟ قَالَ : هَاهُنَا - وَأَوْمَأَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ - فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " رواه البخاري برقم ٢٦٠٢ ، ومسلم برقم ٣٣١٥ .

ونحو ذلك من الأدلة ، والله تعالى أعلم .

***

٤٧_عدد الملائكة مع كل شخص

السؤال :

ما عدد الملائكة الذين يكونون مع المسلم وما وظيفتهم ؟.

الجواب :

الحمد لله

الملائكة الكرام يصحبون بني آدم من يوم تكوينهم في بطون أمهاتهم حتى نزع أرواحهم من أجسادهم يوم موتهم ، وهم أيضاً يصحبونهم في قبورهم وفي الآخرة .

ـ أما صحبتهم له في الدنيا فتكون كما يلي :

أولا : يقومون عليه عند خلقه .

عن أنس عن النبي ﷺ قال : وكَّل الله بالرحم ملَكاً ، فيقول : أي رب نطفة ؟ أي رب علقة ؟ أي رب مضغة ؟ فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال : أي رب ذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه .

رواه البخاري (٦٥٩٥) ومسلم (٢٦٤٦) واللفظ للبخاري .

ثانيا : حراستهم لابن آدم .

قال تعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾الرعد: ١٠ – ١١.

وقد بين ترجمان القرآن ابن عباس أن المعقبات مِن الله هم الملائكة جعلهم الله ليحفظوا الإنسان من أمامه ومن ورائه ، فإذا جاء قدر الله – الذي قدّر عليه أن يقع به من حادث ومصاب ونحوه – تخلوا عنه .

وقال مجاهد : ما من عبد إلا له ملَك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك : وراءك ، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه .

وقال رجل لعلي بن أبي طالب : إن نفرا من مراد يريدون قتلك ، فقال - أي : علي - : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يُقدَّر ، فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه ، إن الأجل جُنَّة حصينة .

والمعقبات المذكورة في آية الرعد هي المرادة بالآية الأخرىٰ : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتىٰ إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾ .

فالحفظة الذي يرسلهم الله يحفظون العبد حتىٰ يأتي أجله المقدر له .

ثالثا : الملائكة الذين يكتبون الحسنات والسيئات .

ما من أحد من الناس إلا وله ملكان يكتبان أعماله من الخير والشر من صغير أو كبير ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ الانفطار: ١٠ - ١١.

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٦ - ١٨

ويكتب صاحب اليمين الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات .

عن أبي أمامة : أن رسول الله ﷺ قال : «إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها ، وإلا كتبت واحدة» .

رواه الطبراني في " المعجم الكبير " (٨ / ١٥٨) .

والحديث : صححه الشيخ الألباني في " صحيح الجامع " (٢ / ٢١٢) .

وإذا علمنا هذا تبين أن عدد الذين يصحبون ابن آدم بعد ولادته : أربعة ملائكة .

قال ابن كثير رحمه الله :

وقوله : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ﴾ أي : للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار ، يحفظونه من الأسواء والحادثات ، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .

فاثنان عن اليمين والشمال يكتبان الأعمال صاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات .

وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه ، واحد من ورائه وآخر من قدامه .

فهو بين أربعة أملاك بالنهار وأربعة آخرين بالليل . " تفسير ابن كثير " (٢ / ٥٠٤) .

والله أعلم

٤٨_هل إبليس من الجن أو من الملائكة

السؤال :

هل إبليس ملك أم جني ؟ فإن كان ملكاً فكيف عصىٰ الله والملائكة لا يعصون الله ؟ وإن كان جنياً فإن هذا يوضح أن له اختيار الطاعة أو المعصية. أرجو الإجابة.

الجواب :

الحمد لله

إبليس – لعنه الله – من الجن ، ولم يكن يوماً ملكاً من الملائكة ، ولا حتىٰ طرفة عين ؛ فإن الملائكة خلق كرام لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وقد جاء ذلك في النصوص القرآنية الصريحة التي تدل علىٰ أن إبليس من الجن وليس من الملائكة ، ومنها :

١–قال الله تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ الكهف: ٥٠.

٢– وقد بيّن الله تعالىٰ أنه خَلَقَ الجن من النار ، قال تعالىٰ : ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحجر: ٢٧ ، وقال : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الرحمن: ١٥ . وجاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلِقَت الملائكة من نور ، وّخُلِقَ الجَّان من مارجٍ من نار ، وخُلِقَ آدم مما وُصِفَ لكم»رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٩٩٦ ، ورواه أحمد برقم ٢٤٦٦٨ ، والبيهقي في السنن الكبرىٰ برقم ١٨٢٠٧ ، وابن حبان برقم ٦١٥٥ .

فمن صفات الملائكة أنها خُلِقت من نور ، والجن خُلِق من نار ، وقد جاء في الآيات أن إبليس – لعنه الله – خُلِقَ من النار ، جاء ذلك علىٰ لسان إبليس لما سأله الله

ﷻ عن سبب رفضه السجود لآدم لمّا أمره الله بذلك ، فقال – لعنه الله-: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ ص: ٧٦ ، فيدل هذا على أنه كان من الجن .

٣-وقد وَصَفَ اللهﷻالملائكة في كتابه الكريم ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦. وقال سبحانه : ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٦ – ٢٧ . وقال : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ النحل: ٤٩ – ٥٠. فلا يمكن أن يعصي الملائكة ربهم لأنهم معصومون من الخطأ ومجبولون على الطاعة .

٤-وكون إبليس ليس من الملائكة فإنه ليس مجبراً على الطاعة ، وله الاختيار، كما لنا نحن البشر ، قال تعالى : ﴿ إناّ هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ ، وأيضاً فإن هناك المسلمين والكافرين من الجن ؛ جاء في الآيات من سورة الجن : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ الجن: ١ – ٢. وجاء في نفس السورة على لسان الجن ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ ﴾ الجن: ١٣ الآيات .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : (قال الحسن البصري : " ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم عليه السلام أصل البشر " رواه الطبري بإسناد صحيح) ج٣/ ٨٩ .

وقد قال بعض العلماء إن إبليس ملَكٌ من الملائكة ، وأنه طاووس الملائكة ، وأنه كان من أكثر الملائكة اجتهاداً في العبادة .. إلى غير ذلك من الروايات التي معظمها من الإسرائيليات ، ومنها ما يُخالِف النصوص الصريحة في القرآن الكريم ..

وقد قال ابن كثير مبيّناً ذلك : " وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف ، وغالبها من الإسرائيليات - التي تُنْقَلُ لِيُنْظَرَ فيها - والله أعلم بحال كثير منها ، ومنها ما قد يُقْطَعُ بكذِبِهِ لمُخَالَفَتِهِ للحقّ الذي بأيدينا ، وفي القرآن أخبار غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة ؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذي ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والنجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دَوّنوا الحديث وحرروه وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر ﷺ أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه ف رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم " تفسير القرآن العظيم ج ٣/ ٩٠ . والله تعالى أعلم .

***

٤٩_ حماية الملائكة للنبي ﷺ

السؤال :

هل هناك حديث عن النبي ﷺ يقول بأنه كان هناك جن يحرسون النبي ﷺ عندما أرادت زوجة أبي لهب أن تؤذيه ؟

أرجو أن تخبرني إذا كان هذا صحيحاً ، وهل هناك أي حديث عن زوجة أبي لهب ؟.

الجواب :

١. إثبات أنّ أحدا من الجنّ كان يحمي النبي ﷺ من زوجة أبي لهب يحتاج إلى دليل فعلى من قاله أن يأتي به ولعلّ الذي قال ذلك اختلط عليه الأمر لأنّ الذي ثبت حماية الملائكة – بأمر الله للنبي ﷺ من زوجة أبي لهب كما سيأتي .

٢. إن الله تعالى قد تكفّل بحفظ نبيه ﷺ كما قال ﷻ ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ومن حفظه لنبيه أنه سخر له من الملائكة من يحميه ويحرسه ، وقد أخفته عن عيني زوجة أبي لهب فلم تره والدليل على ذلك ما جاء عن ابن عباس : " قال لما نزلت ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله جالس ومعه أبو بكر فقال له أبو بكر : لو تنحيتَ لا تؤذيك يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : "إنه سيحال بيني وبينها" ، فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك ؟ فقال أبو بكر : لا ورب هذه البنيَّة ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به ، فقالت : إنك لمصدَّق ، فلما ولَّت قال أبو بكر رحمة الله عليه : ما رأتْك ؟ قال : "لا ما زال مَلَكٌ يسترني حتى ولت " .

رواه البزار في مسنده (١ / ٦٨) ، وقال : وهذا الحديث حسن الإسناد . وكذا حسَّنه ابن حجر في " فتح الباري " (٨ / ٩٥٨) .

ب. ومن الأحاديث الواردة فيها قبحها الله :

عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت امرأة فقالت : يا محمد ! إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثة ! فأنزل الله عز وجل ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ الضحى: ١ – ٣ " .

رواه البخاري (٤٦٦٧) ومسلم (١٧٩٧) .

قال الحافظ ابن حجر : قوله : (فجاءت امرأة ..) هي : أم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب ، وقد تقدم بيان ذلك في كتاب قيام الليل . أ.هـ " فتح الباري " (٨ / ٩٢١) .

ومن الأدلّة أيضا على حماية الملائكة – بأمر الله – للنبي ﷺ في حادثة أخرى مع أبي جهل ما رواه الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ أَبُو جَهْلٍ هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ – أي يسجد كما كان يصلي عند الكعبة – بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ قَالَ فَقِيلَ نَعَمْ فَقَالَ وَاللاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ قَالَ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ قَالَ فَمَافَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ قَالَ فَقِيلَ لَهُ مَا لَكَ ؟ فَقَالَ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلا وَأَجْنِحَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ دَنَا مِنِّي لاخْتَطَفَتْهُ الْمَلائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل .. ﴿ كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ – يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ – ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ – يَعْنِي قَوْمَهُ – ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلا لا تُطِعْهُ﴾ .. سورة القلم) .. صحيح مسلم ٢٧٩٧ ، والله أعلم .

٥٠_ الملائكة

السؤال :

ماذا تعتقد في الملائكة بخصوص وظيفتهم ، هيئتهم ، أشكالهم ، قوتهم ؟

الجواب:

الحمد لله

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة التي لا يقوم الإيمان إلا بها ، ومن لم يؤمن بواحدة منها فليس بمؤمن ، وهي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرّه من الله تعالىٰ .

والملائكة من عالم الغيب الذي لا نُدركه ، وقد أخبرنا الله عنهم بأخبار كثيرة في كتابه وعلىٰ لسان رسوله محمد ﷺ ، وفيما يلي طائفة من المعلومات الصحيحة والأخبار الثابتة الواردة فيهم ، لعلك أيتها السائلة الكريمة تقدّرين الأمر حقّ قدره وتعلمين عظمة الخالق سبحانه وعظمة هذا الدّين الذي جاءنا بأخبارهم :

من أيّ شيء خلقوا ؟ :

خلقوا من نور كما قالت عَائِشَةُ رضي الله عنها : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ : « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ » . رواه مسلم رقم ٢٩٩٦

متىٰ خلقوا ؟ :

ليس لنا علم علىٰ وجه التحديد بوقت خلقهم لعدم ورود النص في ذلك لكنهم سابقون لخلق الإنس يقينا لنص القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣٠ . فأخبرهم بإرادته خلق الإنسان فدلّ علىٰ أنهم موجودون قبله .

عظم خلقهم :

يقول تعالى في ملائكة النار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ التحريم: ٦٦ .

وأعظمه على الإطلاق جبريل عليه السلام ومما جاء في وصفه :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَلَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْ سَدَّ الأُفُقَ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِهِ مِنَ التَّهَاوِيلِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيمٌ . رواه أحمد في المسند قال ابن كثير في البداية ١/ ٤٧ إسناده جيد .

وقال رسول الله واصفا جبريل : " رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ " رواه مسلم رقم ١٧٧

ومن الملائكة العظام أيضا حَمَلة العرش ومما جاء في وصفهم : عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ " . سنن أبي داود : كتاب السنة : باب في الجهمية .

لهم أجنحة :

يقول الله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١ ﴾ فاطر: ١ جمالهم :

قال تعالى واصفا جبريل عليه السلام: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ ﴾ النجم: ١ – ٦ قال ابن عباس: {ذو مرة} ذو منظر حسن ، وقال قتادة: ذو خَلْق طويل حسن.

وقد تقرر عند الناس جميعا وصف الملائكة بالجمال ولذا فهم يشبّهون الجميل من البشر بالملائكة كما قالت النسوة في حق يوسف الصديق: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ يوسف: ٣١

تفاوتهم في الخلق والمقدار :

الملائكة ليسوا على درجة واحدة في الخلق والمقدار بل يتفاوتون كما يتفاوتون في الفضل كذلك فأفضلهم من شهد بدرا كما جاء في حديث مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ قَالَ : مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا قَالَ وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلائِكَةِ . رواه البخاري رقم ٣٩٩٢

لا يأكلون ولا يشربون:

ويدل على هذا ما جرى بين خليل الرحمن إبراهيم وأضيافه من الملائكة لما زاروه ، قال تعالى : ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ الذاريات: ٢٦ – ٢٨ وفي آية أخرى : ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ هود: ٧٠ لا يملون ولا يتعبون من ذكر الله وعبادته:

قال تعالى ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ الأنبياء: ٢٠ ، وقال سبحانه : ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ فصلت: ٣٨.

عددهم:

الملائكة خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله يقول النبي ﷺ واصفا البيت المعمور في السماء السابعة : " فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم " رواه البخاري . فتح رقم ٣٢٠٧

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا " . رواه مسلم رقم ٢٨٤٢

أسماؤهم:

للملائكة أسماء لكننا لا نعلم من أسمائهم إلا القليل فمن نُصّ على اسمه وجب الإيمان به تفصيلا وإلا كان الإيمان به مجملا داخلا في عموم إيمان العبد بالملائكة ، ومن أسماء الملائكة :

١ ، ٢ – جبريل وميكائيل:

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ البقرة: ٩٧ – ٩٨.

٣ – إسرافيل:

عن أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ : سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَتْ : كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاتَهُ اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " . رواه مسلم رقم ٢٧٠ .

٤– مالك :

وهو خازن النار قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ الزخرف: ٧٧.

٥، ٦ - منكر ونكير:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولانِ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لا يُوقِظُهُ إِلا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لا أَدْرِي فَيَقُولانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلاعُهُ فلا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ". رواه الترمذي رقم ١٠٧١ وقَالَ أَبو عِيسَى: حديثٌ حَسَنٌ غَرِيب وحسنه في صحيح الجامع رقم ٧٢٤.

٧، ٨ - هاروت وماروت:

يقول تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ البقرة: ١٠٢ ومنهم غير ذلك ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ المدثر: ٣١ ومنهم غير ذلك

قدراتهم:

للملائكة قدرات عظيمة وهبهم الله إياها ومنها:

قدرتهم على التشكل:

أعطى الله الملائكة القدرة على التشكل بغير أشكالهم فقد أرسل الله إلى مريم جبريل في صورة بشر يقول تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ مريم: ١٧.

وإبراهيم جاءته الملائكة في صورة بشر ولم يعرف أنهم ملائكة حتى أعلموه بذلك ، وكذا لوط أتوه في صورة شباب حسان الوجوه ، وقد كان جبريل يأتي النبي في صور متعددة فتارة يأتي في صورة دحية الكلبي وكان صحابيا جميل الصورة ، وتارة في صورة أعرابي ورآه الصحابة على صورته البشرية كما في الصحيحين من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ .... الحديث . صحيح مسلم رقم ٨

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الدالة على تصورهم بالصور الآدمية كحديث قاتل المائة وفيه " فجاءهم ملك في صورة آدمي " وحديث الأبرص والأقرع والأعمى .

سرعتهم:

أعظم سرعة يعرفها البشر اليوم سرعة الضوء وسرعة الملائكة فوق هذه السرعة بكثير إذ أن السائل ما كاد يفرغ من سؤال النبي إلا وقد جاء جبريل بالجواب من رب العزة.

وظائفهم :

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ٩٧ وقال: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤.

· ومنهم الموكل بالمطر وتصريفه إلى حيث يشاء الله وهو ميكائيل عليه السلام ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل .

· ومنهم الموكل بالصور وهو إسرافيل (والصور هو عنق كالبوق ينفخ فيه إسرافيل عند قيام الساعة) .

· ومنهم المُوكّل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ السجدة: ١١. ولم يثبت في حديث صحيح تسميته بعزرائيل .

· ومنهم المُوكّل بحفظ العبد في حله وترحاله ، في يقظته ونومه وفي كل حالاته وهم المعقبات الذين قال الله في شأنهم : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ الرعد: ١٠ – ١١ .

· ومنهم المُوكّل بحفظ عمل العبد من خير أو شر وهم الكرام الكاتبون وهؤلاء يشملهم قوله تعالى: ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ الأنعام: ٦١ ، وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ الزخرف: ٨٠ ، وقال ﷻ : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٧ – ١٨ ، وقال : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ الانفطار: ١٠ – ١١ · ومنهم الموكل بفتنة القبر وهم منكر ونكير عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ... الحديث وقد تقدّم .

· ومنهم خزنة الجنة قال تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الزمر: ٧٣.

· ومنهم خزنة جهنم وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر ومُقدَّمهم مالك عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ الزمر: ٧١، وقال سبحانه: ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨﴾ العلق: ١٧ – ١٨، وقال تعالى ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١﴾ المدثر: ٢٧ – ٣١، وقال تعالى: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ الزخرف: ٧٧.

· ومنهم الموكل بالنطفة في الرَّحِم كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَوَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا. رواه البخاري فتح رقم ٣٢٠٨ ومسلم رقم ٢٦٤٣ .

· ومنهم حملة العرش قال تعالى في شأنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ غافر: ٧.

· ومنهم ملائكة سياحون في الأرض يتبعون مجالس الذكر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ قَالَ هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ . رواه البخاري فتح رقم ٦٤٠٨

· ومنهم الموكل بالجبال عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا . رواه البخاري فتح رقم ٣٢٣١

· ومنهم زُوّار البيت المعمور قال النبي ﷺ كما في حديث الإسراء والمعراج الطويل : فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ .

· ومنهم ملائكة صفوف لا يفترون وقيام لا يجلسون ، وركع وسجود لا يرفعون كما جاء عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ أَطَّتْ السَّمَاءُ (صوّتت وضجّت) وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ (الطّرُق) تَجْأَرُونَ (تتضرّعون) إِلَى اللهِ . سنن الترمذي رقم ٢٣١٢

هذه خلاصة عن ملائكة الله الكرام نسأل الله أن يجعلنا من المؤمنين بهم المحبين لهم وصلى الله على نبينا محمد .

٥١_ عنى "الملأ الأعلى"

السؤال:

أنا طالبة غير مسلمة أدرس حالياً التقاليد الإسلامية وأكتب بحثاً وكان من الكلمات التي قابلتني كثيراً كلمة "الملأ الأعلى" ولا أعرف ماذا تعني. فهل يمكنك أن تساعدني في فهم معناها ولك جزيل الشكر.

الجواب:

الحمد لله

وردت كلمة الملأ الأعلى في القرآن والسنة

فقال الله تعالى في سورة ص : ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠) ﴾ ص: ٦٩ - ٧٠

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير الآية وقوله: ﴿ما كان لي من علم بالملإ الأعلى﴾ يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لمشركي قومك: ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾ في شأن آدم من قبل أن يوحي إلي ربي فيعلمني ذلك، يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحي من الله وتنزيل من عنده، لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو مما شاهدته فعاينته، ولكني علمت ذلك بإخبار الله إياي به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك :

.. عن ابن عباس ، قوله: ﴿ما كان لي من علم بالملإ الأعلىٰ إذ يختصمون﴾ قال: الملأ الأعلىٰ: الملائكة حين شووروا في خلق آدم، فاختصموا فيه، وقالوا: لا تجعل في الأرض خليفة.

عن السدي ﴿بالملإ الأعلىٰ إذ يختصمون﴾ هو: ﴿إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠]

عن قتادة، قوله: {ما كان لي من علم بالملإ الأعلىٰ} قال: هم الملائكة، كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة: {إني خالق بشرا من طين} ..

وأما من السنة فقد جاء عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (في كلام الله له في المنام) يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَىٰ .. قَالَ فِي الْكَفَّارَاتِ ، وَالْكَفَّارَاتُ الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ وَالْمَشْيُ عَلَىٰ الأَقْدَامِ إِلَىٰ الْجَمَاعَاتِ وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ

الترمذي ٣١٥٧ وهو في صحيح الجامع ٥٩

قال المباركفوري رحمه الله في شرح الحديث (فيم) أي في أي شيء (يختصم) أي يبحث (الملأ الأعلىٰ) أي الملائكة المقربون ، والملأ هم الأشراف الذين يملئون المجالس والصدور عظمة وإجلالا ووصفوا بالأعلىٰ إما لعلو مكانهم وإما لعلو مكانتهم عند الله تعالىٰ . واختصامهم إما عبارة عن تبادرهم إلىٰ إثبات تلك الأعمال والصعود بها إلىٰ السماء وإما عن تقاولهم في فضلها وشرفها وإما عن اغتباطهم الناس بتلك الفضائل .. وإنما سماه مخاصمة لأنه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه . والله تعالىٰ أعلم

فهرس

الإيمان بالله